





اسم الكتاب: **صناعة الحفظ**

المؤلف فضيلة الشيخ / فيصل الحاشدي

رقم الإيداع: ٢٠١٥/١٦٠٥٠.

نوع الطباعة: ٢ لون.

عدد الصفحات: ١٦٠.

القياس: ٢٤×١٧.

محفوظ
جميع الحقوق

تجهيزات فنية:

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية

أعمال فنية وتصميم الغلاف الأستاذ/ يسري حسن.

طبعة أولى ٢٠١٦

الإدارة

دار الإيمان
للطباعة والنشر والتوزيع

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية .
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات

دار الإيمان
للطباعة والنشر والتوزيع

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية .
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

dar_aleman@hotmail.com

E.mail

صناعة الحفظ

قواعد سهلة ووسائل مبتكرة لحفظ القرآن الكريم

وَأَمَلُ أَنْ تَرْتَقِيَ رُوحِي إِلَى التَّقَى
أَسِيرُ فِي أَثَرِ الظَّلَامِ أَهْتَدِي
وَأَقُودُ صَوْتِي لِنَشْرِ الْحَقِّ إِنْ خَفَى
بُنُورِ الْقُرْآنِ حَافِظًا لَهُ وَمُرَتَّلًا

تأليف

أبي عبد الله فضيل بن حمزة قاتر الحاشري

عفا الله عنه

دار الإحياء
للطبع والنشر والتوزيع
إسطنبول ٥٤٥٧٦٩

دار القسمة
للتوزيع والكتاب والبريد
تأليف: ٥٤٥٧٦٩ ست: ٥٢٢٠٠٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مَقْدَمَةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ .

أَمَّا بَعْدُ :

نُقَدِّمُ الْبَكَرَ مِنْهُمْ حِينَ نَذْكُرُهُمْ كَمَا يُقَدِّمُ تَالِي الْأَخْرِفِ الْأَلْفَا ^(١)

فَغَيْرُ خَافٍ عَلَى كُلِّ ذِي لُبٍّ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ سَهْلٌ يَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسِرُهُ
اللَّهُ عَلَيْهِ .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ

مُذَكِّرٍ ۝١٧﴾ [القَمَر: ١٧] .

وَكَمْ مِنْ أَنَاسٍ وَفَقَّهَهُمُ اللَّهُ ، فَحَفِظُوا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ - فِي مُدَّةٍ وَجِيزَةٍ ،
فَمِنْهُمْ مَنْ حَفِظَهُ فِي شَهْرَيْنِ ، وَمِنْهُمْ فِي ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ ، وَمِنْهُمْ فِي أَرْبَعَةٍ ،
وَمِنْهُمْ فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ ، وَمِنْهُمْ فِي عَامٍ ، وَمِنْهُمْ فِي عَامَيْنِ ، وَهَكَذَا .

وَيَرْجِعُ ذَلِكَ - بَعْدَ تَوْفِيقِ اللَّهِ - إِلَى اخْتِلَافِ الطُّرُقِ الَّتِي يَسْلُكُهَا مَنْ
أَرَادَ اللَّهُ لَهُ حِفْظَ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ .

وَلَقَدْ وَفَّقَنِي اللَّهُ - وَلَهُ الْحَمْدُ - لِكِتَابَةِ قَوَاعِدَ سَهْلَةٍ ، وَوَسَائِلَ مُبْتَكِرَةٍ ،
لِحِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَسَمَّيْتُهَا : « صِنَاعَةُ الْحِفْظِ » .

(١) «دِيَوَانُ جُبْرَانَ خَلِيلِ جُبْرَانَ» (ص ١٤٣٣) .

وَهِيَ قَوَاعِدُ وَوَسَائِلُ كَالْأَمْوَاجِ ، يَأْخُذُ بَعْضُهَا بِرِقَابِ بَعْضٍ ، وَتَحِلُّ
أُخْرَاهَا مَحَلَّ أَوْلَاهَا .

مِثْلَ عَرُوسٍ تَسْتَرَّتْ خَجَلًا مِنْ بَعْلِهَا بَعْدَ أَنْ تَجَلَّاهَا ^(١)
فَدُونَكَ وَدِيعَتِي تُزْفُ إِلَيْكَ ، فَتَقْبَلُهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ؛ فَلَا إِخَالِكَ إِلَّا نِعَمَ
الْحَتْنِ ^(٢) .

أَتَيْتُكَ مُحَلَّةً تُزْفُ كَأَنَّهَا عَرُوسٌ تُوَافِي بَعْلَهَا لَيْلَةَ الْعُرْسِ
وَلَمْ أَهْدِهَا إِلَّا وَنَفْسِي تُحِبُّهَا وَلَكِنَّ نَفْسِي آثَرْتُكَ عَلَى نَفْسِي ^(٣)

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ مَهْرٍ تَفْتَرَعُ عَرُوسَكَ ^(٤) ؟ ، لَكِنْ هِيَ عَلَى حَبْلِ
ذِرَاعَيْكَ ^(٥) تَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ « أَرْفَعُ مِنَ السَّمَاءِ » ^(٦) ، فَشَمْرُ ذَيْلًا ، وَادَّرَعُ
لَيْلًا ^(٧) .

(١) « دِيَوَانُ ابْنِ الرُّومِيِّ » (ص ٢٩٦) .

(٢) الْحَتْنُ - بِالْتَّحْرِيكِ - هُوَ الْمُتَزَوِّجُ بِإِنْتِهَ الرَّجُلِ أَوْ أَخِيهِ .

انْظُرْ « التَّلْخِيصُ فِي مَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ الْأَشْيَاءِ » (ص ١٣٢) .

(٣) التَّحَفُّ وَالْهَدَايَا (ص ٢) .

(٤) افْتَرَعُ الْعَرُوسَ : افْتَضَّهَا . انْظُرْ : « أَمْثَالُ الْعَرَبِ » (ص ٢١) .

(٥) حَبْلُ الذَّرَاعِ : عِرْقُ فِيهَا ، وَالْمِثْلُ يُضْرَبُ لِلشَّيْءِ الْحَاضِرِ الَّذِي لَا تَمْتَنِعُ حَيَاتُهُ . انْظُرْ :

« الْأَمْثَالُ الْعَرَبِيَّةُ » (ص ١٦٢) .

(٦) « جَهْرَةُ الْأَمْثَالِ » (١ / ٥٠١) .

(٧) أَيُّ : تَأَهَّبُ لِلْأَمْرِ ، وَتَجَلَّدُ لِرُكُوبِهِ ، وَهُوَ هُنَا « حِفْظُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ » فَإِنَّ الْقُرْآنَ لَا يُعْطِيكَ
بَعْضُهُ حَتَّى تُعْطِيَهُ كُلُّكَ . انْظُرْ : « مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ » (١ / ٣٦٢) .



بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا مِنْ عَرُوسٍ وَمِنْ خَتْنٍ !^(١)

وَأَسْأَلُ مِنَ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَنْ يَجْعَلَهَا خَالِصَةً لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ ،
وَأَنْ يَنْفَعَ بِهَا ، إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

مُحِبُّكُمْ

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ

فَيْصَلُ الْحَاشِدِيِّ

(١) « دِيْوَانُ سُبْطِ ابْنِ التَّعَاوَيْدِي » (ص ٣٩٨) .

مَقْدَمَةُ نُؤْيَةِ الْقَحْطَانِي

بَيْنِي وَبَيْنَكَ حُرْمَةُ الْقُرْآنِ
وَأَعِصْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الشَّيْطَانِ
وَأَجِرْ بِهِ جَسَدِي مِنَ النَّيِّرَانِ
وَأَشْدُدْ بِهِ أَرْزِي، وَأَصْلِحْ شَانِي
وَأَرْبِحْ بِهِ بَيْعِي بِلَا خُسْرَانِ
أَجْمَلْ بِهِ ذِكْرِي، وَأَعْلِ مَكَانِي
كَثِّرْ بِهِ وَرَعِي، وَأَحْيِ جَنَانِي
أَسْبِلْ بِفَيْضِ دُمُوعِهَا أَجْفَانِي
وَاغْسِلْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الْأَضْغَانِ^(١)

يَا مُنْزِلَ الْآيَاتِ وَالْفُرْقَانِ
أَشْرَحْ بِهِ صَدْرِي لِمَعْرِفَةِ الْهُدَى
يَسِّرْ بِهِ أَمْرِي، وَأَقْضِ مَآرِبِي
وَاحْطُطْ بِهِ وَزْرِي، وَأَخْلِصْ نِيَّتِي
وَاكْشِفْ بِهِ ضُرِّي، وَحَقِّقْ تَرْبَتِي
طَهِّرْ بِهِ قَلْبِي، وَصَفِّ سَرِيرَتِي
وَاقْطَعْ بِهِ طَمَعِي، وَشَرِّفْ هِمَّتِي
أَسْهَرْ بِهِ لَيْلِي، وَأَظْمِ جَوَارِحِي
أُمْرِجْهُ - يَارَبِّ - بِلَحْمِي مَعَ دَمِي

(١) «مَقْدَمَةُ نُؤْيَةِ الْقَحْطَانِي» (ص ١٠).

القَوَاعِدُ وَالْوَسَائِلُ الْمُعِينَةُ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

١ - الْإِخْلَاصُ

وَلَيْسَ مُسْتَعْظَمًا فَضْلٌ وَلَا كَرَمٌ وَحَسْبُ نَفْسِكَ إِخْلَاصٌ يُزَكِّيهَا ^(١)

الْإِخْلَاصُ وَاجِبٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ ، وَهُوَ سِرُّ التَّوْفِيقِ فِي كُلِّ عَمَلٍ ، وَكُلُّ عَمَلٍ لَا يُخْلَصُ فِيهِ مَرْدُودٌ عَلَى صَاحِبِهِ ، وَلَيْسَ لَهُ حَظٌّ مِنَ التَّوْفِيقِ .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزُّمَرُ : ٦٥] .

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البَيِّنَةُ : ٥] .

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ [الزُّمَرُ : ١١] .

(١) « دِيَوَانُ شَوْقِي » (ص ١٥١) .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » ^(١).

فَمَنْ حَفِظَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ عَنْهُ : حَافِظٌ ، أَوْ يَتَّبِعِي بِهِ جَاهًا ، أَوْ ارْتِفَاعًا فَوْقَ النَّاسِ ، أَوْ إِمَامَةً فِي الصَّلَاةِ ، أَوْ أَيِّ عَرَضٍ مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا ، فَعَمَلُهُ حَابِطٌ ، وَلَيْسَ لِحَفْظِهِ حَظٌّ مِنَ الْبَرَكَاتِ ، وَيَكُونُ جَزَاؤُهُ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُتَّبَعِي بِهِ وَجْهُ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا ، لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » - يَعْنِي رِيحَهَا ^(٢).

وَحَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : « مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ ؛ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ ، أَوْ لِيُجَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وَجْهَهُ النَّاسِ إِلَيْهِ - أَدْخَلَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ » ^(٣).
وَحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَى فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ ... » وَذَكَرَ مِنْهُمْ : « وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، فَقَالَ : فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا ؟ .

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١) ، وَمُسْلِمٌ (١٩٠٧) .

(٢) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٦٦٤) ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٦١٥٩) .

(٣) (حَسَنٌ) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٦٥٤) ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٦٣٨٣) .

قَالَ : تَعَلَّمْتُ فِيكَ الْعِلْمَ ، وَعَلَّمْتُهُ ، وَقَرَأْتُ الْقُرْآنَ فِيكَ . قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ : هُوَ عَالِمٌ ، وَقَدْ قِيلَ ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ : هُوَ قَارِئٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ، حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ « (١) .

فَيَا قَارِئَ الْقُرْآنِ فَاطْلُبْ ثَوَابَهُ وَكُنْ طَائِعًا لِلَّهِ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ وَإِيَّاكَ أَنْ تَبْغِيَ بِهِ غَيْرَ أَجْرِهِ وَأَحْكِمْ أَدَاءَهُ ، وَاجْتَهِدْ تَحْظَ بِالْقَدْرِ

فَكَلِمًا قَوِيَّ إِخْلَاصُ الْعَبْدِ ، كَانَ أَكْثَرَ تَوْفِيقًا فِي الْحِفْظِ ، وَفِي جَمِيعِ الطَّاعَاتِ وَالْقُرْبَاتِ .

فَعَنْ أَبِي بَنٍ كَعْبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : « بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّيِّئِ وَالْخَيْرِ ، وَالرَّفْعَةِ وَالنَّصْرِ ، وَالتَّمَكُّنِ فِي الْأَرْضِ ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلًا فِي الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا ، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ » (٢) .

قَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

« صَلَاحُ الْعَمَلِ بِصَلَاحِ الْقَلْبِ ، وَصَلَاحُ الْقَلْبِ بِصَلَاحِ النِّيَّةِ » .
وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : « وَعَلَى قَدْرِ نِيَّةِ الْعَبْدِ ، وَهَمِّهِ وَمُرَادِهِ ، وَرَغْبَتِهِ يَكُونُ تَوْفِيقُهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وَإِعَانَتُهُ ، فَاَلْمَعُونَةُ مِنَ اللَّهِ تَنْزِلُ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٩٠٥) .

(٢) (صَحِيحُ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢١٢٥٨) ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٢٨٢٥) .

صِنَاعَةُ الْحِفْظِ

عَلَى الْعِبَادِ عَلَى قَدْرِ هِمَمِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ وَرَغْبَتِهِمْ وَرَهْبَتِهِمْ، وَالْخُذْلَانُ يَنْزِلُ
عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ .

وَلِلَّهِ دَرُّ الْإِمَامِ أَبِي طَاهِرٍ السَّلَفِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - حِينَ قَالَ :

وَأَعْلَمَ بِأَنَّ الْأَجَرَ لَيْسَ بِحَاصِلٍ	إِلَّا إِذَا كَانَتْ لَهُ صِفَتَانِ
لَا بُدَّ مِنْ إِخْلَاصِهِ وَنَقَائِهِ	وُخْلُوهُ مِنْ سَائِرِ الْأَذْرَانِ
وَكَذَا مُتَابَعَةُ الرَّسُولِ؛ فَحُكْمُهَا	نَصٌّ بِحُكْمِ نَبِيِّنَا الْعَدْنَانِ

٢ - تَقْوَى اللَّهِ

وَأَخْلَقُ ذِي التَّقْوَى وَذِي الْبِرِّ فِي الدُّجَى هُنَّ سِرَاجٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُسْرَجٌ ^(١)

تَقْوَى اللَّهِ تُنِيرُ الْقَلْبَ ، وَتَبْعُثُ عَلَى السَّكِينَةِ ، وَصَفَاءِ الذَّهْنِ ، وَاسْتِعْدَادِهِ لِلْحِفْظِ .

وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يَقُولُ : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢٨٢) [البقرة: ٢٨٢] .

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

« إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ وَسَبِيلَهُ إِلَى حُصُولِ الْعِلْمِ » ^(٢) .
وَقَالَ تَلْمِيزُهُ ابْنُ عُثَيْمٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : « قَوْلُهُ : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ أَيُّ : اتَّخَذُوا وَقَايَةً مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، وَذَلِكَ بِفِعْلِ أَوْامِرِهِ ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ . وَقَوْلُهُ - وَتَعَالَى - : ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ . الْوَاوُ هُنَا لِلِاسْتِثْنَاءِ ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ ؛ لِأَنَّ تَعْلِيمَ اللَّهِ لَنَا حَاصِلٌ مَعَ التَّقْوَى وَعَدَمِهَا ، وَإِنْ كَانَ الْعِلْمُ يَزْدَادُ بِتَقْوَى اللَّهِ » ^(٣) .

(١) « دِيَوَانُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ » (ص ٣٥) .

(٢) « تَفْسِيرُ ابْنِ سَعْدٍ » (ص ٩٦١) .

(٣) « تَفْسِيرُ الْعُثَيْمِيِّ » (٥ / ٣٢٢) .

صِنَاعَةُ الْحِفْظِ

وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا اتَّقَى اللَّهَ وَحَافِظَ عَلَى الْوَاجِبَاتِ - وَمِنْهَا الصَّلَاةُ فِي وَقْتِهَا حَيْثُ يُنَادَى لَهَا - اسْتَنَارَ قَلْبُهُ ، وَخَرَجَ مِنْهُ كُلُّ مَا يَكْدُرُ عَلَيْهِ عَيْشُهُ ، وَيُنْغِصُ حَيَاتَهُ ، فَيَسْتَقْبِلُ قَلْبُهُ الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ اسْتِقْبَالَ الْبَلَدِ الطَّيِّبِ الْغَيْثِ الْمُبَارَكِ .

وَلِلَّهِ دُرُّ أَبِي إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - حِينَ قَالَ يُخَاطَبُ وَلَدَهُ :

لَئِنْ رَفَعَ الْغَنِيُّ لَوَاءَ مَالٍ لَأَنْتَ لَوَاءَ عِلْمِكَ قَدْ رَفَعْتَ
وَأِنْ جَلَسَ الْغَنِيُّ عَلَى الْحَشَايَا لَأَنْتَ عَلَى الْكَوَاكِبِ قَدْ جَلَسْتَ
وَأِنْ رَكِبَ الْجِيَادُ ^(١) مُسَوَّمَاتٍ ^(٢) لَأَنْتَ مَنَاهَجَ التَّقْوَى رَكِبْتَ
وَمَهْمَا افْتَضَّ أَبْكَارَ الْغَوَانِي فَكَمْ بِكَرٍّ مِنْ الْحِكَمِ افْتَضُّتَا ^(٣)

وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

أَلَا إِنَّمَا التَّقْوَى هِيَ الْعِزُّ وَالْكَرَمُ وَحُبُّكَ الدُّنْيَا هُوَ الْاِذْلُ وَالْعَدَمُ
وَلَيْسَ عَلَى عَبْدٍ تَقِيٍّ نَقِيصَةٌ إِذَا صَحَّحَ التَّقْوَى وَإِنْ حَاكَ أَوْ حَجَمَ ^(٤)

(١) الْجِيَادُ : جَمْعُ جَوَادٍ ، وَهُوَ الْفَرَسُ الرَّائِعُ .

(٢) سَوَّمُ الْفَرَسَ : أَعْلَمَهُ بِسُومَةٍ ، وَهِيَ الْعَلَامَةُ .

(٣) « دِيَوَانُ أَبِي إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِيِّ » (ص ٢٨) .

(٤) « دِيَوَانُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ » (ص ١٧٠) .

٣ - تَرْكُ الْمَعَاصِي

إِنَّ الْمَعَاصِي لَا تُقِيمُ بَمَنْزِلٍ إِلَّا لِتَجْعَلَ مِنْهُ قَاعًا صَفْصَفًا
وَلَوْ أَنِّي دَاوَيْتُ مَعْطَبَ دَائِهَا بِمَرَاهِمِ التَّقْوَى لَوَافَقْتُ الشِّفَا ^(١)

الْقَلْبُ الَّذِي أُشْرِبَ حُبَّ الْمَعَاصِي وَاعْتِيَادَهَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَعِيَ الْقُرْآنَ،
فَلَا بُدَّ مَنْ تَطْهَرِ الْقَلْبَ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَالِابْتِعَادِ عَنِ الذُّنُوبِ،
صِغَارِهَا وَكِبَارِهَا ؛ حَتَّى يَتَهَيَّأَ الْقَلْبُ لِحِفْظِ كِتَابِ اللَّهِ .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً ، نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ ، فَإِذَا هُوَ
نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ ، صُقِلَ قَلْبُهُ ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا ، حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبُهُ ، وَهُوَ
الرَّأْيُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ١٤ ﴿ [المُطَفِّفِينَ :

[١٤] . (٢)

قَالَ الطَّبْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

« فَأَخْبَرَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِنَّ الذُّنُوبَ إِذَا تَتَابَعَتْ عَلَى الْقُلُوبِ

(١) « دِيَوَانُ أَبِي إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِيِّ » (ص ٤٤) .

(٢) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٣٣٤) ، وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»
(١٦٧٠) .

صِنَاعَةُ الْحِفْظِ

أَغْلَقْتُهَا، وَإِذَا أَغْلَقْتُهَا أَتَاهَا حِينَئِذٍ الْخَتْمُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ، فَلَا يَكُونُ لِلْإِيْمَانِ إِلَيْهَا مَسْلَكٌ، وَلَا لِلْكَفْرِ مِنْهَا مَخْلَصٌ» (١) .

فَتَرَكُ الْمَعَاصِي مِنْ أَعْظَمِ طُرُقِ الْحِفْظِ ، سُئِلَ مَالِكٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : هَلْ يَصْلُحُ لِهَذَا الْحِفْظِ شَيْءٌ ؟ ، قَالَ : « إِنْ كَانَ شَيْءٌ فَتَرَكُ الْمَعَاصِي » (٢) .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ لَوْكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ : إِنِّي رَجُلٌ بَلِيدٌ، وَلَيْسَ لِي حِفْظٌ، فَعَلَّمَنِي دَوَاءً لِلْحِفْظِ، فَقَالَ وَكِيعٌ : « يَا بُنَيَّ، مَا جَرَّبْتُ دَوَاءً لِلْحِفْظِ مِثْلَ تَرَكِ الْمَعَاصِي » (٣) .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

«لَمَّا جَلَسَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ بَيْنَ يَدَيْ مَالِكٍ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ أَعْجَبُهُ مَا رَأَى مِنْ نُورٍ فِطْنَتِهِ ، وَتَوَقَّعَ ذِكَاثَهُ، وَكَمَالَ فَهْمِهِ، فَقَالَ : إِنِّي أَرَى اللَّهَ قَدْ أَلْقَى عَلَى قَلْبِكَ نُورًا ، فَلَا تُطْفِئُهُ بِظُلْمَةِ الْمَعَاصِي » (٤) .

شَكُوتٌ إِلَى وَكِيعٍ (٥) سُوءَ حِفْظِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرَكِ الْمَعَاصِي

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٢٤ / ٢٨٧) .

(٢) « جُزْءٌ فِيهِ أَخْبَارُ لِحْفِظِ الْقُرْآنِ ، تُخْرِجُ ابْنَ عَسَاكِرٍ » ص (٢٢٦) .

(٣) « الْمَرْجِعُ السَّابِقُ » (ص ٢٢٨) .

(٤) « الْجَوَابُ الْكَافِي » (ص ١٠٤) .

(٥) وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ بْنُ مُلَيْحٍ الْإِمَامُ الْحَافِظُ مُحَدِّثُ الْعِرَاقِ ، وُلِدَ سَنَةَ ١٢٩ هـ ، وَمَاتَ ١٩٦ هـ ، لَمْ يَثْبُتْ لَهُ لِقَاءٌ بِالشَّافِعِيِّ ، وَلَمْ يَثْبُتْ أَنَّهُ كَانَ شَيْخَ الشَّافِعِيِّ ، بَلِ الشَّافِعِيُّ كَانَ مِنْ طَبَقَاتِ وَكِيعٍ ، فَكَيْفَ يَتَلَمَّذُ عَلَيْهِ ، أَوْ يَكُونُ شَيْخًا لَهُ ؟ ! ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ رِوَايَةِ الْأَقْرَانِ ، لَكِنْ لَمْ يَثْبُتْ ، وَإِنَّمَا كَانَ وَكِيعٌ شَيْخَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ ، وَالْإِمَامِ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوِيَةَ .

وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ وَنُورُ اللَّهِ لَا يَهْدِي لِعَاصِي
 فَالذُّنُوبُ تُظْلِمُ الْقَلْبَ ، فَلَا يُوفِّقُ بَعْدَهَا لِحِفْظِ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ،
 وَالْإِكْثَارُ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ يُوجِبُ زَوَالَ الذُّنُوبِ الَّتِي هِيَ سَبَبٌ فِي نِسْيَانِ
 الْعِلْمِ ، وَعَدَمُ التَّوْفِيقِ لَطَلْبِهِ وَحِفْظِهِ وَفَهْمِهِ ، وَكَمْ مِنْ نَظَرَةٍ مُحَرَّمَةٍ أَدَّتْ
 إِلَى فَقْدِ كَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ ، أَوْ لُقْمَةٍ مِنْ مَالٍ مُشْتَبَهٍ أَوْ مُحَرَّمٍ حَوَّلَتْ الْعِلْمَ إِلَى
 سَرَابٍ !! ، فَالْقَلْبُ كَاللَّوْحِ ، لَا بُدَّ أَنْ تَمْحُو مَا فِيهِ مِنْ ظُلُمَاتِ الْمَعَاصِي
 بِالْإِسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ ، قَبْلَ أَنْ تَنْقُشَ فِيهِ « نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ » .

٤ - إِدْرَاكَ أَهْمِيَّةِ مَا تَحْفَظُ

لَيْلَةُ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ الَّتِي جَلَّ سَنَاهَا
نَزَلَ الْقُرْآنُ فِيهَا رَحْمَةً وَشِفَاءً فَارْذَعِي الْكَوْنُ وَنَاهَا (١)

احْرِصْ عَلَى إِنَارَةِ الدَّافِعِ الذَّاتِي لَدَيْكَ ، تَعَرَّفْ عَلَى مَنْزِلَةِ الْقُرْآنِ ،
وَفَضْلِ حِفْظِهِ ، وَمَا أَعَدَّهُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَكَ وَلِأَهْلِكَ مِنَ الرَّفْعَةِ
وَالسُّودْدِ ، وَالسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا ، وَالْأَجْرِ وَالْكَرَامَةِ فِي الْآخِرَةِ ، وَقَدْ بَسَطْتُ
لَكَ ذَلِكَ فِي كِتَابِي «أَوْسَمَةُ حَافِظِ الْقُرْآنِ» ، فَجَدِّدْ بِهِ عَهْدًا ، وَفَقَّكَ اللَّهُ
وَأَعَانَكَ ، وَيَسِّرْ لَكَ حِفْظَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ .

وَهُنَاكَ فَوَائِدُ عَدِيدَةٌ لِحِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، ذَكَرَهَا الْعُلَمَاءُ ،

فَمِنْهَا :

- ١ - الْفَوْزُ بِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ ، إِنْ اقْتَرَنَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ بِالْحِفْظِ .
- ٢ - شَحْذُ الذَّاكِرَةِ وَالذَّهْنِ ؛ وَلِذَا تَجِدُ الْحَافِظَ لِكِتَابِ اللَّهِ أَسْرَعَ بَدِيهَةً ،
وَأَضْبَطَ وَأَتَقَنَ مِنْ غَيْرِهِ ؛ لِكَثْرَةِ مَرَاتِنِهِ عَلَى ضَبْطِ الْآيَاتِ ، وَتَمْيِيزِ
كَلِمَاتِهَا الْمُتَشَابِهَاتِ ، وَإِرْجَاعِهَا إِلَى مَظَانِّهَا .
- ٣ - سَعَةُ الْعِلْمِ ، وَهَذَا مَلْحُوظٌ فِي الْحَفْظَةِ ، وَإِلَى الْحِفْظِ يُعْزَى تَفَوْقُ

(١) « دِيْوَانُ أَحْمَدَ سَخْنُون » (ص ٢١٧) .

الطُّلَابُ الْحَافِظِينَ عَلَى أَقْرَانِهِمْ مِنْ غَيْرِ الْحَفَظَةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَجَالَاتِ،
مَعَ تَقَارُبِهِمْ فِي السَّنِّ وَالْبَيْئَةِ، وَيُظْهَرُ التَّفَوُّقُ جَلِيًّا حَتَّى فِي مَوَادِّ
الرِّيَاضِيَّاتِ، وَالْجَبْرِ وَالطَّبِّ .

٤- السَّمْتُ الْحَسَنُ، وَالسُّلُوكُ الْقَوِيمُ، وَهَذَا مَا يَفْرُضُهُ الْقُرْآنُ عَلَى أَهْلِهِ .

٥- الْفَصَاحَةُ وَالنُّطْقُ السَّلِيمُ ، وَإِخْرَاجُ الْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ مَخَارِجِهَا
الطَّبِيعِيَّةِ ^(١) .

(١) انْظُرْ : « كَيْفَ تَحْفَظُ الْقُرْآنَ » د. عَبْدُ الرَّبِّ نَوَابُ الدِّينِ (ص ٤١-٤٢) .

٥- العَزِيمَةُ الصَّادِقَةُ

تَمْضِيكَ مِنْهُ عَزِيمَةً مِنْ دُونِهَا يَقِفُ الزَّمَانُ وَيَرْجُفُ الثَّقْلَانُ ^(١)

كُلُّ مُسْلِمٍ يَرْغَبُ فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، لَكِنَّ الرَّغْبَةَ وَحْدَهَا لَا تَكْفِي ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ تَتَّبَعَ هَذِهِ الرَّغْبَةَ عَزِيمَةٌ صَادِقَةٌ ^(٢) ، قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ

كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ۝ ١٩ ﴾ [الإِسْرَاءُ : ١٩] .

فَكُلُّ النَّاسِ يُرِيدُونَ الْآخِرَةَ ، لَكِنَّ الصَّادِقَ مَنْ أَرَادَ ذَلِكَ حَقِيقَةً ، ثُمَّ

(١) « دِيَوَانُ أَحْمَدَ مُحَرَّم » (ص ٢٤١) .

(٢) مُعْظَمُ الْحَفَاطِ الَّذِينَ حَفِظُوا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ بَعْدَ أَنْ بَلَغُوا مِنَ الْكِبَرِ عِتْيًا كَانَتْ لَهُمْ عَزِيمَةٌ صَادِقَةٌ اسْتَمَرَّتْ مَعَهُمْ ، فَهَذِهِ أُمُّ طَه ، امْرَأَةٌ أُزْدِيَّةٌ ، تَعْمَلُ خِيَّاطَةً فِي مَدِينَةِ الزَّرْقَاءِ بِالْأُرْدُنِ طَلَبَتْ مِنْ إِحْدَى الْفَتَيَاتِ اللَّوَانِي يَتَرَدَّدْنَ عَلَيْهَا ، أَنْ تُعَلِّمَهَا الْحُرُوفَ ، وَتَعَلَّمَتْ التَّهَجِّي ، وَالتَّحَقُّقَ بِمَرَكِزِ تَحْفِيزِ الْقُرْآنِ ، وَاسْتَمَرَّتْ حَتَّى حَفِظَتْ الْقُرْآنَ بِإِتْقَانٍ ، وَقَدْ بَلَغَتْ السَّبْعِينَ .

وَهَذِهِ أُمُّ خَلِيل ، امْرَأَةٌ طَاعِنَةٌ فِي السِّنِّ ، أَحَبَّتِ الْقُرْآنَ حُبًّا مَلَكَ عَلَيْهَا كُلَّ جَوَارِحِهَا ، فَطَلَبَتْ مِنْ ابْنِهَا أَنْ يُعَلِّمَهَا حُرُوفَ الْهَجَاءِ ، فَتَعَلَّمَتْ ثُمَّ التَّحَقُّقَ بِحَلَقَاتِ التَّحْفِيزِ ، وَحَفِظَتْ الْقُرْآنَ بِإِتْقَانٍ ، وَلَمْ تَكْتَفِ بِذَلِكَ ، بَلْ بَدَأَتْ بِتَحْفِيزِ بَنَاتِ جَنْسِهَا ، وَأَغْلَبَ الطَّالِبَاتِ كُنَّ أُمِّيَّاتٍ ، لَكِنْ تَغَلَّبْنَ عَلَى أُمِّيَّةِ الْقِرَاءَةِ وَأُمِّيَّةِ الْحِفْظِ ، وَبَلَغَ مِنْ حَفْظِنَ عَلَى يَدَيْهَا الْآلَافَ ، وَامْتَدَّ نَشَاطُهَا لِيَشْمَلَ أَرْجَاءَ الْمَمْلَكَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ بِأَسْرَها ، وَصَدَقَ الْقَائِلُ : « مُعْظَمُ الْإِنْجَازَاتِ الْكُبْرَى مَدِينَةُ لِلْعَزِيمَةِ وَالْإِصْرَارِ ، وَلَا يُغْنِي عَنْهَا عِلْمٌ وَلَا مَوْهَبَةٌ » .

تَحَوَّلَتْ إِرَادَتُهُ إِلَى عَزْمٍ ، ثُمَّ تَحَوَّلَ الْعَزْمُ إِلَى عَمَلٍ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ - تَعَالَى - :
 ﴿ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا ﴾ [الإِسْرَاءُ : ١٩] .

وَلِلَّهِ دَرَأُ أَبِي الطَّيِّبِ حِينَ قَالَ :

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
 وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ ^(١)

(١) « دِيَوَانُ أَبِي الطَّيِّبِ » (ص ١٣١) .

٦ - الهمّةُ العَالِيَةُ (١)

هَمَّتِي هَمَّةُ الْمُلُوكِ، وَنَفْسِي نَفْسُ حُرٍّ تَرَى الْمَذَلَّةَ كُفْرًا!! (٢)

كُنْ عَالِيَ الْهَمَّةِ فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، فَإِذَا حَفِظْتَ فَجُودٌ ، وَإِذَا جُودَتَهُ فَاطْلُبِ الْقِرَاءَاتِ عَنْ أَهْلِهَا ، وَاحْفَظْ مُتُونَ التَّجْوِيدِ : كَالْتَّحْفَةِ ، وَالْجَزَرِيَّةِ ، وَالشَّاطِيبِيَّةِ ، وَالذُّرَّةِ ، وَالنَّشْرِ .

وَاطْلُبِ الْإِجَازَةَ بِالسَّنَدِ ، وَاسْمُ بِهِمَّتِكَ إِلَى طَلَبِ عُلوِّ الْإِسْنَادِ ، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا تَحْفَظَ آيَةً حَتَّى تَعْرِفَ تَفْسِيرَهَا ، وَأَسْبَابَ نَزْوِهَا ، وَأَحْكَامَهَا ، وَإِعْرَابَهَا - فَافْعَلْ .

فَهَذَا ابْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ : « وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، مَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ سُورَةٍ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ حَيْثُ نَزَلَتْ ، وَمَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيهَا أَنْزَلَتْ ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي ، تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ - لَرَكَبْتُ إِلَيْهِ » . (٣)

(١) انْظُرْ كِتَابِي « هَمَّةُ الْمُلُوكِ » ، فَإِنَّكَ إِنْ تَظَفَّرَ بِهِ تَظَفَّرَ بِحَظِّ سِنِّي ، فَهُوَ فَرَسٌ أَذْهَمُ مُلْجَمَةٌ ، يَطِيرُ بِكَ إِلَى سَمَاءِ الْعُلَا ، وَلَيْسَ الْحَبْرُ كَالْمُعَايِنَةِ .

إِنْ لَمْ تُعَايِنْ فَضْلَهُ وَكَمَالَهُ
وَعَدَوَاتٍ مِنْهُ فِي مَحَلِّ نَارِجٍ
تَظَفَّرَ بِنُورٍ كَالْمَجَرَّةِ لَانِحٍ

(٢) « دِيَوَانُ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ » (ص ٤٧) .

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٤٦٣) .

قَالَ الْبَارُودِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

وَمَنْ تَكُنِ الْعِلْيَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحَبَّبٌ ^(٢)

فَطَرِ بِهِمَّتِكَ إِلَى أَعْظَمِ وَأَشْرَفِ مَطْلُوبٍ، وَهُوَ حِفْظُ كِتَابِ اللَّهِ .
لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا سَيِّدُ فِطْنٍ بِمَا يَشُقُّ عَلَى السَّادَاتِ فَعَالٌ
لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالٌ ^(٣)

وَمِمَّا يَسْمُدُ بِهِمَّتِكَ لِحِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَا يَأْتِي :

١ - الْقِرَاءَةُ فِي فَضْلِ حَافِظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ . ^(٣)

٢ - قِرَاءَةُ سِيرِ السَّلَفِ وَحَيَاتِهِمْ مَعَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، تَعَلُّماً وَتَعْلِيماً مِنْ
لَدُنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا ^(٤) ، لَتَعْرِفَ
هِمَّهُمْ فِي تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ وَتَعْلِيمِهِ لِلنَّاسِ ، وَكَيْفَ سَمَتَ بِهِمْ هِمَّهُمْ ، وَكَيْفَ
صَارُوا أَئِمَّةً فِي هَذَا الشَّانِ ، يُشَارُهُمْ بِالْبَنَانِ ، وَلَوْ شِئْتُ لَسَرَدْتُ لَكَ طَرَفًا
مِنْ مَآثِرِ الْقَوْمِ وَعُلُوِّ هِمَّتِهِمْ ، مَا يَجْعَلُكَ تَصْنَعُ مِنْ دُمُوعِكَ أَجْنَحَةً تَطِيرُ

(١) جَوَاهِرُ الْأَدَبِ (١/ ٤٤٠) .

(٢) التَّبَصُّرَةُ لابْنِ الْجَوْزِيِّ (١/ ٣٥٣) .

(٣) انْظُرْ كِتَابِي «أَوْسَمَةُ حَافِظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ» ، ذَكَرْتُ فِيهِ مَنْزِلَةَ حَافِظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَفَضْلَهُ
فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، إِنَّ تَطَفُّرَ بِهِ تَطَفُّرَ بَعْطِفِهِ كَحَادٍ مُشَوِّقٍ وَسَائِقٍ مُقَرِّعٍ .

فَكُنْ مَعَهُ تَطَفُّرٌ بِمَا شِئْتُ مِنْ مَنَى مُصَادِفُهَا بِالصَّالِحَاتِ يَفُوزُ

(٤) انْظُرْ «طَبَقَاتُ الْقُرَاءِ» لِلذَّهَبِيِّ ، «وَعَايَةُ النَّهْيَةِ» ، لابْنِ الْجَوْزِيِّ ، «وَشُمُوسُ الْقُرَاءِ» لِأَحَدِ
الْمُعَاصِرِينَ ، وَهُوَ الدُّكْتُورُ أَيْمَنُ سُوَيْدٌ ، فَهَذِهِ الْكُتُبُ وَغَيْرُهَا هِيَ سَرَجُ الْهِمَّةِ .

صِنَاعَةُ الْحِفْظِ

بَهَا إِلَى سَمَاءِ الْعُلَا، أَوْ تَنْهَضُ إِلَى صَهَوَاتِ الْمَجْدِ، أَوْ تَجْعَلُكَ كَالصَّقْرِ فِي هَمَّتِهِ وَعَزْمِهِ .

قَالَ عَبْدُ الْوَهَّابِ عَزَّامٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

قُلْتُ لِلصَّقْرِ - وَهُوَ فِي الْجَوِّ عَالٍ - اهْبِطِ الْأَرْضَ، فَالْهَوَاءُ جَدِيبٌ
قَالَ لِي الصَّقْرُ: فِي جَنَاحِي وَعَزْمِي وَعَنَانِ السَّمَاءِ مَرَعَى خَصِيبٌ ^(١)

(١) «مَوْسُوعَةُ الشُّعْرِ» (٢ / ١٥٩) .

٧- اغْتِنَامُ سِنِي الْحِفْظِ الذَّهَبِيَّةِ

بَادِرِ الْفُرْصَةَ ، وَاحْذَرْ فَوْتَهَا فَبُلُوغِ الْعِزِّ فِي نَيْلِ الْفُرْصِ
وَاعْتَنِمِ عُمُرَكَ إِبَّانَ الصَّبَا فَهُوَ إِنْ زَادَ مَعَ الشَّيْبِ نَقَصُ ^(١)

اعْتَنِمِ سِنِي الْحِفْظِ الذَّهَبِيَّةِ ، وَهِيَ مِنْ سِنِّ الْخَامِسَةِ ^(٢) ، إِلَى الْخَامِسَةِ
وَالْعَشْرِينَ فَالطَّالِبُ يَكُونُ حَفْظُهُ فِي الصَّغَرِ فِي الْقِمَّةِ ؛ لِأَنَّ ذَهْنَ الصَّغِيرِ
أَصْفَى مِنْ ذَهَنِ الْكَبِيرِ ، لِقِلَّةِ الْعَوَارِضِ ، وَالْمَشَاغِلِ .

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ صُهَيْبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «كَانَ مَلِكٌ فَيَمُنُ قَبْلَكُمْ ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ
، فَلَمَّا كَبَرَ ، قَالَ لِلْمَلِكِ : إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ ، فَأَبْعَثْ لِي غُلَامًا ؛ أَعَلِّمَهُ السَّحَرَ ،
فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يَعْلَمُهُ » ^(٣) .

(١) « دِيَوَانُ الْبَارُودِيِّ » (ص ٥٢٩) .

(٢) قَالَ الْغَوْثَانِيُّ : « أَفْضَلُ سِنِّ الْحِفْظِ يَبْدَأُ مِنَ الْخَامِسَةِ فِي الْأَغْلَبِ ، وَهُنَاكَ حَالَاتٌ لِأَطْفَالٍ
بَدَأُوا بِالْحِفْظِ وَهُمْ فِي الرَّابِعَةِ وَأَفْلَحُوا ، وَأَمَّا مَنْ هُوَ دُونَ ذَلِكَ فَمِنْ الْمُمَكِّنِ أَنْ يُرَكِّزَ لَهُ
عَلَى الْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَمِنْ الْمُمَكِّنِ تَلْقِينُ الطِّفْلِ فِي هَذَا السَّنِّ بِالسَّعَاءِ ، فَإِنَّهُ يَحْفَظُ كُلَّ مَا
يُحْمَلُ عَلَيْهِ ، بِشَرَطِ أَنْ يَكُونَ الْأُسْلُوبُ الَّذِي يَتَنَاسَبُ مَعَ عَقْلِهِ وَسِنِّهِ : كَطَرِيقَةِ الاسْتِفَادَةِ
مِنْ آلَةِ التَّسْجِيلِ الْمُكَرَّرِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ ، وَأَفْتَرَحُ أَنْ يَبْدَأَ الْأَبَوَانِ بِتَلْقِينِهِ قِصَارَ السُّورِ وَهُوَ
ابْنُ ثَلَاثِ سِنِينَ ، وَيُكْرَّرُ ذَلِكَ عَلَيْهِ يَوْمِيًّا ، وَيُطْلَبُ مِنْهُ قِرَاءَةُ مَا حَفِظَ أَمَامَ الْآخَرَيْنِ ؛
لِيَسْجَعَ عَلَى الْحِفْظِ ، وَلِيَكْسِرَ حَاجِزَ الْخَوْفِ وَالرَّهْبَةِ » انْظُرْ : كَيْفَ تَحْفَظُ الْقُرْآنَ ؟ لَهُ
(ص ٤١) .

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣٠٠٥) .

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِينَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ :

«وَفِيهِ فَائِدَةٌ ثَالِثَةٌ: وَهِيَ أَنَّ الشَّابَّ إِذَا ثَقَّفَ الْعِلْمَ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ صَارَ الْعِلْمُ كَالسَّجِيَّةِ لَهُ، وَالطَّبِيعَةِ لَهُ، وَصَارَ كَأَنَّهُ غَرِيزَةٌ قَدْ شَبَّ عَلَيْهِ، فَيَشِيبُ عَلَيْهِ» (١).

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

«الْعِلْمُ فِي الصَّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ» (٢).
وَقَالَ عَلَقَمَةُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : « أَمَّا مَا حَفِظْتُهُ وَأَنَا شَابٌّ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي قِرْطَاسَتِهِ أَوْ وَرَقِهِ » (٣).

وَلَكِنْ هُنَاكَ عَامِلٌ خَارِجِيٌّ يَحْرِقُ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ ، فَيُصْبِحُ الْحِفْظُ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ سَهْلًا مُيسِّرًا لِمَنْ يَسْرُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ .

أَتَدْرِي مَا هُوَ هَذَا الْعَامِلُ الْخَارِجِي ؟ !

إِنَّهُ الْإِيْمَانُ الصَّادِقُ ، وَالْهِمَّةُ الْعَالِيَةُ ، وَالْعَزِيمَةُ وَالتَّصْمِيمُ .

وَمَتَى وَجَدْتَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ فَأَبْشِرْ ، فَالطَّرِيقُ مُمَهَّدَةٌ ، وَالسُّبُلُ مُعَبَّدَةٌ .

وَقَدْ تَوَافَرَتْ تِلْكَ السُّبُلُ فِي كَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ ، وَهَلْ بُعِثَ النَّبِيُّ - صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَّا بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ ، وَحَفِظَ الْقُرْآنَ ، وَكَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ

(١) « شَرْحُ رِيَاضِ الصَّالِحِينَ » (١ / ٢١٤) .

(٢) « الْمَدْخُلُ إِلَى السُّنَنِ الْكُبْرَى » رقم (٦٤٠) ، وَرَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي « جَامِعِهِ » (١ / ٨٢) .

(٣) « الْمَدْخُلُ إِلَى السُّنَنِ الْكُبْرَى » رقم (٦٤٢) .

- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - مِنْهُمْ مَنْ كَانَ فِي سِنِّهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ أَكْبَرَ مِنْهُ سِنًّا ، فَحَفِظُوا الْقُرْآنَ .

وَقَدْ يَسَّرَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - الْقُرْآنَ لِلصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ ، فَقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ [القَمَر: ١٧] .

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

« أَيْ: وَلَقَدْ يَسَّرْنَا وَسَهَّلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَلْفَاظُهُ لِلْحِفْظِ وَالْأَدَاءِ ، وَمَعَانِيَهُ لِلْفَهْمِ وَالْعِلْمِ » ^(١) .

(١) « تَفْسِيرُ السَّعْدِيِّ » (ص: ٨٢٥-٨٢٦) .

٨- الصَّبْرُ

وَلَمْ أَرْ أَمْرًا وَاحِدًا مِنْ أُمُورِهَا أَعَزَّ وَلَا أَعْلَى مِنَ الصَّبْرِ لِلْحَقِّ (١)

الصَّبْرُ مِنْ أَعْظَمِ الْعَوْنِ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ صَبْرٍ عَلَى ضَبْطِ الْوَقْتِ ، صَبْرٍ عَلَى الْمُرَاجَعَةِ ، صَبْرٍ عَلَى التَّرْكِيزِ ، صَبْرٍ عَلَى الْمَعْلَمِ ، صَبْرٍ عَلَى التَّلْقِينِ - لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ حِفْظٌ ، وَأَنَا أُخْبِرُكَ أَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ عِشْرُونَ فَتَاةً، تَعَاهَدْنَ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ عِنْدَ مُعَلِّمَةٍ فَذَّةٍ ، وَمُرَبِّيةٍ فَاضِلَةٍ ، وَعَقَدْنَ الْعَزْمَ عَلَى التَّوَاصِي بِالصَّبْرِ ، وَمَا زَالَ ذَلِكَ دَائِبُهُنَّ حَتَّى وَفَّقَهُنَّ اللَّهُ فَحَفِظْنَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ كَامِلًا فِي شَهْرَيْنِ !! .

قَالَ الشَّاعِرُ :

أَيَا صَاحِبِي إِنْ رُمْتَ (٢) أَنْ تَكْسِبَ الْعُلَا
عَلَيْكَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
وَتَرْقَى إِلَى الْعِلْيَاءِ غَيْرُ مُزَاحِمٍ
فَمَا صَابِرٌ فِيمَا يَرُومُ بِنَادِمٍ (٣)

وَقَالَ آخَرُ :

فَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ ثُمَّ تَنْقُضِي
وَيَحْمَدُ غَبَّ السَّيْرِ مَنْ هُوَ سَائِرٌ

(١) « دِيَوَانُ أَبِي الْعَتَاهِيَّةِ » (ص ١٢٦) .

(٢) « رُمْتَ » : طَلَبْتَ وَأَرَدْتَ .

(٣) « جَوَاهِرُ الْأَدَبِ » (ص ٧١١) .

٩- الدُّعَاءُ

أَتَمُّ زَأْ بِالْدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيهِ وَمَا تَذَرِي بِمَا صَنَعَ الدُّعَاءُ
سِهَامُ اللَّيْلِ لَا تُخْطِي ، وَلَكِنْ هَا أَمَدٌ ، وَلِلْأَمَدِ انْقِضَاءٌ^(١)

مِمَّا يُعِينُ عَلَى الْحِفْظِ: الْإِلْتِجَاءُ إِلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وَسُؤَالُهُ الْعَوْنِ
عَلَى حِفْظِ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي
إِذَا دَعَاهُ ، فَهُوَ - جَلَّ جَلَالُهُ - أَمَرَ بِالْدُّعَاءِ وَوَعَدَ بِالْإِسْتِجَابَةِ .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ
إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٦٠)

[غافر: ٦٠] .

قَالَ الشُّوْكَانِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي هَذِهِ الْآيَةِ: « وَالْآيَةُ الْكَرِيمَةُ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ
الدُّعَاءَ مِنَ الْعِبَادَةِ ، فَإِنَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَمَرَ عِبَادَهُ أَنْ يَدْعُوهُ ثُمَّ قَالَ :
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ فَأَفَادَ ذَلِكَ أَنَّ الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ ، وَأَنَّ
تَرْكَ دُعَاءِ الرَّبِّ - سُبْحَانَهُ - اسْتِكْبَارٌ ، وَلَا أَقْبَحَ مِنْ هَذَا الْاسْتِكْبَارِ » .^(٢)
فَاجْتَهِدْ فِي الدُّعَاءِ أَنْ يُيسِّرَ اللَّهُ لَكَ حِفْظَ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ .

(١) « دِيْوَانُ الشَّافِعِيِّ » (ص ٣) .

(٢) « نَحْمَةُ الذَّاكِرِينَ » (ص ٢٨) .

صِنَاعَةُ الْحِفْظِ

فَبَعْضُ الْإِخْوَةِ قَبْلَ سَنَوَاتٍ دَعَا فِي عَرَفَةَ - وَهُوَ حَاجٌّ - أَنْ يَجْعَلَهُ اللَّهُ مِنْ حَفَظَةِ كِتَابِهِ ، وَكَانَ مِنْ أَضْعَفِ النَّاسِ حِفْظًا ، وَلَا يُصَدِّقُ أَحَدٌ مِمَّنْ كَانَ يَعْرِفُهُ أَنَّهُ سَيَكُونُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ حَافِظًا لِكِتَابِ اللَّهِ ، فَمَا مَضَتْ سَنَتَانِ إِلَّا وَهُوَ يَحْفَظُ كِتَابَ اللَّهِ كَامِلًا حِفْظًا مُتَقَنًا ، وَشَرَعَ الْآنَ فِي دِرَاسَةِ الْقِرَاءَاتِ ، فَشَمَّرَ عَنْ سَاعِدِ الْجَدِّ ، وَانْطَرَحَ بَيْنَ يَدَيْ مَوْلَاكَ ، وَاسْأَلَهُ أَنْ يُيسِّرَ لَكَ حِفْظَ كِتَابِهِ ، فَإِنَّكَ تَدْعُو كَرِيمًا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « إِنَّ اللَّهَ حَيِّيٌّ كَرِيمٌ ، يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الْعَبْدُ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ » (١) .

وَهُنَاكَ تَنْبِيهٌُ مُهِمٌّ : وَهُوَ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ دُعَاءٌ مُخْصِصٌ لِحِفْظِ الْقُرْآنِ ، وَلَيْسَ هُنَاكَ صَلَاةٌ مُعَيَّنَةٌ تُعِينُ عَلَى الْحِفْظِ ، وَكُلُّ مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ لَا أَصْلَ لَهُ ، وَإِنَّمَا تَدْعُو اللَّهَ بِمَا فَتَحَ عَلَيْكَ .

(١) (صَحِيحُ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٣٧٦٥) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (١٧٥٧) عَنْ سَلْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .

١٠ - الخطة الواضحة

وَلَوْ أَنِّي أَرْضَى الدَّيْنَاءَ خُطَّةً لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ أَحَقَّ أَهْلِهَا (١)

كُلُّ عَمَلٍ نَاجِحٍ فِي الْحَيَاةِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ خُطَّةٍ ، وَالخُطَّةُ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ هَدَفٍ وَاضِحٍ ، وَهَدَفُنَا « حِفْظُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ » .

فَإِذَا بَدَأْتَ الْحِفْظَ دُونَ أَنْ تَنْوِيَ هَذَا الْأَمْرَ ، وَتَرْسِمَ ، لِنَفْسِكَ خُطَّةً تَسِيرُ عَلَيْهَا ، لَا تَحِيدُ عَنْهَا ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي هَلْ نَجَحْتَ أَمْ فَشِلْتَ ، كَمَا أَنَّ التَّخْطِيطَ الْفَاشِلَ طَرِيقٌ لِلْفَشْلِ .

وَالخُطَّةُ - أَيْضًا - تَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَةِ الْإِمْكَانِيَّاتِ الْمُتَاحَةِ ، وَهِيَ تَخْتَلِفُ مِنْ شَخْصٍ إِلَى آخَرَ ، فَهَذَا شَخْصٌ يَتَّصِفُ بِالذَّاكِرَةِ الْقَوِيَّةِ ، وَسُرْعَةِ الْحِفْظِ ، وَآخَرُ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ تَمَامًا ، وَهَذَا لَهُ ظَرْفُهُ ، وَهَكَذَا (٢) .

فَإِذَا كُنْتَ تُرِيدُ حِفْظَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، فَحَدِّدِ الْوَقْتَ الَّذِي يَنَاسِبُكَ لِهَذَا الْأَمْرِ ، بِحَيْثُ تَجْعَلُهُ جُزْءًا مِنْ حَيَاتِكَ ، وَتَجْعَلُ لَهُ نِسْبَةً مُعَيَّنَةً مِنَ الْحِفْظِ . وَسَوْفَ أُحَدِّدُ لَكَ الْحِفْظَ وَالْوَقْتَ وَأَنْتَ تَخْتَارُ مَا يَنَاسِبُكَ ، وَيُنَاسِبُ وَقْتَكَ وَمَقْدَرَتَكَ .

(١) « دِيَوَانُ أَبِي إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِيِّ » (ص ٤٧) .

(٢) انْظُرْ : « كَيْفَ تُحْفِظُ الْقُرْآنَ » د. رَاغِبُ السَّرْجَانِي (ص ٢٧) بِتَصَرُّفٍ .

صِنَاعَةُ الْحِفْظِ

- ١- إِذَا حَفِظْتَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي الْيَوْمِ آيَةً وَاحِدَةً فَقَطْ ، فَسَوْفَ تَحْفَظُهُ فِي ١٧ سَنَةً ، وَ ٧ أَشْهُرٍ ، وَ ٩ أَيَّامٍ .
- ٢- وَإِذَا حَفِظْتَ فِي الْيَوْمِ آيَتَيْنِ ، فَسَتَحْفَظُ الْقُرْآنَ فِي ٨ سَنَوَاتٍ ، وَ ٩ أَشْهُرٍ ، وَ ١٨ يَوْمًا .
- ٣- وَإِذَا حَفِظْتَ فِي الْيَوْمِ ٣ آيَاتٍ ، فَسَتَحْفَظُ الْقُرْآنَ فِي ٥ سَنَوَاتٍ ، وَ ١٠ أَشْهُرٍ ، وَ ١٣ يَوْمًا .
- ٤- إِذَا حَفِظْتَ فِي الْيَوْمِ ٤ آيَاتٍ ، فَسَتَحْفَظُ الْقُرْآنَ فِي ٤ سَنَوَاتٍ ، وَ ٤ أَشْهُرٍ ، وَ ٢٤ يَوْمًا .
- ٥- إِذَا حَفِظْتَ فِي الْيَوْمِ ٥ آيَاتٍ ، فَسَتَحْفَظُ الْقُرْآنَ فِي ٣ سَنَوَاتٍ ، وَ ٦ أَشْهُرٍ ، وَ ٧ أَيَّامٍ .
- ٦- إِذَا حَفِظْتَ فِي الْيَوْمِ ٦ آيَاتٍ ، فَسَتَحْفَظُ الْقُرْآنَ فِي سَتَيْنِ ، وَ ١١ شَهْرًا ، وَ ٤ أَيَّامٍ .
- ٧- إِذَا حَفِظْتَ فِي الْيَوْمِ ٧ آيَاتٍ ، فَسَتَحْفَظُ الْقُرْآنَ فِي سَتَيْنِ ، وَ ٦ أَشْهُرٍ ، وَ ٣ أَيَّامٍ .
- ٨- إِذَا حَفِظْتَ فِي الْيَوْمِ ٨ آيَاتٍ ، فَسَتَحْفَظُ الْقُرْآنَ فِي سَتَيْنِ ، وَ شَهْرَيْنِ ، وَ ١٢ يَوْمًا .
- ٩- إِذَا حَفِظْتَ فِي الْيَوْمِ ٩ آيَاتٍ ، فَسَتَحْفَظُ الْقُرْآنَ فِي سَنَةٍ ، وَ ١١ شَهْرًا ،

و ١٢ يَوْمًا .

١٠- إِذَا حَفِظْتَ فِي الْيَوْمِ ١٠ آيَاتٍ ، فَسَتَحْفَظُ الْقُرْآنَ فِي سَنَةٍ ، وَ ٩ أَشْهُرٍ ،
و ٣ أَيَّامٍ .

١١- إِذَا حَفِظْتَ فِي الْيَوْمِ ١١ آيَةً ، فَسَتَحْفَظُ الْقُرْآنَ فِي سَنَةٍ ، وَ ٧ أَشْهُرٍ ،
و ٦ أَيَّامٍ .

١٢- إِذَا حَفِظْتَ فِي الْيَوْمِ ١٢ آيَةً ، فَسَتَحْفَظُ الْقُرْآنَ فِي سَنَةٍ ، وَ ٥ أَشْهُرٍ ،
و ١٥ يَوْمًا .

١٣- إِذَا حَفِظْتَ فِي الْيَوْمِ ١٣ آيَةً ، فَسَتَحْفَظُ الْقُرْآنَ فِي سَنَةٍ ، وَ ٤ أَشْهُرٍ ،
و ٦ أَيَّامٍ .

١٤- إِذَا حَفِظْتَ فِي الْيَوْمِ ١٤ آيَةً ، فَسَتَحْفَظُ الْقُرْآنَ فِي سَنَةٍ ، وَ ٣ أَشْهُرٍ
فَقَطُّ .

١٥- إِذَا حَفِظْتَ فِي الْيَوْمِ ١٥ آيَةً ، فَسَتَحْفَظُ الْقُرْآنَ فِي سَنَةٍ ، وَ شَهْرَيْنِ ،
وَيَوْمٍ .

١٦- إِذَا حَفِظْتَ فِي الْيَوْمِ ١٦ آيَةً ، فَسَتَحْفَظُ الْقُرْآنَ فِي سَنَةٍ ، وَ شَهْرٍ ، وَ ٦
أَيَّامٍ .

١٧- إِذَا حَفِظْتَ فِي الْيَوْمِ ١٧ آيَةً ، فَسَتَحْفَظُ الْقُرْآنَ فِي سَنَةٍ ، وَ ١٠ أَيَّامٍ
فَقَطُّ .

صِنَاعَةُ الْحِفْظِ

١٨- إِذَا حَفِظْتَ فِي الْيَوْمِ ١٨ آيَةً ، فَسَتَحَفِظُ الْقُرْآنَ فِي ١١ شَهْرًا ، وَ ١٥ يَوْمًا .

١٩- إِذَا حَفِظْتَ فِي الْيَوْمِ ١٩ آيَةً ، فَسَتَحَفِظُ الْقُرْآنَ فِي ١١ شَهْرًا ، وَيَوْمًا .

٢٠- إِذَا حَفِظْتَ فِي الْيَوْمِ ٢٠ آيَةً ، فَسَتَحَفِظُ الْقُرْآنَ فِي ١٠ شَهْرًا ، وَ ١٦ يَوْمًا .

٢١- إِذَا حَفِظْتَ فِي الْيَوْمِ نِصْفَ وَجْهِ ، فَسَتَحَفِظُ الْقُرْآنَ فِي ٣ سَنَوَاتٍ ، وَ ٤ أَشْهُرٍ ، وَ ٢٤ يَوْمًا .

٢٢- إِذَا حَفِظْتَ فِي الْيَوْمِ وَجْهًا وَاحِدًا ، فَسَتَحَفِظُ الْقُرْآنَ فِي سَنَةٍ ، وَ ٨ أَشْهُرٍ ، وَ ١٢ يَوْمًا .

٢٣- إِذَا حَفِظْتَ فِي الْيَوْمِ وَجْهَيْنِ اثْنَيْنِ ، فَسَتَحَفِظُ الْقُرْآنَ فِي ١٠ أَشْهُرٍ ، وَ ٦ أَيَّامٍ فَقَطْ .

وَمَا سَبَقَ جَدُّوْلُنَاهُ فِيمَا يَأْتِي :

بِرْنَامَجْ مُيَسَّرُ لِحِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

مُدَّةُ حِفْظِ الْقُرْآنِ كَامِلًا			مِقْدَارُ الْحِفْظِ الْيَوْمِي	مُدَّةُ حِفْظِ الْقُرْآنِ كَامِلًا			مِقْدَارُ الْحِفْظِ الْيَوْمِي
يَوْم	شَهْر	سَنَة		يَوْم	شَهْر	سَنَة	
٦	٤	١	١٣ آيَة	٩	٧	١٧	آيَة وَاحِدَة
—	٣	١	١٤ آيَة	١٨	٩	٨	آيَتَانِ
١	٢	١	١٥ آيَة	١٣	١٠	٥	٣ آيَاتٍ
٦	١	١	١٦ آيَة	٢٤	٤	٤	٤ آيَاتٍ
١٠	—	١	١٧ آيَة	٧	٦	٣	٥ آيَاتٍ
١٩	١١	—	١٨ آيَة	٤	١١	٢	٦ آيَاتٍ
١	١١	—	١٩ آيَة	٣	٦	٢	٧ آيَاتٍ
١٦	١٠	—	٢٠ آيَة	١٢	٢	٢	٨ آيَاتٍ
٢٤	٤	٣	نِصْفُ وَجْهِ	١٢	١١	١	٩ آيَاتٍ
١٢	٨	١	وَجْهِ وَاحِدٌ	٣	٩	١	١٠ آيَاتٍ
٦	١٠	—	وَجْهَانِ	٦	٧	١	١١ آيَاتٍ
				١٥	٥	١	١٢ آيَاتٍ

صِنَاعَةُ الْحِفْظِ

تِلْكَ - أَخِي - بَعْضُ الْخُطَطِ ، فَاتَّخِذْ لِنَفْسِكَ خُطَّةً تَتَنَاسَبُ وَظَرْفَكَ ،
وَكُنْ عَالِيِ الْهِمَّةِ ، قَوِيِ الْعَزِيمَةِ ، لَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ بِالْذُّونِ ، وَلَا تَقْنَعُ بِمَا
دُونَ النُّجُومِ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَنْ جَدَّ وَجَدَّ ، وَمَنْ زَرَعَ حَصَدَ ، وَاللَّهُ الْمُوفِّقُ .

فَحَيَّهَلَا إِنْ كُنْتَ ذَا هِمَّةٍ فَقَدْ حَدَابِكَ حَادِي الشَّوْقِ ، فَاطُوا الْمَرَّاحِلَا
وَلَا تَتَنَظَّرُ بِالسَّيْرِ رُفْقَةً قَاعِدٍ وَدَعُهُ ؛ فَإِنَّ الشَّوْقَ يَكْفِيكَ حَامِلَا

١١ - اخْتِيَارُ الْوَقْتِ

وَمَا الْوَقْتُ إِلَّا طَائِرٌ يَأْخُذُ الْمَدَى فَبَادِرْهُ؛ إِذْ كُلُّ النَّهْيِ ^(١) فِي بَدَارِهِ ^(٢)

١ - الْأَسْحَارُ :

أَجُودُ أَوْقَاتِ الْحِفْظِ السَّحَرُ فِي هَدَاةِ اللَّيْلِ ، لِوُجُودِ صَفَاءِ الذَّهْنِ ، وَرَاحَةِ الْجَسَدِ ؛ وَلَأنَّ الدِّمَاغَ يَكُونُ جَاهِزًا لِلْحِفْظِ .

وَالسَّحَرُ: هُوَ الثُّلُثُ الْأَخِيرُ مِنَ اللَّيْلِ ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَسْبِقَهُ نَوْمٌ .

وَقَالَ ابْنُ جَمَاعَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : « أَجُودُ الْأَوْقَاتِ لِلْحِفْظِ الْأَسْحَارُ » ^(٣) .

وَقَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : « اعْلَمْ أَنَّ لِلْحِفْظِ سَاعَاتٍ يَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ التَّحْفُظَ أَنْ يُرَاعِيَهَا ، فَأَجُودُ الْأَوْقَاتِ الْأَسْحَارُ » ^(٤) .

وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

« إِذَا هَمَمْتَ أَنْ تَحْفَظَ شَيْئًا فَنَمْ ، وَقُمْ عِنْدَ السَّحَرِ ، فَأَسْرِجْ وَانْظُرْ فِيهِ ؛ فَإِنَّكَ لَا تَنْسَاهُ بَعْدُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - » ^(٥) .

(١) النَّهْيُ : الْعَقْلُ .

(٢) « دِيَوَانُ الْمَعْرِيِّ » (ص ٥٥٢) .

(٣) « تَذَكُّرَةُ السَّامِعِ » (ص ٧٢) .

(٤) « الْفَقِيهَةُ وَالْمُتَّقَةُ » (١٠٣ / ٢) .

(٥) « الْجَامِعُ فِي الْحَثِّ عَلَى حِفْظِ الْعِلْمِ » (ص ١٧٧) .

وَسُئِلَ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

مَا أَعَوَّنَ الْأَشْيَاءَ عَلَى الْحِفْظِ ؟ .

قَالَ : « قِلَّةُ الْغَمِّ ، وَقِلَّةُ الْغَمِّ إِنَّمَا يَكُونُ إِذَا كَانَ الْقَلْبُ خَالِيًا ، وَذَلِكَ فِي هَذِهِ اللَّيْلِ » ^(١) .

وَقَدْ ذَكَرَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارُ الشَّنْقِيطِيُّ أَنَّ مِنْ وَسَائِلِ الشَّنَاقِطَةِ وَطُرُقِهِمْ فِي الْحِفْظِ - وَهُمْ مَضْرَبُ الْمَثَلِ فِي قُوَّةِ الْحَافِظَةِ وَالذِّكَاةِ - : « اغْتِنَامُ لَحَظَاتِ السَّحَرِ فِي تَثْبِيتِ الْحِفْظِ ، فَلَا تَكَادُ تَجِدُ طَالِبًا مِنْ طُلَابِ الْمَحْضَرَةِ ^(٢) فِي وَقْتِ السَّحَرِ نَائِمًا ، بَلْ يَزُجُّونَ عَنِ النَّوْمِ فِي هَذَا الْوَقْتِ . حَدَّثَنِي الْوَالِدُ - حَفِظَهُ اللَّهُ - قَالَ : كَانَ إِذَا صَعِبَ عَلَيْنَا حِفْظُ شَيْءٍ ، أَنْتَظِرْنَا بِهِ السَّحَرَ ، فَيَسْهَلُهُ اللَّهُ عَلَيْنَا .

وَلَا رَيْبَ أَنَّهَا لَحَظَاتٌ مُبَارَكَةٌ ؛ لِأَنَّهَا وَقْتُ النُّزُولِ الْإِلَهِيِّ ، وَوَقْتُ الْهَبَاتِ وَالْأَعْطِيَّاتِ .

وَسَاعَاتُ السَّحَرِ هِيَ لَحَظَاتُ الْإِذْلَاجِ الَّتِي أَوْصَى النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ

(١) «الْمَرْجِعُ السَّابِقُ» (ص ١٧٧) .

(٢) الْمَحْضَرَةُ : مُؤَسَّسَةُ تَعْلِيمِيَّةٌ بَدَوِيَّةٌ مُتَنَفِّلَةٌ ، تَكُونُ مُتَخَصِّصَةً فِي فَنٍّ مُعَيَّنٍ ، وَأَحْيَانًا شَامِلَةً جَامِعَةً لِشَتَّى الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ ، تَضُمُّ جَمَاعَةً مِنَ الطُّلَابِ ، مُخْتَلِفَةً أَعْمَارُهُمْ ، تَحْيَا حَيَاةَ اجْتِمَاعِيَّةٍ بَسِيطَةً ، هَدَفُهَا التَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ ، وَتَحْصِيلُ التَّقْوَى وَالْخُلُقِ الْكَرِيمِ ، يُدِيرُهَا مُعَلِّمٌ فِي فَنٍّ أَوْ فُنُونٍ يَسْهَرُ عَلَى التَّدْرِيسِ فِيهَا ، وَرِعَايَةُ هَدَفِهَا حِسْبَةً ، وَرَبَّمَا ضَمَّ إِلَى مَهَامِ التَّدْرِيسِ إِمَامَةً وَقَضَاءَ الْقَرْيَةِ أَوْ الْبَلَدَةِ ، وَيُلَقَّبُ بِـ (الْمُرَابِطِ) ، وَقَدْ يُلَقَّبُ (طَالِبًا) .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالسَّيْرِ إِلَى اللَّهِ فِيهَا ، كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» - رَحِمَهُ اللَّهُ - :
«وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ ، وَالرَّوْحَةِ ، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ» ^(١) .

وَهِيَ سِيرٌ آخِرُ اللَّيْلِ .

وَذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالتَّفْسِيرِ آثَارًا عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ -
فِي انْتِظَارِ يَعْقُوبَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَزَمَانِ الْإِجَابَةِ حِينَ قَالَ لَهُ أَبْنَاؤُهُ : ﴿ قَالُوا
يَتَأَبَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ ^(٩٧) [يُوسُفُ : ٩٧] .

فَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ
الرَّحِيمُ ﴾ ^(٩٨) [يُوسُفُ : ٩٧] ، أَنَّهُ أَخْرَجَهُمْ إِلَى وَقْتِ السَّحَرِ ^(٢) .

وَصَابِطُ وَقْتِ السَّحَرِ - عَلَى الصَّحِيحِ - أَنَّهُ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ بِسَاعَةٍ
تَقْرِيْبًا ، عَلَى مَا حَقَّقَهُ الْحَافِظُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي «الْفَتْحِ» ^(٣) .

٢- بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ :

يَأْتِي الْوَقْتُ بَعْدَ الْفَجْرِ بَعْدَ السَّحَرِ ، وَيَزِيدُ عَلَيْهِ كَوْنُهُ مُبَارَكًا .
فَعَنْ صَخْرِ الْغَامِدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا» ^(٤) .

(١) «رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ» (٣٩) .

(٢) «الدُّرُّ الْمَنْشُورُ» (٥٨٤ / ٤) ، وَتَفْسِيرُ الْمَآوَرِدِيِّ (٧٩ / ٣) .

(٣) «أَرْشِفُ مُلْتَقَى أَهْلِ الْحَدِيثِ» (٤١٩ / ٨٦) .

(٤) (صَحِيحُ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٥٥٩٥) ، وَأَبُو دَاوُدَ (٢٦٠٦) ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (١٣٠٠) .

والبُكُورُ: هُوَ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، فَهُوَ أَوَّلُ النَّهَارِ ، وَيُعَدُّ هَذَا الْوَقْتُ مِنْ أَفْضَلِ الْأَوْقَاتِ ؛ لِوُجُودِ الْبَرَكَةِ ، ثُمَّ وَجُودِ غَازِ الْأُوزُونِ ، الَّذِي يُنَشِّطُ الدِّمَاغَ وَالْجَسَدَ ، وَبِالتَّالِي يُكَوِّنُ الْحِفْظَ أَمْتَنَ .

يَقُولُ الدُّكْتُورُ عَبْدُ الْحَمِيدِ ذِيَابُ :

« أَمَّا الْفَوَائِدُ الصَّحِيَّةُ الَّتِي يَحْنِيهَا الْإِنْسَانُ بِحِفْظِ الْفَجْرِ فَهِيَ كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا : تَكُونُ أَعْلَى نِسْبَةِ لُغَازِ الْأُوزُونِ ^(١) فِي الْجَوْ عِنْدَ الْفَجْرِ ، وَتَقِلُّ تَدْرِيجًا حَتَّى تَضْمَحَلَّ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَلِهَذَا الْغَازُ تَأْثِيرٌ مُفِيدٌ لِلْجِهَازِ الْعَصَبِيِّ ، وَمُنَشِّطٌ لِلْعَمَلِ الْفِكْرِيِّ وَالْعَضَلِيِّ ، بِحَيْثُ يَجْعَلُ لِلْإِنْسَانِ عِنْدَمَا يَسْتَنَشِقُ نَسِيمَ الْفَجْرِ الْجَمِيلِ الْمُسَمَّى بِرِيحِ الصَّبَا لَذَّةً وَنَشْوَةً ، لَا تُشَبِّهُ لَهَا فِي أَيِّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ النَّهَارِ أَوْ اللَّيْلِ » ^(٢) .

٣- قَبْلَ النَّوْمِ :

أَثْبَتَ التَّجَارِبُ الْحَدِيثَةُ أَنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَوْقَاتِ الْحِفْظِ قَبْلَ النَّوْمِ بِقَلِيلٍ ، حَيْثُ أَنَّ الْعَقْلَ الْبَاطِنَ يَنْشَغِلُ وَهُوَ نَائِمٌ بِآخِرِ مَا كَانَ يُفَكِّرُ الْمَرْءُ فِيهِ ، وَفِي هَذَا الْوَقْتُ يَكُونُ الْجَوْ هَادِئًا ، وَالذَّهْنُ صَافِيًا .

وَمَتَى فَتَحْتَ الْمُصْحَفَ وَتَأَمَّلْتَ كُلَّ آيَةٍ بِتَرْكِيزٍ ، وَأَيْنَ مَوْقِعَهَا ، وَقَرَأْتَهَا

(١) الرِّجَالُ يَكُونُ حِفْظُهُمْ بَعْدَ الْفَجْرِ فِي الْمَسْجِدِ أَفْضَلَ ؛ حَيْثُ بَرَكَةُ الْمَسْجِدِ ، وَتُفْتَحُ النَّوَافِذُ ، وَكَذَلِكَ النِّسَاءُ يَفْتَحْنَ النَّوَافِذَ ؛ لِدُخُولِ غَازِ الْأُوزُونِ ، وَحَتَّى لَوْ كَانَ الْجَوْ بَارِدًا ، فَتُفْتَحُ

بِمِقْدَارٍ .

(٢) « مَعَ الطَّبِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ » (ص ١٠٨) .

بَتَمَعْنِ ، ثُمَّ قُمْتَ مِنَ السَّحَرِ لِتَحْفَظَهَا - تَجِدُهَا سَهْلَةً الْحِفْظِ .

٤- بَعْدَ الْمَغْرِبِ :

بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ إِلَى صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَقْتُ مُنَاسِبٍ لِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ يَظْلُونَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَى وَقْتِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ .

٥- بَعْدَ الْعَصْرِ :

بَعْدَ الْعَصْرِ هُوَ وَقْتُ مُتَّسِعٍ إِذَا اسْتُغِلَّ الاسْتِغْلَالُ الْأَمْثَلُ لِلْحِفْظِ ، وَالتَّلَقِّي عَنِ الشُّيُوخِ ، مَعَ الْمَوَاطَبَةِ وَالِاسْتِمْرَارِ وَالْعَزِيمَةِ وَالِإِصْرَارِ ، وَاللَّهُ الْمُوفِيُّ .

٦- بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ :

لَوْ أَنَّكَ خَصَّصْتَ عَشْرَ دَقَائِقَ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ ، فَبَعْدَ الصَّلَاةِ تَكُونُ مُرْتَاحًا نَفْسِيًّا ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ رَاحَةً كَمَا فِي الْحَدِيثِ : « يَا بَلَاءُ ، أَقِمِ الصَّلَاةَ ؛ أَرْحَنَا بِهَا » ^(١) .

وَكُلَّمَا كَانَ الْإِنْسَانُ مُرْتَاحًا نَفْسِيًّا ، كَانَ تَرْكِيزُهُ فِي أَوْجِ اكْتِمَالِهِ ، وَلَوْ أَنَّكَ عَمِلْتَ لِنَفْسِكَ بَرَنَاجًا لِحِفْظِ الْقُرْآنِ كَامِلًا فِي عَشْرِ دَقَائِقَ ، لِكَانَ ذَلِكَ سَهْلًا مُيسَّرًا .

أَيُّ : أَنَّكَ تُخَصِّصُ عَشْرَ دَقَائِقَ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ ، فَتَحْفَظُ ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ فِي عَشْرِ دَقَائِقَ ، لِأَنَّ الصَّفْحَةَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَتَكَوَّنُ مِنْ خَمْسَةِ عَشْرِ سَطْرًا ،

(١) رَوَاهُ دَاوُدَ (٤٩٨٥) ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٧٨٩٢) .

صِنَاعَةُ الْحِفْظِ

تُجَزَّؤُهَا إِلَى خَمْسَةِ أَجْزَاءٍ ، كُلُّ جُزْءٍ عِبَارَةٌ عَنْ ثَلَاثَةِ أَسْطُرٍ ، وَلَوْ افْتَرَضْنَا أَنَّكَ بَطِيءُ الْحِفْظِ جِدًّا ، وَأَنَّ الْكَلِمَةَ تَسْتَغْرِقُ مَعَكَ لِحْفَظَهَا نِصْفَ دَقِيقَةٍ ، وَبِالتَّالِيِ تَحْتَاجُ إِلَى عَشْرِ دَقَائِقَ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ ، وَهَكَذَا تَحْتَاجُ لِحْفَظِ الْجُزْءِ الْوَاحِدِ وَاحِدًا وَعِشْرِينَ يَوْمًا فَقَطْ ، وَبِالتَّالِيِ لَنْ تَحْتَاجَ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ سَنَةٍ وَثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ تَقْرِيْبًا (أَيْ : أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ وَسِتِّمِائَةَ يَوْمٍ) ، وَلَيْسَ ذَلِكَ كَثِيرًا ، لَوْ أَنَّنَا حَسَبْنَا مِقْدَارَ الْوَقْتِ الَّذِي نَهْدِرُهُ مِنْ عُمرِنَا ، وَقَارَنَاهُ بِهِ .

وَالطَّرِيقَةُ هِيَ كَالآتِي :

- ١ - عَشْرُ دَقَائِقَ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ (ثَلَاثَةُ أَسْطُرٍ ٢٠ كَلِمَةً تَقْرِيْبًا) الْخُمْسُ الْأَوَّلُ مِنَ الصَّفْحَةِ .
- ٢ - عَشْرُ دَقَائِقَ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ (ثَلَاثَةُ أَسْطُرٍ ٢٠ كَلِمَةً تَقْرِيْبًا) الْخُمْسُ الثَّانِي مِنَ الصَّفْحَةِ .
- ٣ - عَشْرُ دَقَائِقَ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ (ثَلَاثَةُ أَسْطُرٍ ٢٠ كَلِمَةً تَقْرِيْبًا) الْخُمْسُ الثَّلَاثُ مِنَ الصَّفْحَةِ .
- ٤ - عَشْرُ دَقَائِقَ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ (ثَلَاثَةُ أَسْطُرٍ ٢٠ كَلِمَةً تَقْرِيْبًا) الْخُمْسُ الرَّابِعُ مِنَ الصَّفْحَةِ .
- ٥ - عَشْرُ دَقَائِقَ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ (ثَلَاثَةُ أَسْطُرٍ ٢٠ كَلِمَةً تَقْرِيْبًا) الْخُمْسُ الْخَامِسُ مِنَ الصَّفْحَةِ .

٦- وَأَخِيرًا عَشْرُ دَقَائِقَ بَعْدَ صَلَاةِ الْوُتْرِ تَقُومُ بِمُرَاجَعَةِ مَا حَفِظْتَهُ خِلَالَ يَوْمِكَ هَذَا ، ثُمَّ تَنَامُ مُطْمَئِنِّ الْبَالِ .

٧- تَخْصُصُ سَاعَةً فِي أَحَدِ أَيَّامِ الْأُسْبُوعِ ، وَلِيَكُنَّ الْجُمُعَةُ -مَثَلًا- ؛ لِتَقُومَ بِمُرَاجَعَةِ كُلِّ مَا حَفِظْتَهُ خِلَالَ الْأُسْبُوعِ .

٨- فِي عَشْرَةِ أَيَّامٍ تَكُونُ - بِإِذْنِ اللَّهِ - قَدْ أَنْهَيْتَ النِّصْفَ الْأَوَّلَ مِنَ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ .

٩- فِي ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ وَعَشْرَةِ أَيَّامٍ - بِإِذْنِ اللَّهِ - تَكُونُ قَدْ أَنْهَيْتَ الْخَمْسَةَ أَجْزَاءَ الْأَوَّلِ ^(١) .

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الذَّاكِرَةَ تَتَوَسَّعُ كُلَّمَا تَقَدَّمَ الطَّالِبُ فِي الْحِفْظِ ، كَمَا أَثْبَتَ ذَلِكَ الطَّبُّ .

فَيُمْكِنُكَ أَنْ تُنْهِيَ حِفْظَكَ لِكِتَابِ اللَّهِ فِي فِتْرَةٍ أَقَلِّ ، لَكِنْ لَا بُدَّ مِنَ الْعَزِيمَةِ وَالْإِصْرَارِ ، وَجَعَلَ ذَلِكَ الْوَقْتَ حَتْمًا عَلَى نَفْسِكَ مِثْلَ وَقْتِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ .

وَيُمْكِنُكَ الْحُضُورُ قَبْلَ الْأَذَانِ بِرُبْعِ سَاعَةٍ ، فَإِنَّكَ سَوْفَ تُنْهِي مِنْ حِفْظِ وَرْدِكَ مَعَ الْأَذَانِ ، وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ قَدْ تَكُونُ أَنْسَبَ مِنْ سَابِقَتِهَا ، قَالَ اللَّهُ

(١) انْظُرْ : « مَوْقِعُ إِمَامِ الْمَسْجِدِ » عَلَى الشَّبَكَةِ (التَّخْفِيطِ) بِتَصَرُّفٍ .

- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيًا ﴾ [البقرة: ١٤٨] .

وَوَقْتُكَ - يَافَتَى - غَالٍ نَفِيسٌ فِي الْخَيْرَاتِ فَاِذِلُّهُ يَا صَاحِبِ^(١)
 شِعَارِكَ فَاجْعَلِ الْقُرْآنَ دَوْمًا وَتَسْبِيحَ الْمَسَاءِ مَعَ الصُّبْحِ
 وَإِنْ رُمْتَ اغْتِنَامَ الْوَقْتِ فَعَلًا فَخَيْرُ الْوَقْتِ حَيَّ^(٢) عَلَى الْفَلَاحِ^(٣)
 فَصَلِّ الْفَجْرَ، وَادْعُ اللَّهَ، وَاغْتِنِمْ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي الْغَسَقِ^(٤) الصُّرَاحِ^(٥)
 تَفَرُّ بِالْأَجْرِ وَالْحَسَنَاتِ - حَقًّا - فَتُسَلِّمَكَ لِحَنَاتِ فُسَاحِ^(٦)

(١) صَاحِبٌ : مُرَحِّمٌ صَاحِبٌ ، وَتَرْخِيمُهُ شَاذٌ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِعَلَمٍ ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا كَثُرَ نِدَاؤُهُ ، وَاسْتَفَاضَ نِدَاؤُهُ ، سَاغَ تَرْخِيمُهُ ؛ إِذِ الْإِنْسَانُ لَا يَنْفَكُ فِي سَفَرِهِ وَإِقَامَتِهِ مِنْ صَاحِبٍ يُعِينُهُ ، فَيُنَادِيهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ .

(٢) حَيَّ - بِفَتْحِ الْيَاءِ الْمُسَدَّدَةِ - : اسْمٌ فِعْلٌ أَمْرٌ بِمَعْنَى : أَقْبِلْ وَعَجِّلْ .

(٣) الْفَلَاحُ : الْفَوْزُ وَالنَّجَاةُ ، وَالْبَقَاءُ فِي النَّعِيمِ وَالْخَيْرِ ، وَمَعْنَى «حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ» أَيُّ : هَلُمَّ وَأَسْرِعْ إِلَى سَبَبِ الْبَقَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَالْفَوْزِ بِهَا ، وَهُوَ الصَّلَاةُ فِي الْجَمَاعَةِ .

(٤) الْغَسَقُ : مُحَرَّكَةٌ - ظُلُمَةُ اللَّيْلِ .

(٥) الصُّرَاحُ - مُثَلَّثَةٌ ، وَالْكَسْرُ أَفْصَحُ - : الْمَحْضُ الْخَالِصُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

(٦) فُسَاحٌ - بِالضَّمِّ - وَاسِعَةٌ ، وَقَدْ فُسِحَ الْمَكَانُ مِنْ بَابِ ظَرْفٍ ، فَهُوَ فُسِيحٌ ، وَفُسَاحٌ ، وَفُسْحٌ - بِضَمَّتَيْنِ - .

١٢ - اخْتِيَارُ الْمَكَانِ

مَكَانٌ وَإِمْكَانٌ وَإِخْوَانٌ رَاحَةٌ هُوَ الْغَرَضُ الْمَطْلُوبُ عِنْدَ ذَوِي الْفَهْمِ ^(١)

لَا اخْتِيَارَ الْمَكَانَ أَثَرٌ حَمِيدٌ فِي عَمَلِيَّةِ الْحِفْظِ ، فَمِنْ الْأَحْسَنِ أَنْ يَكُونَ الْحِفْظُ بَعِيدًا عَنِ الْمَنَظَرِ ، وَالتَّقْوِشِ وَالشَّوَاغِلِ .

قَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

« أَعْلَمُ أَنَّ لِلْحِفْظِ أَمَاكِينَ يَنْبَغِي لِلْمُتَحَفِّظِ أَنْ يَلْزَمَهَا ، وَأَجُودُ أَمَاكِينَ الْحِفْظِ الْغُرْفُ ^(٢) ، دُونَ الشُّغْلِ ، وَكُلُّ مَوْضِعٍ بَعِيدٍ عَمَّا يُلْهِي ، وَخَلَا الْقَلْبُ فِيهِ مِمَّا يُفْزِعُهُ ، فَيَشْغَلُهُ أَوْ يَغْلِبُ عَلَيْهِ فَيَمْنَعُهُ ، وَلَيْسَ بِالْمَحْمُودِ أَنْ يَتَحَفَّظَ الرَّجُلُ بِحُضْرَةِ النَّبَاتِ وَالْخُضْرَةِ ، وَلَا عَلَى شُطُوطِ الْأَنْهَارِ ، وَلَا عَلَى قَوَارِعِ الطُّرُقِ ، فَلَيْسَ يَعْدَمُ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ - غَالِبًا - مَا يَمْنَعُ مِنْ خُلُوقِ الْقَلْبِ ، وَصَفَاءِ السَّرِّ » ^(٣) .

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

« وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَحَفَّظَ عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ ، وَلَا بِحُضْرَةِ خُضْرَةٍ ؛ لِئَلَّا

(١) « دَوَاوِينَ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ » (٥/ ٢٥٢) .

(٢) الْغُرْفُ : جَمْعُ غُرْفَةٍ : أَيِ : الْعَوَالِي ، وَهِيَ الَّتِي تَكُونُ فِي الْأَعْلَى ؛ وَذَلِكَ لِمَا فِيهِ الْهَوَاءُ النَّقِيُّ .

(٣) « الْفَقِيهُ وَالْمُتَفَقِّه » (٢/ ١٠٣) .

يُنْشَغَلُ الْقَلْبُ» (١).

وَمِمَّا يَلْحَقُ بِذَلِكَ أَلَّا يُحْفَظَ بِجَانِبِ مِرْآةٍ ؛ لِئَلَّا يَشْغَلَهُ الشَّيْطَانُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا.

وَأَفْضَلُ مَكَانٍ لِلْحِفْظِ الْمَسْجِدُ ؛ حَيْثُ الْبَرَكَةُ ، وَلِأَنَّ الْإِنْسَانَ يُحَافِظُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى مَنَافِذِ الْقَلْبِ الثَّلَاثَةِ :

١ - الْعَيْنُ : فَلَا يَرَى الْمَحْرَمَاتِ .

٢ - الْأُذُنُ : فَلَا يَسْمَعُ مَا لَا يُرْضِي اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - .

٣ - اللِّسَانُ : فَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِخَيْرٍ .

وَهَذِهِ الْمَنَافِذُ الثَّلَاثَةُ تُمَثِّلُ بِمَجْمُوعِهَا الْأَدَاةَ الَّتِي يُحْفَظُ بِهَا الْقُرْآنُ ، فَإِذَا كَانَتْ سَلِيمَةً نَظِيفَةً ، كَانَ الْحِفْظُ جَيِّدًا وَمُتَقَنًّا .

وَمِمَّا يَلْحَقُ بِهِذِهِ الْقَاعِدَةُ : الْحِفْظُ مَشِيًّا بَيْنَ عَمُودَيْنِ ، أَوْ زَاوِيَتَيْنِ مِنْ زَوَايَا الْمَسْجِدِ ؛ فَإِنَّ الْمَشْيَ يُسَاعِدُ كَثِيرًا عَلَى بَعْثِ النَّشَاطِ فِي الْأَعْضَاءِ ، إِنْ أَصَابَهَا الْفُتُورُ .

كَمَا أَنَّ الْمَشْيَ يَصْلُحُ لِلْمُرَاجَعَةِ بِشَكْلِ جَيِّدٍ ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ بِيَدِكَ مُصْحَفٌ تَفْتَحُهُ ، كُلَّمَا تَوَقَّفْتَ أَوْ تَلَكَّأْتَ (٢) .

(١) « الْحَثُّ عَلَى حِفْظِ الْعِلْمِ » (ص ٢٥٥) .

(٢) « كَيْفَ تُحْفَظُ الْقُرْآنُ ؟ » لِلْعَوْنَانِيِّ (ص ٤٥) بِتَصَرُّفٍ .

١٣ - وُجُودُ الْمُرَبِّي

تَقُومُ إِذَا تَعَهَّدَهَا الْمُرَبِّي عَلَى سَاقِ الْفَضِيلَةِ مُثْمَرَاتٍ
وَتَسْمُو لِلْمَكَارِمِ بِاتِّسَاقٍ كَمَا اتَّسَقَتْ أَنَابِيْبُ الْقَنَآةِ (١)

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْمُعِينَةِ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَوُجُودُ الْمُرَبِّي ، وَالْقُدْوَةُ
الَّذِي يَقِفُ مَعَكَ ، وَيُوجِّهُكَ وَيُشَجِّعُكَ ، وَيَأْخُذُ بِيَدِكَ ، وَيَفْجِرُ طَاقَتَكَ ،
وَيَنْصَحُكَ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ .

فَنَحْنُ حِينَ نُقَلِّبُ صَفْحَةَ التَّارِيخِ نَجِدُ أَنَّ طِفْلاً بَرَزَ فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ ، وَحَصَلَ عَلَى الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ ، وَحَفِظَ الصَّحِيحِينَ وَعُمُرُهُ لَمْ
يَتَجَاوَزِ الْعَاشِرَةَ ، فَوَجَدْنَا أَنَّ أَعْظَمَ أَسْبَابَ ذَلِكَ وَوُجُودُ الْمُرَبِّي الَّذِي حَاوَلَ
تَفْجِيرَ طَاقَتِهِ ، الْكَامِنَةِ ، وَتَدْرِيبَ عَقْلِهِ الْبَاطِنِ عَلَى الْاسْتِمْرَارِ وَالْجَدِّ ،
وَالْتَّشْجِيعِ مِنْ كُلِّ مَنْ حَوْلَهُ ! .

أَقْدَمُ أُسْتَاذِي عَلَى نَفْسِي وَالِدِي وَإِنْ نَالَني مِنْ وَالِدِي الْفَضْلُ وَالشَّرَفُ
فَذَاكَ مُرَبِّي الرُّوحِ وَالرُّوحُ جَوْهَرٌ وَهَذَا مُرَبِّي الْجِسْمِ وَالْجِسْمُ مِنْ صَدَفٍ (٢)

(١) « دِيَوَانُ مَعْرُوفِ الرُّصَافِيِّ » (ص ٧١) .

(٢) « مَجَانِي الْأَدَبِ فِي حَدَائِقِ الْعَرَبِ » (ص ٢١) .

١٤ - الاسْتِعْدَادُ النَّفْسِيُّ لِلْحِفْظِ

وَأَفَاكَ بِالْأَنْدَاءِ قَدَامَ الْحَيَا فَالْأَرْضُ لِلْأَمْطَارِ فِي اسْتِعْدَادٍ ^(١)

قَبْلَ أَنْ تَبْدَأَ الْحِفْظَ، اسْتَعِدَّ لَهُ بِالْوُضُوءِ ، وَالطَّيِّبِ ، وَالْجُلُوسِ بِسَكِينَةٍ
وَوَقَارٍ، وَتَبْدَأُ بِقِرَاءَةِ صَفْحَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَبْدَأَ الْحِفْظَ ، سَوَاءً أَكَانَ
غَيْبًا أَمْ نَظَرًا، وَتَتَرَنَّمْ فِي قِرَاءَتِهَا مُسْتَمِعًا لِنَفْسِكَ دُونَ إِسْرَاعٍ أَوْ إِبْطَاءٍ.

وَبَعْدَ حَوَالِي رُبْعِ سَاعَةٍ مِنَ الاسْتِعْدَادِ النَّفْسِيِّ ، فَإِنَّكَ سَتَحَسُّ بِرَغْبَةٍ
شَدِيدَةٍ فِي الْحِفْظِ ، فَاسْرِعْ بِالصَّفْحَةِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي تُرِيدُ حِفْظَهَا. ^(٢)

(١) « دِيَوَانُ ابْنِ الْمُعْتَزِّ » (ص ٣٤٣) .

(٢) « كَيْفَ تُحْفَظُ الْقُرْآنُ ؟ » لِلْعَوْنَانِي (ص ٨٥-٨٦) بِتَصَرُّفٍ .

١٥ - الْحِفْظُ مِنْ رَسْمٍ وَاحِدٍ

قَالُوا : أَتَبْكِي عَلَى رَسْمٍ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : مَنْ فَاتَهُ الْعَيْنُ هُدًى شَوْقُهُ الْأَثَرُ ^(١)

تُكْتَبُ الْمَصَاحِفُ فِي مَطَابِعٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَبِخُطُوطٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي الشَّكْلِ وَالْحَجْمِ ، فَبَعْضُ الْمَصَاحِفِ تَحْتَوِي فِيهَا الصَّفْحَةَ عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ سَطْرًا ، وَبَعْضُهَا تَحْتَوِي عَلَى أَرْبَعَةِ عَشَرَ سَطْرًا ، وَبَعْضُهَا تَحْتَوِي عَلَى خَمْسَةِ عَشَرَ سَطْرًا ، وَغَيْرَ ذَلِكَ ، فَهَذَا السَّطْرُ مِنْ هَذَا الْمُصْحَفِ يَبْدَأُ بِكَلِمَةٍ كَذَا مِنْ الْآيَةِ ، وَهَذَا السَّطْرُ نَفْسُهُ فِي مُصْحَفٍ آخَرَ يَبْدَأُ بِكَلِمَةٍ أُخْرَى ، وَهَكَذَا .

وَالْإِنْسَانُ يَحْفَظُ بِاسْتِخْدَامِ حَوَاسِّ مُعَيَّنَةٍ ، تُدْخِلُ الْمَعْلُومَةَ إِلَى الدِّهْنِ ، وَكُلَّمَا دَخَلَتِ الْمَعْلُومَةُ بِاسْتِخْدَامِ حَوَاسِّ أَكْثَرَ ، أَزْدَادَتْ قُوَّةُ الْحِفْظِ ، وَالنَّظْرُ أَحَدُ الْحَوَاسِّ الْمُهَمَّةِ فِي الْحِفْظِ ، وَلِذَلِكَ لَزِمَ أَنْ تُثَبَّتَ الشَّكْلُ الَّذِي تَحْفَظُ مِنْهُ ؛ حَتَّى يَعْتَادَ النَّظْرُ إِلَيْهِ ، فَحَافِظٌ عَلَى رَسْمٍ وَاحِدٍ لِلْمُصْحَفِ الَّذِي تَحْفَظُ مِنْهُ ، أَوْ تَقْرَأُ فِيهِ ، وَحَاوِلْ أَنْ تَشْتَرِيَ عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ الْمَصَاحِفِ الَّتِي لَهَا نَفْسُ الرَّسْمِ ، وَبِأَحْجَامٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فَهَذَا مُصْحَفٌ فِي الْبَيْتِ ، وَهَذَا مُصْحَفٌ فِي الْعَمَلِ ، وَهَذَا مُصْحَفٌ فِي السَّيَّارَةِ ، وَهَذَا مُصْحَفٌ فِي الْجَيْبِ ،

(١) « دِيَوَانُ أَبِي تَمَّامٍ » (ص ٤٦٧) .

صِنَاعَةُ الْحِفْظِ

وَهَذَا مُصَحَّفٌ عِنْدَ الْوَالِدِ ، وَهَذَا مُصَحَّفٌ فِي الْمَسْجِدِ ، وَهَكَذَا .
كُلَّمَا ذَهَبْتَ إِلَى مَكَانٍ ، قَرَأْتَ مِنْ نَفْسِ الْمُصَحَّفِ ، فَيُطْبَعُ شَكْلُ الصَّفْحَةِ
فِي ذَهْنِكَ ، وَبِذَلِكَ تُسْتَغَلُّ نِعْمَةُ النَّظَرِ فِي الْحِفْظِ .

وَأَنْصَحُ بِاسْتِخْدَامِ مُصَحَّفِ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي الْحِفْظِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ لَمْ يَبْدَأْ
بَعْدُ فِي الْحِفْظِ فِي مُصَحَّفٍ آخَرَ ، وَتَرْجِعُ أَهْمِيَّةُ هَذَا الْمُصَحَّفِ إِلَى مَا يَأْتِي :

١ - هُوَ أَكْثَرُ الْمَصَاحِفِ شُيُوعًا الْآنَ ، وَبِكُلِّ الْأَحْجَامِ ، وَفِي كُلِّ الْأَمَاكِنِ ،
فَيَسْهُلُ عَلَيْكَ جِدًّا أَنْ تَجِدَهُ ؛ حَتَّى تُرَاجِعَ فِيهِ مَا تَحْفَظُ .

٢ - الْكِتَابَةُ فِيهِ وَاضِحَةٌ جِدًّا ، وَالْخُطُوطُ سَهْلَةٌ الْقِرَاءَةِ .

٣ - يَتَمَيَّزُ هَذَا الْمُصَحَّفُ بِحُسْنِ التَّرْتِيبِ ، فَلَيْسَتْ هُنَاكَ آيَةٌ مَقْسُومَةٌ
عَلَى صَفْحَتَيْنِ ، بَلْ تَنْتَهِي الصَّفْحَةُ - دَائِمًا - بِآخِرِ الْآيَةِ ، وَهَذَا - وَلَا شَكَّ -
يُعِينُ عَلَى حِفْظِ الْآيَةِ .^(١)

ثُمَّ إِنَّ الْحِفْظَ مِنْ مُصَحَّفٍ وَاحِدٍ قَدْ يَكُونُ سَبِيلًا لِيَضْبُطَ الْآيَاتِ
الْمُتَشَابِهَاتِ .

فَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ :

تَكَرَّرَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فِي عِدَّةِ آيَاتٍ كَلِمَتِي «النَّفْعُ» و«الضَّرُّ» ، فَمَا السَّبِيلُ
لِيَضْبُطَ تِلْكَ الْآيَاتِ مِنْ خِلَالِ اعْتِمَادِ مُصَحَّفٍ وَاحِدٍ ؟ .

(١) « انْظُرْ : « مِنْ الْقَوَاعِدِ الْمُسَاعِدَةِ لِحِفْظِ الْقُرْآنِ » مُحَمَّدٌ الْعِشْرِي ، شَبَكَةُ الْأَلْوَكَةِ .

قَالَ بَعْضُ الْحَفَاطِ : فِي طَبْعَةِ « مُجَمَّعِ الْمَلِكِ فَهْدٍ » ، تَتَقَدَّمُ -دَائِمًا - كَلِمَةُ ﴿ نَفْعًا ﴾ عَلَى ﴿ ضَرًّا ﴾ فِي الْوَجْهِ الْأَيْمَنِ ، وَ ﴿ ضَرًّا ﴾ عَلَى ﴿ نَفْعًا ﴾ فِي الْوَجْهِ الْأَيْسَرِ .

وَالْوَجْهُ الْأَيْمَنُ فِيهِ حَرْفُ «النُّونِ» وَهُوَ كَذَلِكَ فِي كَلِمَةِ ﴿ نَفْعًا ﴾ ،
وَالْوَجْهُ الْأَيْسَرُ فِيهِ حَرْفُ «الرَّاءِ» وَهُوَ كَذَلِكَ فِي كَلِمَةِ ﴿ ضَرًّا ﴾ .

١٦ - التَّلَقِّي عَنْ الْمُقَرَّرِينَ

وَلَقَدْ بَلَوْتُكَ وَابْتَلَيْتَ خَلِيقِي وَلَقَدْ كَفَّاكَ مُعَلِّمِي تَعْلِيمِي ^(١)

الْقِرَاءَةُ عَلَى الْمُقَرَّرِينَ الْمُجَوِّدِينَ الْمُسْنَدِينَ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ أَعْظَمِ الْوَسَائِلِ الْمُعِينَةِ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، فَكَثِيرًا مَا يَحْفَظُ الْفَرْدُ مِمَّا السُّورَةَ خَطَأً ، وَلَا يَتَنَبَّهُ لِذَلِكَ ، حَتَّى مَعَ النَّظَرِ فِي الْمُصْحَفِ ؛ لِأَنَّ الْقِرَاءَةَ كَثِيرًا مَا تَسْبِقُ النَّظَرَ ؛ فَيَكُونُ تَسْمِيعُهُ الْقُرْآنَ لِغَيْرِهِ وَسِيلَةً لَا سِتْدْرَاكَ هَذِهِ الْأَخْطَاءَ ، وَتَنْبِيْهَا - دَائِمًا - لِدِهْنِهِ وَحِفْظِهِ .

وَالْقُرْآنُ لَا يُؤْخَذُ إِلَّا بِالتَّلَقِّي ، وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَوَّلُ الْحَافِظِينَ ، وَإِمَامُ الْمُقَرَّرِينَ ، تَلَقَّى الْقُرْآنَ حَرْفًا حَرْفًا عَنْ جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - عَنِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - قَالَ اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - :

﴿ وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل: ٦] .

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » ^(٢) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَعْزِضُ عَلَى جِبْرِيلَ الْقُرْآنَ حِينَ يَلْقَاهُ فِي لَيْلَةِ رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ » .

(١) « دِيَوَانُ الشَّافِعِيِّ » (ص ٩٩) .

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٩٠٢) ، وَمُسْلِمٌ (٢٣٠٨) .

وَمَا زَالَ ذَلِكَ دَابَّهُ، حَتَّى عَارَضَهُ فِي الْعَامِ الْأَخِيرِ مِنْ عُمْرِهِ الْمُبَارَكِ
مَرَّتَيْنِ.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» ^(١) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ عَنْ فَاطِمَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-
قَالَتْ: «أَسْرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ جَبْرِيلَ يُعَارِضُنِي
الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ، وَإِنَّهُ عَارِضُنِي ^(٢) الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَاهُ ^(٣) إِلَّا حَضَرَ
أَجَلِي».

وَتَلَقَّى بَعْضُ الصَّحَابَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْقُرْآنَ
كَمَا تَلَقَّاهُ عَنْ جَبْرِيلَ عَنْ رَبِّ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ، وَهَكَذَا حَتَّى وَصَلَ إِلَيْنَا،
فَكَانَ مِمَّنْ عَرَضُوا عَلَيْهِ:

- ١- عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- .
- ٢- عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- .
- ٣- أَبِي بْنُ كَعْبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- .
- ٤- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- .
- ٥- زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- .
- ٦- أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- .

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٢)، وَمُسْلِمٌ (٢٤٥٠).

(٢) الْمُعَارَضَةُ: الْمُقَابَلَةُ.

(٣) أَرَاهُ -بِضَمِّ الهمزة-: أَظُنُّهُ.

٧- أَبُو الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .

قَالَ الذَّهَبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ السَّبْعَةَ :

« فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَلَّغْنَا أَنَّهُمْ حَفِظُوا الْقُرْآنَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَخَذَ عَنْهُمْ عَرْضًا ، وَعَلَيْهِمْ دَارَتْ أَسَانِيدُ قِرَاءَةِ الْأُئِمَّةِ الْعَشْرَةِ ، وَقَدْ جَمَعَ الْقُرْآنَ غَيْرُهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ : كَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، وَأَبِي زَيْدٍ ، وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، وَعُتْبَةُ بْنُ عَامِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - ، وَلَكِنْ لَمْ تَتَّصِلْ بِنَا قِرَاءَتُهُمْ »^(١).

وَقَالَ السُّيُوطِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

« وَمِمَّا يَدُلُّ لِلْقِرَاءَةِ عَلَى الشَّيْخِ عَرْضُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْقُرْآنَ عَلَى جَبْرِيلَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِي رَمَضَانَ كُلِّ عَامٍ ، وَلَقَدْ نَجَّحَ الصَّحَابَةُ هَذَا الْمَنْهَجَ ، فَبَعْدَ أَنْ تَلَقَّوْا الْقُرْآنَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اشتهر منهم بإقراء القرآن سبعة »^(٢).

وَقَدْ كَانَ الْقُرْآنُ يُكْتَبُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ مِنْ أَفْصَحِ خَلْقِ اللَّهِ ، مَعَ ذَلِكَ حَثَّ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى أَخْذِ الْقُرْآنِ عَنْ طَرِيقِ التَّلْقِي .

وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ »^(٣) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

(١) « مَعْرِفَةُ الْقُرَّاءِ الْكُبَارِ » لِلذَّهَبِيِّ (١/ ٣٩) .

(٢) « الْإِئْتِقَانُ » (١/ ٩٩) .

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٧٥٩) ، وَمُسْلِمٌ (٢٤٢٦) .

قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : « اسْتَقْرُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ : مِنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَسَلَامِ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ » .

وَقَالَ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ الْعُلَمَاءُ :

« سَبَبُهُ : أَنَّ هَؤُلَاءِ أَكْثَرُ ضَبْطًا لِأَلْفَاظِهِ ، وَاتَّقَنَ لِأَدَائِهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُمْ أَفْقَهُ فِي مَعَانِيهِ مِنْهُمْ ، أَوْ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةَ تَفَرَّغُوا لِأَخْذِهِ مِنْهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُشَافَهَةً ؛ وَغَيْرُهُمْ اقْتَصَرُوا عَلَى اخْذِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ ، أَوْ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ تَفَرَّغُوا لِأَنَّهُ يُؤْخَذُ عَنْهُمْ » (١) .

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

« فَأَمَّا التَّلْقِينُ فَمِنْ فَمِ الْمُتَلَقِّنِ أَحْسَنُ ؛ لِأَنَّ الْكِتَابَةَ لَا تَدُلُّ عَلَى الْأَدَاءِ ، كَمَا أَنَّ الْمُشَاهَدَ مِنْ كَثِيرٍ مِمَّنْ يُحْفَظُ مِنَ الْكِتَابَةِ فَقَطْ ، يَكْثُرُ تَصْحِيْفُهُ وَغَلْطُهُ ، وَإِذَا أَدَّى الْحَالُ إِلَى هَذَا مُنِعَ مِنْهُ ، إِذَا وَجَدَ شَيْخًا يُوقِفُهُ عَلَى أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ » (٢) .

قُلْتُ : عَلَى الطَّالِبِ أَنْ يَتَلَقَّى عَلَى مُتَقِنٍ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَسْتَعِنْ بِالْأَلَاتِ الْمَعِينَةِ : كَالشَّرِيطِ وَنَحْوِهِ ، وَيَجْمَعْ بَيْنَ السَّمْعِ وَالنَّظَرِ فِي الْمُصْحَفِ ، وَيُكَرِّرُ ذَلِكَ ، وَيُرَدِّدُ الْقِرَاءَةَ ؛ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ الصَّوَابُ ، إِلَى أَنْ يَجِدَ شَيْخًا ، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ قِرَاءَتَهُ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فَلَعَلَّ قِرَاءَتَهُ بِحَاجَةٍ إِلَى تَقْوِيمٍ ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ .

(١) « شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ » (١٦ / ١٧) .

(٢) « فَضَائِلُ الْقُرْآنِ » لابْنِ كَثِيرٍ (ص ٢١١) .

وَلِلَّهِ دَرُّ الْإِمَامِ أَبِي الْحُسَيْنِ الْمَلْطِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - الْمُتَوَفَى سَنَةَ (٣٧٧هـ)
حِينَ قَالَ :

عَلَيْكَ بِقَصْدِ الْمُقَرَّرَيْنِ أُولَى النُّهَى فَخُذْ عَنْهُمْ لَفْظًا يَزِينُكَ إِذْ تَدْرِي
وَكُنْ طَالِبًا تَبْغِي إِقَامَةَ سُنَّةٍ فَقُلِّدْتَهَا عَنْ سَادَةٍ مِنْ ذَوِي السِّرِّ
وَإِقْرَائِهَا عَنْ سَبْعَةٍ ذِي فَصَاحَةٍ وَلَبَّ وَدَيْنِ ذَلِكَ الصَّادِقُ الْمُقَرِّي^(١)

(١) «رَوَائِعُ الثَّرَاثُ» (ص ٣) .

١٧ - ضَبْطُ الْحَرَكَاتِ

حَزَمٌ لَقَدْ ضَبَطَ الْأُمُورَ ، وَحِكْمَةٌ كَشَفَتْ لِثَاقِبٍ عِلْمَهَا الْأَسْرَارُ ^(١)

فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ تَقْدِيمٌ ، وَتَأْخِيرٌ ، وَإِضْمَارٌ ، وَحَذْفٌ ، وَتَقْدِيرٌ ، وَفِيهَا إِعْرَابَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ ، وَبَعْضُ النَّاسِ لَا يَتَّبِعُهُ لِدَلِكْ ، فَيَقْدِّمُ الْمَفْعُولَ عَلَى الْفَاعِلِ ، فَيَقْرَأُ: ﴿ **وَإِذْ أُنْتَلَىٰ إِلَٰهَهُمْ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَتَمَّهُنَّ** ﴾ [البقرة: ١٢٤] .

بَرَفَعَ إِبْرَاهِيمَ ، وَنَضَبَ (رَبَّهُ) ، وَمَا حَفِظَهُ خَطَأً ، وَقَدْ يَثْبُتُ الْخَطَأُ وَيَتَرَسَّخُ ، وَيَضَعُبُ بَعْدَهَا إِزَالَتُهُ ، بَلْ قَدْ يَحْتَاجُ إِلَى عَمَلِيَّةٍ اسْتِصْصَالٍ ! .

وَهُنَاكَ أَمْثَلَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْأَخْطَاءِ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، كَمَا فِي الضَّمَائِرِ ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي**

كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٦] .

التَّاءُ فِي الضَّمِيرَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ مَضْمُومَةٌ ، وَفِي الضَّمِيرَيْنِ الثَّانِيَيْنِ مَفْتُوحَةٌ ، فَأَيُّ تَغْيِيرٍ فِي الْحَرَكَةِ يُغَيِّرُ الْمَعْنَى ، كَمَا قَرَأَ بَعْضُهُمْ : ﴿ **كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ** ﴾ بِضَمِّ تَاءٍ (كُنْتُ) وَهَذَا لَا يَسْتَقِيمُ أَبَدًا .

وَلَا بُدَّ مِنْ ضَبْطِ الْكَلِمَاتِ ، فَبَعْضُ النَّاسِ يَعَجَلُ بِالْحِفْظِ ، وَلَيْسَ

(١) «دِيَوَانُ إِبْرَاهِيمَ الْيَازْجِيِّ» (ص ٦٢) .

صِنَاعَةُ الْحِفْظِ

مُتَمَرِّسًا فِي تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، فَيَحْفَظُ الْآيَاتِ أَوْ الْكَلِمَاتِ خَطًّا ، وَيَسْتَشْمِرُ عَلَى ذَلِكَ دُونَ أَنْ يَنْتَبِهَ .

كَمَا قَرَأَ بَعْضُهُمْ : ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ۝٥١ ﴾ [القلم: ٥١] .

قَرَأَهَا هَكَذَا : (لَيُزْلِقُونَكَ) !! ، وَبَعْضُ الْكَلِمَاتِ يَسْتَقْبِلُهَا الْقَارِئُ الْعَادِي وَيَقْرُؤُهَا قِرَاءَةً خَاطِئَةً ، مِثْلَ : ﴿ أَنْزِلْ مُكْمُوها ﴾ [هود: ٢٨] .

وَكَذَلِكَ بَعْضُ الْكَلِمَاتِ الَّتِي لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا مِثَالٌ وَاحِدٌ، مِنْهَا : ﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَى ﴾ [يونس: ٣٥]؛ يَقْرُؤُهَا: « أَم مَنْ لَا يَهْدِي » ؛ لِأَنَّهَا فِي الْقُرْآنِ (يَهْدِي) ، وَمَا فِيهِ ﴿ يَهْدَى ﴾ إِلَّا مَوْضِعٌ وَاحِدٌ ، فَيَنْتَبِهُ إِلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ .

كَذَلِكَ مَا يَتَعَلَّقُ فِي الرَّسْمِ، كَمَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾ [البقرة: ١٥٠] ، وَفِي سُورَةِ ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ﴾ [المائدة: ٣] ، لَيْسَ فِيهَا يَاءٌ وَإِنَّمَا كَسْرَةٌ .

وَبَعْضُ الْكَلِمَاتِ تَكُونُ فِي مَوَاضِعَ بَضْبُطٍ مُعَيَّنٍ ، وَفِي مَوَاضِعَ أُخْرَى بَضْبُطٍ آخَرَ ، مِثْلَ : ﴿ سَخِرِيَا ﴾ [المؤمنون: ١١٠] ، وَ ﴿ سَخِرِيَا ﴾ [الرَّحُوف: ٣٢] ، قَدْ يَحْفَظُ الْآيَةَ الْأُولَى ﴿ سَخِرِيَا ﴾ وَكُلَّمَا مَرَّتْ قَالَ: ﴿ سَخِرِيَا ﴾ ، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ ﴿ سَخِرِيَا ﴾ وَ ﴿ سَخِرِيَا ﴾ ، وَقَسَّ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي فِيهَا مِثْلُ هَذِهِ الْأَمْثَلَةِ .

كَمَا فِي الْجَمْعِ وَالشَّيْءِ ، مِثْلُ قَوْلِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ
أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا ﴾ [فُصِّلَتْ : ٢٩] ، وَبَعْضُ
النَّاسِ يَقُولُ : ﴿ الَّذِينَ ﴾ بِالْجَمْعِ ، وَلَا يَتَّبِعُهُ .

وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - ﴿ فَكَانَ عَقِبَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا
وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٧) [الحَشَر : ١٧] .

وَبَعْضُ النَّاسِ يَقْرَأُ : (خَالِدِينَ) بِالْجَمْعِ ، وَهِيَ (خَالِدِينَ) بِالشَّيْءِ وَلَيْسَ
بِالْجَمْعِ (١) .

فَلَا بُدَّ مِنْ ضَبْطِ الْكَلِمَاتِ عَلَى شَيْخٍ مُتَقِنٍ ، وَكَذَلِكَ الْحَرَكَاتُ ، وَتَأْسُّ
بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فَقَدْ كَانَ يَأْتِيهِ جَبْرِيلُ كُلَّ عَامٍ
يُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ .

قَالَ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

« وَاخْتَلَفُوا فِي الْحِكْمَةِ فِي قِرَاءَتِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى أَبِي ،
وَالْمُخْتَارُ أَنَّ سَبَبَهَا : أَنْ تَسْتَنَّ الْأُمَّةُ بِذَلِكَ فِي الْقِرَاءَةِ عَلَى أَهْلِ الْإِثْقَانِ
وَالْفَضْلِ ، وَيَتَعَلَّمُوا آدَابَ الْقِرَاءَةِ ، وَلَا يَأْنِفَ أَحَدٌ مِنْ ذَلِكَ » (٢) .

(١) « انْظُرْ : كَيْفَ تُحَفِّظُ الْقُرْآنَ ؟ » ، بِتَصَرُّفٍ .

(٢) « شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ » (١٦ / ٦) .

١٨ - الْعِنَايَةُ بِالْمُتَشَابِهَاتِ

تَشَابَهَ يَوْمَاهُ عَلَيْنَا فَأَشْكَلَا فَلَا نَحْنُ نَذْرِي أَيُّ يَوْمَيْهِ أَفْضَلُ ^(١)

الْقُرْآنُ مُتَشَابَهُ فِي مَعَانِيهِ وَأَلْفَاظِهِ وَأَيَّاتِهِ ، قَالَ - تَعَالَى - : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي نَقَّشَ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنِ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزُّمَرُ: ٢٣] .

وَإِذَا كَانَ الْقُرْآنُ فِيهِ نَحْوٌ مِنْ سِتَّةِ آلَافِ آيَةٍ وَنِيفٍ ، فَإِنَّ هُنَاكَ نَحْوًا مِنْ أَلْفِي آيَةٍ فِيهَا تَشَابَهُ لَفْظِيٌّ بَوَاجِهٍ مَا ، قَدْ يَصِلُ - أَحْيَانًا - حَدَّ التَّطَابُقِ ، أَوْ الْاِخْتِلَافِ فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ ، أَوْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ، أَوْ اثْنَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ .

فَيَنْبَغِي أَنْ يَعْتَنِيَ الْقَارِئُ عِنَايَةً خَاصَّةً بِالْمُتَشَابِهَاتِ مِنَ الْآيَاتِ ، وَعَلَى مَدَى الْعِنَايَةِ بِهَذَا الْمُتَشَابِهِ تَكُونُ إِجَادَةُ الْحِفْظِ .

وَالْأَمْرُ فِي بَدَايَتِهِ قَدْ يَكُونُ سَهْلًا ، وَلَكِنْ عِنْدَ تَرَاكُمِ حَصِيلَةِ الْحِفْظِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ صَعْبًا عَلَى الْحَافِظِ أَنْ يُتَقَنَّ الْحِفْظَ دُونَ مُلَا حَظَاتِ الْفُرُوقِ بَيْنَ الْمُتَشَابِهَاتِ .

(١) « دِيَوَانُ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ » (ص ٨٢) .

وَهُنَا قَاعِدَةٌ مُهِمَّةٌ :

وَهِيَ أَنَّهُ مَتَى حَفِظْتَ آيَةً ، وَشَعَرْتَ أَنَّكَ قَدْ حَفِظْتَ مِثْلَهَا قَبْلَهَا ،
فَابْحَثْ عَنِ الْآيَةِ الْأُخْرَى ، ثُمَّ قَارِنْ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ بِدِقَّةٍ ، وَاحْسِبِ الْفُرُوقَ
بَيْنَهُمَا ^(١) ، وَلَوْ رَجَعْتَ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْكَ مِنْ كُتُبِ التَّفْسِيرِ ؛ لِتَنْظُرَ السَّبَبَ
وَرَاءَ الْاِخْتِلَافِ بَيْنَ الْآيَاتِ ، فَقَدْ يَكُونُ السَّبَبُ وَاضِحًا فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ ،
وَأَحْيَانًا لَا تَظْهَرُ لَنَا الْحِكْمَةُ مِنْ وَرَاءِ الْاِخْتِلَافِ .

أَمَثَلَةٌ عَلَى التَّشَابُهِ :

قَالَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ :

* ﴿ وَلَا تَقْنَلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾

[الأنعام: ١٥١] .

وَقَالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ :

* ﴿ وَلَا تَقْنَلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [الإسراء: ٣١] .

فَالْفَرْقُ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ ثَلَاثَةٌ :

١- ﴿ خَشْيَةً ﴾ بَدَلًا مِنْ ﴿ مِنْ ﴾ .

٢- ﴿ نَرْزُقُهُمْ ﴾ بَدَلًا مِنْ ﴿ نَرْزُقُكُمْ ﴾ .

(١) هُنَاكَ طَرِيقَةٌ سَهْلَةٌ ، وَهِيَ : يَكُونُ لَكَ مُصْحَفٌ خَاصٌّ ، وَمَعَ الْمُصْحَفِ قَلَمٌ رِصَاصٌ ،
وَتَبْدَأُ تُحِطُّ تَحْتَ الْمُتَشَابِهِ ، وَتَفْتَحُ الْآيَتَيْنِ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ ، تَقْرَأُ هَذِهِ ، وَتَقْرَأُ الثَّانِيَةَ ،
وَتَرَى الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا ، ثُمَّ تَضْبِطُ ، وَهَذِهِ مِنْ أَسْهَلِ الطَّرِيقِ .

٣ - ﴿وَايَاكُمْ﴾ بَدَلًا مِنْ ﴿وَايَاهُمْ﴾ .

فَإِنْ رَجَعْتَ إِلَى تَفْسِيرِ الْآيَاتِ ، وَجَدْتَ تَبَرُّيرًا وَاضِحًا لَطِيفًا لِهَذَا الْاِخْتِلَافِ .

فَفِي الْآيَةِ الْأُولَى مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ يَقُولُ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ [الأنعام: ١٥١] .

أَيُّ : إِنَّكُمْ الْآنَ فِي حَالَةٍ فَقْرٍ فَعَلًا ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- سَوْفَ يَرْزُقُكُمْ أَنْتُمْ ، وَيَرْزُقُ مَعَكُمْ الْأَوْلَادَ ، أَيُّ : ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ﴾ فِي حَالَةِ فَقْرِكُمْ الْآنَ ﴿وَايَاهُمْ﴾ أَيُّ : الْأَوْلَادَ . وَلَكِنْ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ ، فَإِنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يَقُولُ : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١] .

أَيُّ : خَوْفًا مِنَ الْفَقْرِ مُسْتَقْبَلًا عِنْدَمَا تُرْزَقُونَ بِالْأَوْلَادِ ، أَيُّ : إِنَّكُمْ الْآنَ لَسْتُمْ فِي فَقْرٍ ، وَإِنَّمَا تَخَافُونَ الْفَقْرَ مُسْتَقْبَلًا ، فَطَمَأَنِّكُمْ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَنَّهُ سَيَكْفُلُ بِرِزْقِ هَذَا الَّذِي سَيَأْتِي مُسْتَقْبَلًا ، وَهُوَ الْوَلَدُ ، وَسَيَرْزُقُكُمْ مَعَهُ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ﴾ أَيُّ : الْأَوْلَادَ : ﴿وَايَاكُمْ﴾ ^(١) .

وَهُنَاكَ طَرِيقَةٌ ذَكَرَهَا الْعُلَمَاءُ لِمَعْرِفَةِ الْمُتَشَابِهِ وَضَبْطِهِ ، فَتَضْبِطُ الْمُتَشَابِهَ بِالْحُرُوفِ .

مَثَلًا : فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ فِي الْآيَةِ رَقْمَ (١٧٦-١٧٧-١٧٨) فِيهَا :

(١) « انْظُرْ : كَيْفَ مُحْفَظَ الْقُرْآنَ ؟ » لِرَاغِبِ السَّرْجَانِيِّ (ص ٣٦) ، بِتَصَرُّفٍ .

* ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٦) .

* ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٧) .

* ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (١٧٨) .

اجْمَعَهَا فِي كَلِمَةٍ (عَام) ، الْعَيْنُ ﴿عَظِيمٌ﴾ ، وَالْأَلْفُ ﴿أَلِيمٌ﴾ ،
وَالْمِيمُ ﴿مُهِينٌ﴾ . تَنْضِبُطُ مَعَكَ ، فَإِذَا جِئْتَ إِلَى هَذِهِ الصَّفْحَةِ تَذَكَّرُ
كَلِمَةَ (عَام)

مِثَالُ آخَرُ : فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ فِي الْآيَةِ رَقْمَ (٦٢-٦٣-٧٩) فِيهَا :

* ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٦٢) .

* ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (٦٣) .

* ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧٩) .

اجْمَعَهَا فِي كَلِمَةٍ (عَصْفٍ) فَالْحَرْفُ الْأَوَّلُ (عَيْنُ) ﴿يَعْمَلُونَ﴾ ، وَالثَّانِي
(صَادُ) ﴿يَصْنَعُونَ﴾ ، وَالثَّالِثُ فَاءُ ﴿يَفْعَلُونَ﴾ .

وَهَكَذَا الطَّالِبُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُبْدِعَ فِي ضَبْطِ الْمُتَشَابِهِ ، وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى
ضَبْطِ الْمُتَشَابِهِ الْحِفْظُ عَلَى شَيْخٍ مُتَقِنٍ ، فَيُوقِفُكَ عَلَى الْمُتَشَابِهِ وَضَبْطِهِ عِنْدَ
وُصُولِكَ إِلَى الْآيَةِ الَّتِي فِيهَا تَشَابَهُهُ مَعَ أُخْتِهَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ .

مِثْلًا : إِذَا كُنْتَ تَقْرَأُ : ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾

[الرَّعْدُ : ٢] .

يَقُولُ لَكَ الشَّيْخُ : جَاءَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ :

* الْمَوْضِعُ الْأَوَّلُ هُنَا فِي [الرَّعْدَ: ٢]

* وَالْمَوْضِعُ الثَّانِي فِي [فَاطِرَ: ١٣] .

* وَالْمَوْضِعُ الثَّلَاثُ فِي [الزُّمَرِ: ٥] .

* وَالْمَوْضِعُ الرَّابِعُ فِي [لُقْمَانَ: ٢٩] ، لَكِنْ فِي لُقْمَانَ جَاءَتْ هَكَذَا :

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [لُقْمَانَ: ٢٩] .

وَأَنْتَ تُسَجِّلُ ذَلِكَ فِي دَفْتَرِكَ ، وَيَقُولُ لَكَ : الضَّابِطُ الْأَسْهَلُ أَنَّ الْهَمْزَةَ فِي أَوَّلِ كَلِمَةٍ ﴿إِلَىٰ﴾ أَوَّلِ كَلِمَةٍ فِي آيَةِ لُقْمَانَ ﴿أَلَمْ﴾ ، حَرْفٌ مُّشْتَرَكٌ بَيْنَهُمَا ، وَهَكَذَا ^(١) .

(١) لِلْجُلُوسِ مَعَ الْمَشَايِخِ ، وَالتَّلَقِّيِ عَنْهُمْ فَوَائِدُ عِظَامٍ لَا تُعَدُّ ، فَدُونَكَ بَعْضُ الْفَوَائِدِ الَّتِي تَلَقَّاهَا الطُّلَابُ عَنْ مَشَايِخِهِمْ ، فَبَعْضُ الْمَشَايِخِ ضَبَطَ لِطُلَابِهِ جُلَّ الْمُتَشَابِهِ ضَبْطًا اجْتِهَادِيًّا فَمَا يَرَوِيهِ بَعْضُ الطُّلَابِ عَنْ بَعْضِ مَشَايِخِهِ فِي كَيْفِيَّةِ ضَبْطِ : ﴿نَفْعًا﴾ و ﴿ضَرًّا﴾ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ :

١- ﴿قُلْ أَنْعَبُدُوا مَنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ [المائدة: ٧٦] .

٢- ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] .

٣- ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٤٩] .

٤- ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَتَأْخُذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا

ضَرًّا﴾ [الرَّعْدُ: ١٦] .

٥- ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٩] .

٦- ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا

وَلَا نَفْعًا﴾ [الفرقان: ٣] .

٧- ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [سَبَأ: ٤٢] .

٨- ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ [الْفَتْح: ١١] .

والضَّابِطُ :

في طَبْعَةِ « الْمَلِكِ فَهْدٍ لِلْمُصْحَفِ الشَّرِيفِ » تَتَقَدَّمُ - دَائِمًا - كَلِمَةُ ﴿ نَفْعًا ﴾ عَلَى ﴿ ضَرًّا ﴾ فِي الْوَجْهِ الْأَيْمَنِ ، وَ ﴿ ضَرًّا ﴾ عَلَى ﴿ نَفْعًا ﴾ فِي الْوَجْهِ الْأَيْسَرِ .

* فَالْتُّونُ فِي كَلِمَةِ ﴿ نَفْعًا ﴾ ، مَعَ « النُّونِ » فِي أَيْمَنِ .

* وَالرَّاءُ فِي كَلِمَةِ ﴿ ضَرًّا ﴾ ، مَعَ « الرَّاءِ » فِي أَيْسَرِ .

وَمِمَّا ضَبَطَ بَعْضُ الْمَشَائِخِ :

١- ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنَّ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البَقَرَةُ: ٢٣١] .

٢- ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطَّلَاق: ٢٣١] .

لَكَ فِي ضَبْطِهَا أَنْ تَقُولَ : السَّيْنُ فِي ﴿ سَرِّحُوهُنَّ ﴾ ، تَسْبِقُ الْفَاءَ فِي ﴿ فَارِقُوهُنَّ ﴾ ، حَسَبَ التَّرْتِيبِ الْمُهْجَائِيِّ ، وَالبَقَرَةُ تَسْبِقُ الطَّلَاقَ فِي تَرْتِيبِ الْمُصْحَفِ .

ضَابِطُ ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ :

وَمِمَّا قَالَهُ أَحَدُ الطُّلَّابِ : سَأَلَنِي شَيْخِي ذَاتَ مَرَّةٍ أَثْنَاءَ التَّسْمِيعِ أَنْ أَذْكَرَ الْآيَاتِ الَّتِي تَبْدَأُ

بـ ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ فَذَكَرْتُ بَعْضَهَا ، وَتَرَدَّدْتُ فِي الْأُخْرَى ، وَقُلْتُ بَدَلًا

مِنْهَا : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ فَقَالَ لِي : (غَفَرَ اللَّهُ لِلْحَاجِّ مُحَمَّدٍ يُوسُفَ) .

ثُمَّ قَالَ :

١- غَفَرَ اللَّهُ ﷻ سُورَةَ غَافِرٍ [٨٢] .

٢- لِلْحَاجِّ ﷻ سُورَةَ الْحَجِّ [٤٦] .

٣- مُحَمَّدٌ ﷻ سُورَةَ مُحَمَّدٍ [١٠] .

٤- يُوسُفُ ﷻ سُورَةَ يُوسُفَ [١٠٩] .

فهذه هي السُّورُ الْأَرْبَعُ الَّتِي ذَكَرْتُ فِيهَا: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾

صِنَاعَةُ الْحِفْظِ

فَإِذَا لَمْ تَجِدِ الشَّيْخَ ، فَاسْتَعِنْ بِالْكَتُبِ ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ ، لَكِنْ أَحْسَنُ كِتَابٍ فِي ضَبْطِ الْمُتَشَابِهَاتِ - فِيمَا أَعْلَمُ - مَنْظُومَةٌ : « هِدَايَةُ الْمُرتَابِ وَغَايَةُ الْحِفَافِ وَالطُّلَابِ فِي تَبْيِينِ مُتَشَابِهَةِ الْكِتَابِ » ، لِلْإِمَامِ الْمُقَرَّرِ الْعَلَّامَةِ السَّخَاوِيِّ ، وَهِيَ مَنْظُومَةٌ عَظِيمَةٌ ، نَنْصَحُ بِحِفْظِهَا ، وَهِيَ سَهْلَةٌ يَسِيرَةٌ ، وَمَنْ حَفِظَ الْقُرْآنَ لَا يَصْعُبُ عَلَيْهِ حِفْظُ الْمُتُونِ ؛ لِأَنَّ الْحِفْظَ يَأْتِي بِالْمَهَارَسَةِ .

ضَابِطُ ﴿ أَوَّلُهُ بِسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ : لَنْ يَغْفِرَ فَاطِرُ الْكَوْنِ لِلرُّومِ .

١- لَنْ يَغْفِرَ ۖ سُورَةُ غَافِرٍ [٢١] .

٢- فَاطِرُ الْكَوْنِ ۖ سُورَةُ فَاطِرٍ [٤٤] .

٣- لِلرُّومِ ۖ سُورَةُ الرُّومِ [٩] .

مَعَ التَّنْبِيهِ إِلَى وُجُودِ ﴿ أَوَّلِهِ ﴾ بِأَوَّلِ غَافِرٍ ، وَ ﴿ أَوَّلُهُ ﴾ بِآخِرِهَا ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصَّوَابِ الَّتِي تُسْتَفَادُ مِنَ الْمَشَائِخِ . وَيُمْكِنُ الاسْتِفَادَةُ مِنْ كُتُبِ الْمُتَشَابِهَةِ ، لَكِنْ بَعْدَ الْحِفْظِ ، لِأَجْلِ رُسُوحِهِ وَتَمَكُّنِهِ ، وَاللَّهُ الْمُؤَفِّقُ .

وَقَدْ اعْتَنَى الْعُلَمَاءُ وَالْحَفَافُ بِالآيَاتِ الْمُتَشَابِهَاتِ ، وَذَكَرُوا لَهَا قَوَاعِدَ لِضَبْطِهَا وَحِفْظِهَا ، وَمِنْ أَعْظَمِ تِلْكَ الْقَوَاعِدِ مَا يَتَعَلَّقُ بِمَعْنَى الْآيَاتِ . فَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ :

التَّفْرِيقُ بَيْنَ قَوْلِهِ - تَعَالَى - ﴿ قَالَ رَبِّ أَنْ يَكُونَ لِي عِلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَأَمْرَاتِي

عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝٤٠ ﴾ [آلِ عِمْرَانَ : ٤٠] .

وَقَوْلِهِ - تَعَالَى - ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنْ يَكُونَ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا

يَشَاءُ ۝٤٧ ﴾ [آلِ عِمْرَانَ : ٤٧] .

فَإِذَا عَرَفَ الْحَافِظُ أَنَّ الْآيَةَ الْأُولَى فِي سِيَاقِ قِصَّةِ زَكَرِيَّا - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَلَهُ زَوْجَةٌ ، فَارْتَفَعَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ ، وَهِيَ مَرْيَمَ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - وَلَيْسَ لَهَا زَوْجٌ ، فَكَانَتِ الْآيَةُ

الْأُولَى فِيهَا ﴿ يَفْعَلُ ﴾ وَالثَّانِيَةُ فِيهَا ﴿ يَخْلُقُ ﴾ .

وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

١٩ - الْحِفْظُ الْمَتِينُ

وَمَنْ يَكُ ذَا عَزْمٍ مَتِينٍ فَكُلُّ مَا تَوَلَّاهُ بِالْعَزْمِ الْمَتِينِ مَتِينٌ ^(١)

إِذَا أَرَدْتَ حِفْظَ سَطْرٍ، أَوْ آيَةٍ، أَوْ آيَتَيْنِ، أَوْ نِصْفَ صَفْحَةٍ، أَوْ صَفْحَةٍ، فَاحْفَظْ حِفْظًا مَتِينًا، كَمَا تَحْفَظُ الْفَاتِحَةَ تَمَامًا، فَأَنْتَ بِذَلِكَ تَرْفَعُ هِمَّتَكَ، وَتَسْمُو بِنَفْسِكَ إِلَى حِفْظِ مَا بَعْدَهُ عَلَى نَفْسِ الطَّرِيقَةِ، فَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ فَابْشُرْ، فَقَدْ خَطَوْتَ خُطْوَةً جَيِّدَةً فِي الْحِفْظِ، وَانْطَلَقْتَ مِنْ أَسَاسِ مَتِينٍ، لَكِنْ إِذَا كَانَ حِفْظُكَ الْجَدِيدُ ضَعِيفًا، وَرَضِيتَ لِنَفْسِكَ بِالْخَطَا أَوْ الْخَطَايِنِ أَوْ التَّعَتُّعِ، فَأَنْتَ -بَلَا شَكٍّ- تُحِبُّ مَنْ عَزِيمَتِكَ، وَتَدْنُو بِهِمَّتِكَ، وَمَتَى اسْتَمَرَرْتَ عَلَى ذَلِكَ، يَتَبَيَّنُ لَكَ بَعْدَ وَقْتٍ أَنَّكَ كُنْتَ تَلْعَبُ وَلَا تَحْفَظُ !! .

وَيَحْكُ أَتَقِنُ حِفْظَكَ الْجَدِيدَ، كَمَا تُتَقِنُ الْفَاتِحَةَ بَلْ أَكْثَرَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَلَا تَعْجَلْ بِالْحِفْظِ؛ وَلَآنَ تَحْفَظُ آيَةً كَمَا تَحْفَظُ اسْمَكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حِفْظِ صَفْحَةٍ حِفْظًا ضَعِيفًا، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ .

فَخُذِ الثَّقَافَةَ وَالْعُلُومَ؛ فَإِنَّهَا خَيْلُ الرِّهَانِ يُحَوِّزُهُنَّ ثِقَاتُ لَا يَبْلُغُ الْعِزَّ الْمَتِينُ مُقَصِّرٌ أَبَدًا، وَلَا يُهْدَى السَّبِيلَ غَفَاةٌ

(١) « دِيَوَانُ خَلِيلِ جُبْرَان » (ص ٢٥٧٣) .

٢٠ - تَعَاهُدُ الْمَحْفُوظِ

تَعَاهَدُ مَعَ الْقُرْآنِ وَأَبَ تَغْيُرَا أَلَسْتَ تَرَى الْقُرْآنَ لَا يَتَغَيَّرُ (١)

اعْلَمْ أَنَّ تَعَاهُدَ الْقُرْآنِ هُوَ الَّذِي يُؤْتِي الشَّارَ ، وَأَنَّ الْإِنْقِطَاعَ مَظَنَّةُ الضِّيَاعِ ، فَتَعَاهُدِ الْقُرْآنَ ، فَإِنَّهَا لَوْصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فَعَنْ أَبِي مُوسَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ ؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، هُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقْلِهَا (٢) » (٣) .

وَقَالَ كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : « إِنَّمَا مِثْلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَصَاحِبِ الْإِبِلِ الْمُعْلَقَةِ - أَيِ : الْمَرْبُوطَةِ - إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا ، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ » (٤) (٥) .

فَتَعَاهُدُهُ فِي الْحَالِ وَالتَّرْحَالِ ، فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، فِي الصَّلَاةِ وَخَارِجَهَا ، فَإِنَّهُ لَذِكْرُكَ فِي الْأَرْضِ ، وَكُنْ فِي غَدِكَ أَحْسَنَ مِنْكَ الْيَوْمَ ، كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ

(١) « دِيَوَانُ مُحَمَّدِ الْعِيدِ آلِ خَلِيفَةَ » (ص ١٤٩) .

(٢) عُقْلُهَا - بِضَمَّتَيْنِ ، وَيُجَوُزُ إِسْكَانُ الْقَافِ - : جَمْعُ عَقَالٍ - بِالْكَسْرِ - ، وَهُوَ الْحَبْلُ .

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٠٣٣) ، وَمُسْلِمٌ (٧٩١) .

(٤) شَبَّهَ ثَلَاثَةَ بَنَاتٍ : شَبَّهَ حَامِلَ الْقُرْآنِ بِصَاحِبِ النَّاقَةِ ، وَالْقُرْآنَ بِالنَّاقَةِ ، وَالتَّعَاهُدَ بِالرَّيْطِ .

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٠٣١) ، وَمُسْلِمٌ (٧٨٩) .

الْحَرْبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : « لَقَدْ صَحِبْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ عِشْرِينَ سَنَةً، صَيْفًا وَشِتَاءً ، حَرًّا وَبَرْدًا ، لَيْلًا وَنَهَارًا ، فَمَا لَقِيتُهُ لِقَاءً فِي يَوْمٍ إِلَّا هُوَ زَائِدٌ عَلَيْهِ بِالْأَمْسِ »^(١).

وَلْيَكُنْ حَالُكَ كَمَا قِيلَ :

مُتَنَقِّلٌ مِّنْ سُودَدٍ فِي سُودَدٍ مِثْلُ أَهْلَالٍ جَرَى إِلَى اسْتِكْمَالِهِ

(١) « طَبَقَاتُ الْحَنَابِلَةِ » (١/ ٩٢).

٢١ - المراجعة المنظمة

أَطَلَقْتُ أَلْسِنَةَ الثَّنَاءِ عَلَيْكَ فِي مَا أَبَدَعْتَهُ بِأَحْسَنِ التَّنْظِيمِ ^(١)
 المراجعة من أهم ما يعتني به الطالب بعد الحفظ، ولها دور كبير في بقاء
 المحفوظ، وترسيخه في الذاكرة؛ لأن القرآن - كغيره - عرضة للنسيان، بل
 هو أشد تفلُّتاً، وقد أكد ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله: «تَعَاهَدُوا
 القرآن؛ فوالذي نفسي بيده، هو أشد تفلُّتاً من الإبل في عُقْلِهَا» ^(٢).
 وعليه فإن المراجعة هي من باب المحافظة على رأس المال، وزيادة
 الحفظ من باب الربح، والمحافظة على رأس المال أولى من الربح.

طرق المراجعة:

حُفَاطُ كِتَابِ اللَّهِ قِسْمَانِ :

١ - حُفَاطُ الْقُرْآنِ كَامِلًا .

٢ - حُفَاطُ الْأَجْزَاءِ مُحَدَّدَةً .

فالحفظ الجزئي يحتاج إلى مراجعة دوماً، بحيث لا يمر أسبوع إلا وقد
 مررت على مراجعة كل ما تحفظ .

(١) « دِيَوَانُ عَبْدِ الْعَفَّارِ الْأَخْرَسِ » (ص ٣٣٥) .

(٢) تَقَدَّمَ تَحْرِيجُهُ .

وَأَمَّا حَفْظَةُ الْقُرْآنِ كَامِلًا فَلَهُمْ عِدَّةُ طُرُقٍ ، أَفْضَلُهَا طَرِيقَتَانِ :

١ - تَسْدِيسُ الْقُرْآنِ :

أَيُّ : تَحْزِينُهُ عَلَى سِتَّةِ أَحْزَابٍ ، وَيَبْقَى يَوْمُ الْجُمُعَةِ لِقِرَاءَةِ الْكَهْفِ ، وَصَلَةِ الرَّحِمِ ، أَوْ لِقَضَاءِ حِزْبٍ فَاتَتْ مُرَاجَعَتُهُ لظَرْفٍ مَا ، وَغَيْرِ ذَلِكَ .

٢ - تَسْبِيعُ الْقُرْآنِ :

أَيُّ : تَحْزِينُهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْزَابٍ ، وَرُدُّ كُلِّ يَوْمٍ حِزْبٍ مِنْهَا .
وَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ حَزَّبَ الْقُرْآنَ بِطَرِيقَةِ التَّسْبِيعِ بِعِبَارَةٍ : (فَمِي بِشَوْقٍ) .
وَالْمُرَادُ بِهَا : أَنَّ فَمَ الْقَارِئِ يَشْتَاقُ لِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَتَرْتِيلِهِ ، وَإِلَيْكَ شَرَحُهَا :
ف : مِنَ الْفَاتِحَةِ إِلَى الْمَائِدَةِ .

م : مِنَ الْمَائِدَةِ إِلَى يُونُسَ .

ي : مِنَ يُونُسَ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ (أَيُّ : سُورَةِ الْإِسْرَاءِ) .

ب : مِنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الشُّعْرَاءِ .

ش : مِنَ الشُّعْرَاءِ إِلَى الصَّافَّاتِ .

و : مِنَ الصَّافَّاتِ إِلَى ق .

ق : مِنَ ق إِلَى آخِرِ النَّاسِ .

وَقَدْ نَظَمَهَا أَحَدُ الشُّعْرَاءِ لِتَسْهِيلِ حِفْظِهَا بِقَوْلِهِ :

بُكَرٌ ، عُقُودٌ ، يُونسُ ، سُبْحَانَا الشُّعْرَا ، يَقْطِئُنْ ، قَافُ بَانَا

وَيُقْصَدُ بِالْبِكْرِ: سُورَةُ الْبَقَرَةِ الْبِكْرِ ، وَبِالْعُقُودِ: سُورَةُ الْمَائِدَةِ ، وَبِسُبْحَانَ: سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ، وَبِيقْطِئُنْ: سُورَةُ الصَّافَّاتِ .

وَتَوْضِيحُ مَا سَبَقَ أَكْثَرُ فِي الْجَدُولِ الْآتِي :

اليَوْمُ	الحِزْبُ	السُّورُ الْمُخَصَّصَةُ	الصفحاتُ	عَدْدُهَا
السَّبْتُ	الأَوَّلُ	مِنَ الْبَقَرَةِ إِلَى الْمَائِدَةِ	١٠٦-١	١٠٦
الأَحَدُ	الثَّانِي	مِنَ الْمَائِدَةِ إِلَى يُونسَ	٢٠٧-١٠٦	١٠١
الاِثْنَيْنِ	الثَّالِثُ	مِنَ يُونسَ إِلَى الْإِسْرَاءِ	٢٨١-٢٠٨	٧٣
الثُّلَاثَاءُ	الرَّابِعُ	مِنَ الْإِسْرَاءِ إِلَى الشُّعْرَاءِ	٣٦٦-٢٨٢	٧٤
الأَرْبَعَاءُ	الخَامِسُ	مِنَ الشُّعْرَاءِ إِلَى الصَّافَّاتِ	٤٤٥-٣٦٧	٧٨
الخَمِيسُ	السَّادِسُ	مِنَ الصَّافَّاتِ إِلَى ق	٥١٧-٤٤٦	٧١
الجُمُعَةُ	السَّابِعُ	مِنَ ق إِلَى آخِرِ الْقُرْآنِ	٦٠٤-٥١٨	٨٦

فَسَبْعُ لَيَالٍ هِيَ الْأَكْمَلُ فِي ضَبْطِ الْحِفْظِ ، وَهِيَ وَصِيَّةُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَهِيَ غَالِبُ فِعْلٍ

الصَّحَابَةِ - رَضِوانَ اللهِ عَلَيْهِم - .

فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - : قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « اِقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ » ، قَالَ : قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللهِ ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ .

قَالَ : « فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرِينَ » ، قَالَ : قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللهِ ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ .

قَالَ : « فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرِ » ، قَالَ : قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللهِ ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ .

قَالَ : « فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ ، وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ » ^(١) .

وَفِي رِوَايَةٍ : « اقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ ، لَا يَفْقَهُهُ مَنْ يَقْرُؤُهُ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ » ^(٢) .
فَيَنْبَغِي لِحَافِظِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَرْدٌ دَائِمٌ ، أَقَلُّهُ جُزْءٌ مِنَ الثَّلَاثِينَ جُزْءًا مِنَ الْقُرْآنِ كُلِّ يَوْمٍ ، وَأَكْثَرُهُ قِرَاءَةُ عَشْرَةِ أَجْزَاءٍ ؛ لِقَوْلِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « لَا يَفْقَهُهُ مَنْ يَقْرُؤُهُ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ » .

قَالَ ابْنُ جُمَاعَةَ - رَحِمَهُ اللهُ - : « وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي سَبْعَةِ أَيَّامٍ وَرَدٌّ حَسَنٌ ،

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١١٥٩) .

(٢) (صَحِيحٌ) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٦٥٤٦) ، وَأَبُو دَاوُدَ (١٣٩٢) ، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٩٤٩) ، وَقَالَ : حَسَنٌ صَحِيحٌ وَابْنُ مَاجَهَ (١٣٤٧) ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (١١٥٧) .

وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ ، وَعَمِلَ بِهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - ^(١) .

وَالْخَتْمَةُ فِي أُسْبُوعٍ هِيَ أَفْضَلُ طُرُقِ الْمُرَاجَعَةِ ، لَا سِيَّامَا إِذَا كَانَ الْمَرْءُ حَدِيثَ عَهْدٍ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ ؛ إِذْ تَمُرُّ ذَاكِرَةُ الْإِنْسَانِ - كَمَا أَقَرَّهُ الطَّبُّ - بِمَرَاكِحٍ تَحْتَاجُ لَوْقَتَ يَتِمُّ فِيهِ (اسْتِيعَابُ الْمَعْلُومَةِ) ، ثُمَّ فَرْزُهَا ، ثُمَّ التَّخْزِينُ ؛ لِذَلِكَ قَالُوا : الْحِفْظُ السَّرِيعُ لَنْ يَتَخَزَّنَ ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ تَجَاوُزَ مَرَاكِحِ الْاسْتِيعَابِ . وَقَالُوا : إِنَّ عَقْلَ الْإِنْسَانِ فِيهِ ذَاكِرَةٌ قَصِيرَةٌ ، وَذَاكِرَةٌ طَوِيلَةٌ ، وَعِنْدَ الْحِفْظِ تَكُونُ الْمَادَّةُ فِي الذَّاكِرَةِ الْقَصِيرَةِ ، وَلَكِنْ بِالْمُرَاجَعَةِ وَالتَّكْرَارِ تَتَحَوَّلُ الْمَادَّةُ إِلَى الذَّاكِرَةِ الطَّوِيلَةِ .

وَهَذِهِ الْمُرَاجَعَةُ خَاصَّةٌ بِمَنْ قَدْ أَتَمَّ حِفْظَ الْقُرْآنِ ، وَفِيهَا يَأْتِي الْمُرَاجَعَةُ لِمَنْ شَرَعَ فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ .

كَيْفَ تَجْمَعُ بَيْنَ الْحِفْظِ وَالْمُرَاجَعَةِ؟

أَفْضَلُ طَرِيقَةٍ لِلْمُرَاجَعَةِ أَثْنَاءَ الْحِفْظِ هِيَ : أَنْ تُرَاجِعَ يَوْمِيًّا عَدَدًا مِنَ الصَّفَحَاتِ بِمَقْدَارِ عَدَدِ الْأَجْزَاءِ الَّتِي حَفِظْتَهَا ، أَيْ : إِذَا كُنْتَ قَدْ انْتَهَيْتَ مِنَ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ ، فَعَلَيْكَ بِمُرَاجَعَةِ صَفْحَةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَبِذَلِكَ سَوْفَ تَنْتَهِي مِنْ مُرَاجَعَةِ الْجُزْءِ خِلَالَ عِشْرِينَ يَوْمًا .

وَإِذَا كُنْتَ قَدْ أَنْهَيْتَ جُزْئَيْنِ ، فَعَلَيْكَ بِمُرَاجَعَةِ صَفْحَتَيْنِ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، بَدَأَ مِنَ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ ثُمَّ الثَّانِي ، وَبِذَلِكَ تَنْتَهِي مِنْ مُرَاجَعَةِ جُزْئَيْنِ خِلَالَ

(١) « تَذْكِرَةُ السَّامِعِ وَالْمُتَكَلِّمِ » (ص ٢٢) .

شَهْرًا ، وَهَكَذَا إِذَا أَتَمَمْتَ ثَلَاثِينَ جُزْءًا ؛ كُلَّ يَوْمٍ ، وَبِالتَّالِي سَوْفَ تُكْمِلُ
 مُرَاجَعَةَ الْقُرْآنِ كَامِلًا فِي كُلِّ شَهْرٍ .
 وَمِنَ الْمُنَاسِبِ ذِكْرُ الْقَاعِدَةِ الَّتِي تَقُولُ : « إِنَّ الْحَافِظَ يَجِبُ أَلَّا يَقْضِيَ أَكْثَرَ
 مِنْ نِصْفِ سَاعَةٍ فِي الْجُزْءِ » ^(١) .

(١) انْظُرْ : « كَيْفَ أَحْفَظُ الْقُرْآنَ » د. عَبْدُ اللَّهِ الْمُلْحِم (ص ٣١) بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ .

٢٢ - الْعَمَلُ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

تَدُلُّ عَلَى التَّقْوَى ، وَأَنْتَ مُقَصِّرٌ أَيَا مَنْ يُدَاوِي النَّاسَ وَهُوَ سَقِيمٌ ^(١)

الْعَمَلُ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ أَعْظَمِ وَسَائِلِ حِفْظِهِ وَرُسُوحِهِ فِي الذِّهْنِ ، وَهَلْ أَنْزَلَ اللَّهُ كِتَابَهُ الْكَرِيمَ إِلَّا لِلْعَمَلِ بِمَا فِيهِ مِنْ شَرَائِعٍ وَأَحْكَامٍ .
فَإِذَا لَمْ نَعْمَلْ بِمَا فِيهِ ، لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ ذَمَّهُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ - كَبِيرُ فَرْقٍ .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٥] .

فَتَأَمَّلْ كَيْفَ ذَمَّ اللَّهُ أَهْلَ الْكِتَابِ غَايَةَ الذَّمِّ ؛ لِأَنَّهُمْ حَفِظُوا التَّوْرَةَ ، وَلَمْ يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا مِنْ شَرَائِعٍ وَأَحْكَامٍ ، فَمَنْ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ ، وَلَمْ يَعْمَلْ بِمَا فِيهِ - فَفِيهِ شَبَهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ .

وَهَلْ كَانَتْ أَخْلَاقُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَّا الْقُرْآنَ ؟ !! .

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» ^(٢) عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ : قُلْتُ لِعَائِشَةَ - رَضِيَ

(١) « دِيْوَانُ أَبِي الْعَتَاهِيَّةِ » (ص ١٦٨) .

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٧٤٦) .

اللَّهُ عَنْهَا - : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْبِئِنِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . قَالَتْ : « أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ ! » .

قُلْتُ : بَلَى .

قَالَتْ : فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ الْقُرْآنَ .
وَهَذِهِ مِنْ أَحْسَنِ الْإِجَابَةِ وَالْطَفْهِمَا .

٢٣ - الْحِفْظُ مِنْ سُورَةِ النَّاسِ

إِلَى أَيْنَ بِي عَنْ صَاعِدٍ وَانْتَجَاعِهِ وَقَدْ رَادَهُ الرُّوَادُ قَبْلِي فَأَحْمَدُوا (١)

يَحْسُنُ أَنْ يَكُونَ الْحِفْظُ مِنْ سُورَةِ النَّاسِ إِلَى سُورَةِ الْبَقَرَةِ ؛ لِأَنَّهُ أَسْهَلُ ، وَبَعْدَ الْحِفْظِ تَكُونُ الْمُرَاجَعَةُ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ إِلَى النَّاسِ ، وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ سَهْلَةٌ مُيسَّرَةٌ ، تُسَهِّلُ عَمَلِيَّةَ الْحِفْظِ وَالِاسْتِيعَابِ ، وَقَدْ يَكُونُ الطَّالِبُ مُبْتَدِئًا أَوْ صَغِيرًا ، فَيَحْتَاجُ إِلَى التَّلْقِينِ ، وَتَلْقِينُ قِصَارِ الصُّورِ قَبْلَ طَوَالِهَا أَمَكْنُ فِي الْحِفْظِ وَالِاتِّقَانِ وَعَلَى ذَلِكَ جَرَى عَمَلُ كَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ .

قَالَ السُّيُوطِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

« ثُمَّ ظَهَرَتْ لِذَلِكَ حِكْمَةٌ فِي التَّعْلِيمِ ، وَتَدْرُجُ الْأَطْفَالِ مِنَ السُّورِ الْقِصَارِ إِلَى مَا فَوْقَهَا تَيْسِيرًا مِنَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ لِحِفْظِ كِتَابِهِ » . (٢)

لَكِنْ إِذَا كَانَ الْأَطْفَالُ أَوْ الْكِبَارُ أَسْرَعَ اسْتِجَابَةً ، وَأَرْسَخَ حِفْظًا ، فَالْحِفْظُ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ إِلَى سُورَةِ النَّاسِ فِي حَقِّهِمْ أَفْضَلُ ، وَلَا بَأْسَ أَنْ يَبْدَأَ الْمَرْءُ بِحِفْظِ السُّورِ الْمَسْمُوعَةِ كَثِيرًا ، وَالَّتِي هِيَ سَهْلَةٌ عَلَيْهِ ، مِثْلُ :

(١) « دِيَوَانُ ابْنِ الرُّومِيِّ » (ص ١٢٠٥) .

(٢) « الْإِتِّقَانُ » (١/٦٦) .

سُورَةُ يُوسُفَ ، وَالْكَهْفِ ، وَمَرْيَمَ ، وَيَسَ ، وَتَبَارَكَ ، وَقِصَارِ السُّورِ ، ثُمَّ
يُكْمِلُ الْبَاقِيَ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُعْطِيهِ دَافِعًا قَوِيًّا لِتَكْمِلَةِ الْحِفْظِ ، إِذَا وَجَدَ نَفْسَهُ
قَدْ حَفِظَ أَجْزَاءَ كَثِيرَةً ، وَكُلُّ أَدْرَى بِظَرْفِهِ ، قَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ قَدْ
عَلِمَ كُلُّ أَنَاسٍ مَشْرَبُهُمْ ﴾ [البقرة: ٦٠] .

٢٤ - اِبْدَأْ بِالْأَجْزَاءِ السَّهْلَةِ ^(١)

نَلْنَا الْمُتَى السَّهْلَ يَا مَنْ حِلْمُهُ جَبَلٌ يَفَائِضُ الْفَضْلَ بَيْنَ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ ^(٢)

لَيْسَ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ تَحْفَظَ الْقُرْآنَ بِتَرْتِيبِ الْمُصْحَفِ ، وَخَاصَّةً مِنَ الْبِدَايَةِ ، بَلْ إِنِّي أُفْضِلُ أَنْ تَبْدَأَ بِالْأَجْزَاءِ السَّهْلَةِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، حَتَّى تَحْفَظَهَا بِسُرْعَةٍ ، وَتَكُونُ حَصِيلَةً جَيِّدَةً مِنَ الْقُرْآنِ مُبَكَّرًا ، وَهَذَا - بَلَا شَكٍّ - سَيَدْفَعُكَ دَفْعَةً كَبِيرَةً إِلَى الْأَمَامِ ؛ لِأَنَّ حِمَاسَكَ لِلْحِفْظِ وَأَنْتَ تَحْمِلُ فِي صَدْرِكَ خُمُسَ الْقُرْآنِ غَيْرُ حِمَاسِكَ وَأَنْتَ تَحْمِلُ نِصْفَ الْقُرْآنِ ، غَيْرُ حِمَاسِكَ وَأَنْتَ لَا تَحْمِلُ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا ، وَالسُّهُولَةُ فِي أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ نَسَبِيَّةٌ ، فَقَدْ تَكُونُ هُنَاكَ سُورَةٌ سَهْلَةٌ جَدًّا بِالنِّسْبَةِ لِي ، وَلَكِنَّهَا صَعْبَةٌ عَلَيْكَ ، وَالْعَكْسُ - أَيْضًا - صَحِيحٌ ، فَكَثِيرٌ مِنَ السُّورِ الَّتِي أَسْتَصْعِبُهَا قَدْ تَكُونُ سَهْلَةً عَلَيْكَ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ هُنَاكَ سُورًا أَجْمَعَ الْحِفَاطُ عَلَى سُهُولَتِهَا ، وَلِذَلِكَ نَنْصَحُ بِأَنْ تَبْدَأَ بِهَا ، وَهِيَ - عَلَى الْعُمُومِ - السُّورُ الَّتِي تُسْمَعُ كَثِيرًا فِي الصَّلَوَاتِ ، وَالسُّورُ الَّتِي تَحْتَوِي عَلَى قِصَصٍ كَثِيرَةٍ .

(١) « انْظُرْ : « مِنْ الْقَوَاعِدِ الْمُسَاعِدَةِ لِحِفْظِ الْقُرْآنِ » مُحَمَّدُ الْعَشْرِي ، ضِمَّنَ سِلْسِلَةً نُشِرَتْ فِي شَبَكَةِ الْأَلُوَكَةِ .

(٢) « دِيَوَانُ ابْنِ نَبَاتَةِ الْمِصْرِيِّ » (ص ١٤٧٦) .

فَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ : أَنْ تَبْدَأَ بِمَا يَأْتِي (الجزء الثلاثون - الجزء التاسع والعشرون - سُورَةُ الْبَقَرَةِ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ) .

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَرْهَبُ حِفْظَ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ لِكَبَرِ حَجْمِهِمَا ، وَلَكِنْ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ تَمَامًا :

فَأَوَّلًا - هُنَاكَ الْكَثِيرُ مِنَ الْآيَاتِ الْمَسْمُوعَةِ بِكَثَرَةٍ فِي كِلْتَا السُّورَتَيْنِ ، وَكَثِيرًا مَا يَقْرَأُ بِهَا الْأُئِمَّةُ فِي الصَّلَاةِ .

ثَانِيًا - هُمَا يَحْتَوِيَانِ عَلَى قِصَصٍ كَثِيرَةٍ ، وَأَسْبَابِ نُزُولٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، وَالَّذِي يَعْرِفُ الْقِصَّةَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْفَظَ الْآيَاتِ الْخَاصَّةَ بِالْقِصَّةِ بِسُهُولَةٍ ، فَسُورَةُ الْبَقَرَةِ تَتَحَدَّثُ عَنْ مَوَاقِفِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ تَتَحَدَّثُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ الْمَشْهُورَةِ : كَأَحْكَامِ الصِّيَامِ ، وَالْحَجِّ ، وَالذِّينِ ، وَالْإِنْفَاقِ ، وَالرِّبَا ، وَفِيهَا آيَةُ الْكُرْسِيِّ ، وَخَوَاتِيمُ الْبَقَرَةِ ، وَقِصَّةُ طَالُوتَ ، وَكُلُّ هَذَا يَعْلَمُهُ مُعْظَمُ الْمُسْلِمِينَ ، أَمَّا سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ، فَهِيَ تَتَحَدَّثُ عَنْ شُبُهَاتِ أَهْلِ الْكِتَابِ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَالرَّدِّ عَلَيْهَا ، ثُمَّ تَتَحَدَّثُ عَنْ غَزْوَةِ أُحُدٍ ، وَهِيَ - أَيْضًا - سُورَةٌ مَشْهُورَةٌ فِي الصَّلَوَاتِ الْجَهْرِيَّةِ ، وَفَوْقَ هَذَا فَسُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبَيْهِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

(سُورَةُ يُوسُفَ - الجزء السابع والعشرون - سُورَةُ يَسَ - سُورَةُ الْقَصَصِ - سُورَةُ الْأَنْفَالِ - سُورَةُ الْأَحْزَابِ - سُورَةُ لُقْمَانَ - سُورَةُ ص) .

صِنَاعَةُ الْحِفْظِ

كَمَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْفَظَ السُّورَ الَّتِي لَهَا فَضْلٌ خَاصٌّ ، أَوْ هُنَاكَ تَرْغِيبٌ خَاصٌّ فِي قِرَاءَتِهَا فِي الصَّلَاةِ ، أَوْ خَارِجَ الصَّلَاةِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُيسِّرُ لَكَ قِرَاءَتَهَا دُونَ الْحَاجَةِ لَوْجُودِ الْمُصْحَفِ أَوْ الْجُلُوسِ خَصِيصًا لِلتَّلَاوَةِ .

فَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ : الْكَهْفِ ، الْمُلْكِ ، السَّجْدَةِ ، الْإِنْسَانِ ، الْجُمُعَةِ ، الْمُنَافِقُونَ ، ق .

وَهَذِهِ السُّورَةُ الْأَخِيرَةُ (ق) سُهُولَتُهَا ؛ لِكثَرَةِ طُرُقِ سَمَاعِهَا مِنْ أَفْوَاهِ الْخُطَبَاءِ ، زِدْ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهَا سَهْلَةٌ جَدًّا ، فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ أُمِّ هِشَامِ بِنْتِ حَارِثَةَ بِنِ النَّعْمَانِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « مَا حَفِظْتُ (ق) إِلَّا مِنْ فِي رَسُولٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، يَخْطُبُ بِهَا كُلَّ جُمُعَةٍ » (١) .

كَمَا نَنْصَحُ بِعَدَمِ الْبَدْءِ بِحِفْظِ السُّورِ الْآتِيَةِ لِصُعُوبَتِهَا نِسْبِيًّا :

(يُونُسُ - فَاطِرُ - الْجُزْءُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ - النِّسَاءُ - النَّحْلُ - الْعَنَكَبُوتُ - الزُّمَرُ) .

وَهُنَا تَبَيُّهُ مُهِمٌّ ، وَهُوَ : أَنَّ هَذِهِ الْأَخْتِيَارَاتِ لَيْسَتْ عَلَى إِطْلَاقِهَا ، فَالْسَّهْلُ عَلَى إِنْسَانٍ مَا قَدْ يَكُونُ صَعْبًا عَلَى غَيْرِهِ ، وَالْمُوفَّقُ مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ .

(١) « رَوَاهُ مُسْلِمٌ » (٨٧٣) .

٢٥ - الْحِفْظُ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَأَكْثَرَ

وَطَالَمَا كَانَ ذَاكَ الْإِلْفُ بَيْنَهُمَا عَلَى صُرُوفِ اللَّيَالِي خَيْرَ مِعْوَانٍ ^(١)

قَدْ يَتَحَمَّسُ الْمَرْءُ لِلْحِفْظِ ، وَيَشْرَعُ فِي ذَلِكَ بَنِيَّةً صَادِقَةً ، وَعَزِيمَةً قَوِيَّةً ، وَهَمَّةً عَالِيَةً ، لَكِنْ مَا يَمُرُّ عَلَيْهِ الْوَقْتُ حَتَّى يَفْتَرُ ذَلِكَ الْحِمَاسُ ، وَتَخْبُو تِلْكَ النِّيَّةُ ، وَتَحْمَدُ تِلْكَ الْعَزِيمَةُ ، وَتَهْبِطُ تِلْكَ الْهَمَّةُ ، ثُمَّ يَتَوَقَّفُ فِي النَّهَايَةِ ، وَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا قَدْ حَفَظَهُ سَابِقًا ، وَأَفْضَلُ الطَّرِيقِ لِحَرْبِ الشَّيْطَانِ فِي هَذَا الْمِضْمَارِ : أَنْ تَرْتَبِطَ بِوَاحِدٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأُخُوَّةِ ، وَالْمَعَارِفِ ؛ لِلتَّعَاوُنِ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .

فَإِذَا حَدَثَ فُتُورٌ فَإِنَّ أَخَاكَ يُذَكِّرُكَ ، وَيَشُدُّ مِنْ أَرْزَاكَ ، وَيَحُثُّكَ عَلَى مُوَاصَلَةِ السَّيْرِ ، وَتَكُونُ أَنْتَ كَذَلِكَ مَعَهُ ، فَتَهْزِمَانِ الشَّيْطَانَ وَالنَّفْسَ الْأَمَّارَةَ .

فَعَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ ، وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ » ^(٢) .

(١) « دِيَوَانُ جُبْرَانَ خَلِيلِ جُبْرَانَ » (ص ٢٦٠٥) .

(٢) (صَحِيحُ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢١٦٥) ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي « الصَّحِيحَةِ » (٤٣ و ١١١٦) .

صِنَاعَةُ الْحِفْظِ

وَعِزُّ خَافٍ عَلَى اللَّيْبِ مَا فِي الْحِفْظِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَأَكْثَرَ مِنَ الْأُلْفَةِ وَالْمَوَدَّةِ،
لَا سِيَّأَ إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ التَّقَى وَالصَّلَاحِ ، وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فَيَقْتَبِسُ
كُلُّ مَنْهَا مِنَ الْآخِرِ ، فَتَتَوَهَّجُ أَخْلَاقُهَا وَتَزْدَانُ ، فَقَدْ ذَكَرَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ
السَّنْقِيطِيُّ أَنَّ الشَّنَاقِطَةَ - وَهُمْ مَضْرِبُ الْمَثَلِ فِي قُوَّةِ الْحَافِظَةِ وَالذِّكَاةِ - مِنْ
وَسَائِلِهِمْ ، وَطُرُقِهِمْ فِي الْحِفْظِ «التَّعْلِيمُ الزُّمَرِيُّ» - وَهُوَ : دِرَاسَةُ جَمَاعِيَّةٍ
تَشْتَرِكُ فِيهَا مَجْمُوعَةٌ مِنَ الطَّلَبَةِ مُتَقَارِبِي الْمُسْتَوَيَاتِ ، يَقَعُ اخْتِيَارُهُمْ عَلَى
مَتْنٍ وَاحِدٍ يَدْرُسُونَهُ مَعًا ، حِصَّةً حِصَّةً ، يَتَعَاوَنُونَ عَلَى تِكْرَارِهِ ، وَاسْتِظْهَارِ
مَعَانِيهِ ، يَتَحَاجُّونَ فِيهِ ، وَيُنَشِّطُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى الْمُواصَلَةِ وَالِاسْتِمْرَارِ
وَمُدَافَعَةِ السَّامَةِ وَالْمَلَلِ «^(١)».

عُذْرًا فَإِنِّي مِنْ هَوَاهَا وَاقِي
أَنَا إِن سَأَلْتُمْ عَنْ هَوَايَ ، فَإِنِّي
وَرَسَمْتُ لِلتَّحْنَانِ أَجْمَلَ صُورَةٍ
أَنَا مَا سَبَى ^(٢) قَلْبِي الْحَنِينُ لَطْفِيَّةٍ
كَلاَّ ؛ وَلَا أَنَا مُغْرَمٌ بِوَصَالِ مَنْ
أَنَا عَاشِقٌ سَافَرْتُ فِي أَفْقِ الْهَوَى

فَأَنَا أَسِيرُ الْوَجْدِ وَالْأَشْوَاقِ
صَبُّ ^(٢) رَقَى فِي الْحُبِّ خَيْرَ مَرَاقِي
تَزْهُو بِفَاتِنَتِي وَبِالْمُشْتَاكِ
حَسَنَاءَ لَيْسَ فِرَاقُهَا بِمُطَاقِ
تَسْتَعْبِدُ الْأَحْرَارَ بِالْأَخْدَاقِ
أَطْوِي الضُّلُوعَ عَلَى حَشَا خَفَاقِ

(١) «أَرْشِفُ مُلْتَقَى أَهْلِ الْحَدِيثِ» (٨٦-٤١٧).

(٢) الصَّبُّ - بِالْفَتْحِ - الْعَاشِقُ الْمُحِبُّ .

(٣) سَبَى سَبِيًّا وَسِبَاءً ۖ أَسَرَ .

أَلَقَ اللَّتِي سَتَحِلُّ فِي أَعْمَاقِي
تَجْرِي بِمَاءٍ لِلتُّقَى دَفَاقِ
وَمِنْ الْعَجَائِبِ رَاحَةُ الْمُشْتَاكِ
وَبِهَامَعَيْنُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ
سَاحَطُ رَحْلِ الْعِشْقِ وَالْعُشَاكِ
نِعَمَ الدَّلِيلُ إِلَى رِضَى الْخَلَاقِ
وَعَدَوَاتٍ لِلأَدْوَاءِ أَنْفَعُ رَاقِي
فَلَأَنْتِ - حَقًّا - مَطْلَعُ الْإِشْرَاقِ

سَافَرْتُ حَتَّى مَلَّنِي سَفَرِي ، وَلَمْ
حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى جَنَانٍ لِلْهُدَى
فَارْتَاخَ مِنْ جَهْدِ التَّرَحُّلِ خَاطِرِي
وَإِذَا بِرَوْضَةٍ آيَ رَبِّي تَزْدَهِي
وَنَهَلْتُ مِنْ قُرْآنِ رَبِّي ، إِنِّي
وَسَيَصِيرُ لِي آيُ الْكِتَابِ وَهْدِيهِ
يَا رَوْضَةَ الْقُرْآنِ ، كَمْ أَوْيْتَنِي
فَاللَّهِ أَسْأَلُ أَنْ يُدِيمَكَ مَقْصِدًا

٢٦ - الْحِفْظُ عَنْ طَرِيقِ الْحَوَاسِّ الثَّلَاثِ

وَأَمَّا الْحَوَاسُّ الْخَمْسُ فَهِيَ لِرَبِّنَا بِهَا تَشْهَدُ الْآيَاتِ فِي الْعُلُوِّ وَالسَّفْلِ ^(١)

١ - حَاسَّةُ السَّمْعِ :

بَأَنْ تَقْرَأَ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ نَسَبِيًّا إِلَّا إِذَا كُنْتَ فِي مَسْجِدٍ ؛ وَذَلِكَ حَتَّى تُدْخَلَ الْمَعْلُومَةُ إِلَى الدَّهْنِ مَسْمُوعَةً ، وَلِأَنَّ الْجَهْرَ بِالْقِرَاءَةِ يُسَاعِدُ عَلَى الْحِفْظِ ، وَيُذْهِبُ النَّوْمَ .

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ : « دَخَلَ عَلَيَّ أَبِي ، وَأَنَا أُرْوِي فِي دَفْتَرِي ، وَلَا أَجْهَرُ - أُرْوِي فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي - ، فَقَالَ لِي : إِنَّمَا لَكَ مِنْ رِوَايَتِكَ هَذِهِ مَا أَدَّى بَصْرُكَ إِلَى قَلْبِكَ ، فَإِنْ أَرَدْتَ الرِّوَايَةَ فَانْظُرْ إِلَيْهَا ، وَاجْهَرْ بِهَا ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَكَ مَا أَدَّى بَصْرُكَ إِلَى قَلْبِكَ ، وَمَا أَدَّى سَمْعُكَ إِلَى قَلْبِكَ » ^(٢) .

وَقَالَ أَبُو هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

« وَيَنْبَغِي لِلدَّارِسِ أَنْ يَرْفَعَ صَوْتَهُ فِي دَرْسِهِ ، حَتَّى يُسْمَعَ نَفْسُهُ ؛ فَإِنْ مَا سَمِعَتْهُ الْأُذُنُ رَسَخَ فِي الْقَلْبِ ؛ وَلِهَذَا كَانَ الْإِنْسَانُ أَوْعَى لِمَا يَسْمَعُهُ مِنْهُ لَمَّا يَقْرُؤُهُ ، وَإِذَا كَانَ الْمُدْرُسُ مِمَّا يَفْسُحُ طَرِيقَ الْفَصَاحَةِ ، وَرَفَعَ الدَّارِسُ بِهِ

(١) « دِيْوَانُ عَبْدِ الْغَنِيِّ النَّابُلْسِيِّ » (ص ١٢٩٩) .

(٢) « الْجَامِعُ فِي الْحَثِّ عَلَى حِفْظِ الْعِلْمِ » (ص ١٧٤) ، انْتِقَاءً : أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَدَّادِ .

صَوْتُهُ ، زَادَتْ فَصَاحَتُهُ ^(١) .

وَقَدْ أَكَّدَتْ دِرَاسَةُ حَدِيثَةٍ : أَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَذَكَّرُ مَا يَتَعَلَّمُهُ بِنِسْبٍ مُتَفَاوِتَةٍ
بِحَسَبِ الْأُسْلُوبِ الَّذِي اسْتُخْدِمَ فِي تَعَلُّمِهِ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي :

* يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ بِنِسْبَةِ ١٠٪ مِمَّا يَقْرَأُهُ .

* يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ بِنِسْبَةِ ٢٠٪ مِمَّا يَسْمَعُهُ .

* يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ بِنِسْبَةِ ٣٠٪ مِمَّا يَرَاهُ .

* يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ بِنِسْبَةِ ٥٠٪ مِمَّا يَرَاهُ وَيَسْمَعُهُ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ .

* يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ بِنِسْبَةِ ٨٠٪ مِمَّا يَقُولُهُ .

* يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ بِنِسْبَةِ ٩٠٪ مِمَّا يَقُولُهُ وَيَفْعَلُهُ ^(٢) .

٢- حَاسَةُ الْبَصَرِ :

مِنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ لَهُ بَصَرٌ مُرْهَفًا ^(٣) ، يُرَكِّزُ بَصَرَهُ عَلَى مُفْتَتِحِ السُّورِ ،

(١) « الْحَثُّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَالْاجْتِهَادُ فِي جَمْعِهِ » لِأَبِي هِلَالٍ الْعَسْكَرِيِّ (ص ٣٧) .

(٢) « أَسْرَارُ التَّفَقُّقِ الدِّرَاسِيِّ » (ص ١٠٣) .

(٣) مِنَ النَّاسِ مَنْ لَدَيْهِمْ سَمْعٌ مُرْهَفٌ مُقَارَنَةٌ مَعَ الْبَصَرِ ، أَوْ الْعَكْسُ ، فَمَنْ كَانَ لَهُ سَمْعٌ مُرْهَفٌ ، فَلْيَكْثُرْ مِنْ سَمَاعِ صَوْتِهِ الْمُسَجَّلِ ، أَوْ صَوْتِ مُقَرِّئِ حَيْدُ الْأَحْكَامِ : كَالْحَصْرِيِّ ، وَالْمِنْشَاوِيِّ ، -رَحِمَهُمَا اللَّهُ- وَالْحَذَفِيِّ ، وَبَصْفَرِ ، لِاسِيْمَا الْمُصْحَفِ الْمُرْتَّلِ الَّذِي سُجِّلَ مُؤَخَّرًا لَهُ .

وَمَنْ كَانَ لَهُ بَصَرٌ مُرْهَفٌ ، فَلْيَكْثُرْ مِنَ التَّأَمُّلِ فِي الْمُصْحَفِ ، وَمَوْقِعِ الْآيَةِ ، وَشَكْلِهَا ، وَالْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا وَبَعْدَهَا ، بِحَيْثُ يَتَصَوَّرُهَا فِي الدَّهْنِ ، وَكَأَنَّهَا مَنْقُوشَةٌ .

كَيْفَ تَعْرِفُ هَلْ أَنْتَ مِنْ ذَوِي السَّمْعِ الْمُرْهَفِ ، أَوْ الْبَصَرِ الْمُرْهَفِ ؟ .

مَعَ التَّأَكُّيدِ عَلَى أَنَّ لَا نَسْتَعِينِي عَنْ أَيِّ مِنَ الْحَاسَتَيْنِ ، وَعَلَيْنَا اسْتِغْلَاهُمَا مَعًا .

صِنَاعَةُ الْحِفْظِ

وَمَوَاضِعُهَا مِنَ الصَّفْحَةِ وَيَخْتِمُهَا ، فَإِذَا قَرَأَ مِنْ صَفْحَةٍ مِنْ حِفْظِهِ تَرَأَى لَهُ الصَّفَحَاتُ ، وَكَأَنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا ، فَيَجْمَلُ بِهِ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى طَبْعَةٍ خَاصَّةٍ مِنَ الْمُصْحَفِ الشَّرِيفِ ، وَقَدْ تَبَّهَ الْخَطَّاطُونَ الَّذِينَ كَتَبُوا الْمُصْحَفَ إِلَى أَمْرٍ يَتَعَلَّقُ بِالْحِفْظِ ، فَرَأَوْا أَنَّ بَدَايَةَ الصَّفْحَةِ بِأَوَّلِ الْآيَةِ ، وَانْتِهَاءُهَا بِآخِرِ آيَةٍ - مِمَّا يُسَهِّلُ الْحِفْظَ ؛ وَلِذَلِكَ يَنْصَحُ الْكَثِيرُ مِنَ الْمُقْرئينَ بِاِقْتِنَاءِ مُصْحَفِ الْحُفَّازِ ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى طَبْعُهُ مُجْمَعُ الْمَلِكِ فَهْدٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ .

عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْفُرَاتِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّهُ قَالَ : « لَمْ نَزَلْ نَسْمَعُ شَيْخَوْنَا يَذْكُرُونَ أَشْيَاءَ فِي الْحِفْظِ ، فَاجْمَعُوا أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَبْلَغَ مِنْ كَثْرَةِ النَّظَرِ » (١) .

وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

« إِذَا هَمَمْتَ أَنْ تَحْفَظَ شَيْئًا فَنَمْ ، وَقُمْ عِنْدَ السَّحَرِ ، فَاسْرِجْ (أَيُّ : أَوْقِدِ السَّرَاجَ) ، وَانْظُرْ فِيهِ (أَيُّ : فِي الَّذِي تُرِيدُ أَنْ تَحْفَظَهُ) ؛ فَإِنَّكَ لَا تَنْسَاهُ

الْجَوَابُ :

تَتَكَلَّمُ بِسُرْعَةٍ عِنْدَمَا تُرِيدُ لَفْتَ الْإِنْتِبَاهِ ، تَسْتَعْمِلُ كَلِمَةَ « انْظُرْ » أَوْ « تَأَمَّلْ » ، عِنْدَمَا تَكُونُ أَمَامَ أَزْمَةٍ ، أَنْتَ سَرِيعُ اتِّخَاذِ الْقَرَارَاتِ ! ، تُؤَثِّرُ فِيكَ الْهَدَايَا ، أَوْ الْمَنَاطِرُ الْجَمِيلَةُ أَكْثَرَ مِمَّا تُؤَثِّرُ فِيكَ الْكَلِمَاتُ ، إِذَا أَنْتَ مُرْهَفُ الْبَصَرِ .

تَتَكَلَّمُ بِطُءٍ عِنْدَمَا تُرِيدُ لَفْتَ الْإِنْتِبَاهِ ، تَسْتَعْمِلُ كَلِمَةَ « اسْمَعْ » ، عِنْدَمَا تَكُونُ أَمَامَ أَزْمَةٍ لَا تَتَّخِذُ قَرَارَكَ بِسُرْعَةٍ ، تُؤَثِّرُ فِيكَ كَلِمَةٌ ، وَيَبْقَى وَقْعُهَا فِي نَفْسِكَ شَدِيدًا ، سَوَاءً أَكَانَتْ كَلِمَةً طَيِّبَةً أَمْ خَبِيثَةً ، إِذَا أَنْتَ مُرْهَفُ السَّمْعِ .

(١) « الْجَامِعُ فِي الْحَثِّ عَلَى حِفْظِ الْعِلْمِ » لِلْحَدَّادِ (ص ١٧٧) .

بَعْدُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - (١) .

٣- حَاسَةُ الْكِتَابَةِ :

لَا شَكَّ أَنَّ هُنَاكَ حِفْظًا بِالْأَذْهَانِ ، وَهُنَاكَ حِفْظًا بِاللِّسَانِ ، وَهُنَاكَ حِفْظًا بِالْبَنَانِ ، قَالَ ذَلِكَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - ، وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ [العلق: ١-٥] .

فَكِتَابَةُ الْآيَاتِ الْمُرَادِ حِفْظُهَا مِنْ أَعْظَمِ الْعَوْنِ عَلَى الْحِفْظِ لِأَسِيَّاءِ مَنْ صَعِبَ عَلَيْهِ الْحِفْظُ فِي الْبِدَايَةِ ، وَأَنَا أَنْبِئُكَ عَنْ حِفْظِ الشَّنَاقِطَةِ الْقَدِّ ، وَالَّذِي قَالَ أَحَدُهُمْ عَنْهُ : « إِنَّهُمْ لَوْ تَرَكُوا الْقُرْآنَ لِسَنَوَاتٍ ، ثُمَّ عَادُوا إِلَيْهِ لَوَجَدْتَهُمْ وَكَانَتْهُمْ أَنْتَهُو مِنْهُ الْآنَ ، فَهُمْ يَحْفَظُونَ وَكَانَتْهُمْ حَفَرُوا الْآيَاتِ فِي ذَاكِرَاتِهِمْ حَفَرًا » .

وَمِنْ طَرِيقَتِهِمُ الْكِتَابَةُ ، فَعِنْدَ بُلُوغِ الطِّفْلِ الْخَامِسَةِ تَبْدَأُ فِي تَعْلِيمِهِ الْحُرُوفَ ، ثُمَّ حَرَكَاتِهَا ، وَبَعْدَ إِتْقَانِهِ يَذْهَبُ لِشَيْخٍ يُعَلِّمُهُ الْكِتَابَةَ تَدْرِيجِيًّا ، فَيَبْدَأُ الشَّيْخُ كِتَابَةَ الْكَلِمَةِ حَرْفًا حَرْفًا ، وَيَنْطِقُ بِالْحَرْفِ عَلَى حَسَبِ حَرَكَتِهِ ، ثُمَّ يَنْطِقُ بِهَا التَّلْمِيزُ ، وَهَكَذَا حَتَّى يَنْتَهِيَ مِنَ الْكَلِمَةِ ، ثُمَّ يَقْرَأُ الشَّيْخُ الْكَلِمَةَ كَامِلَةً ، وَيُعِيدُهَا الطِّفْلُ ، وَهَكَذَا حَتَّى يَنْتَهِيَ مِنْ آيَةٍ أَوْ اثْنَتَيْنِ حَسَبَ قُدْرَاتِ الطِّفْلِ وَاسْتِعْدَادِهِ ، حَتَّى يُكْمِلَ جُزْءَ عَمٍّ ، وَأَخْيَانًا

(١) « الْمَرْجِعُ السَّابِقُ » (ص ١٧٧) .

صِنَاعَةُ الْحِفْظِ

يَزِيدُ وَيَتَعَلَّمُ فِي آخِرِ تِلْكَ الْفَتْرَةِ كِتَابَةَ بَعْضِ الْآيَاتِ وَالْكَلِمَاتِ بِطُءٍ، ثُمَّ بِسُرْعَةٍ، مَعَ تَمَرُّنِهِ دَوْمًا مَعَ الشَّيْخِ، وَمَعَ الطَّلَبَةِ الَّذِينَ يَسْبِقُونَهُ بِمَرَاكِحَ التَّلْمِيزِ يَكْتُبُ، وَالشَّيْخُ يُمْلِي عَلَيْهِ وَرَدَّهُ مِنَ الْحِفْظِ (مِنْ نِصْفِ صَفْحَةٍ إِلَى صَفْحَةٍ)، حَتَّى يَنْتَهِيَ مِنْ نِصْفِ الْقُرْآنِ، فَيَزِيدُ وَرَدَّهُ إِلَى صَفْحَتَيْنِ، وَيَسْتَمِرُّ حَتَّى يُكْمَلَ الْقُرْآنُ كَامِلًا.

فَإِذَا أَكْمَلَ الطَّالِبُ الْقُرْآنَ كَامِلًا بِالطَّرِيقَةِ السَّابِقَةِ، سَمِعَهُ مِنْ بَدَايَتِهِ إِلَى نَهَائِهِ عَلَى الشَّيْخِ نَفْسَهُ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً!، وَأَنَا أُحِيلُكَ عَلَى كِتَابِ «طَرِيقَةُ الشَّنَاقِطَةِ فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ»، لِإِبْرَاهِيمَ الشَّنَقِيطِيِّ، وَهُوَ كِتَابٌ مَاتِعٌ لِلْغَايَةِ.

٢٧ - الْفَهْمُ الصَّحِيحُ لِلآيَاتِ

تَدَبَّرْ كِتَابَ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ أَهْلَهُ فَأَهْلُ كِتَابِ اللَّهِ مَنْ يَتَدَبَّرُ ^(١)

الَّذِي يَفْهَمُ الْآيَاتِ فَهْمًا صَحِيحًا حِفْظُهُ أَسْهَلُ ، وَأَمْتَنُ وَأَرْسَخُ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا تَحْفَظَ الْآيَاتِ إِلَّا بَعْدَ فَهْمٍ مَعْنَاهَا وَأَسْبَابِ نُزُولِهَا ، وَشَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِهَا ؛ فَافْعَلْ .

وَفِي بَدَايَةِ الْحِفْظِ لَا تَتَوَسَّعْ فِي التَّفْسِيرِ ، وَاکْتَفِ بِمَعَانِي الْآيَاتِ ، وَأَسْبَابِ نُزُولِهَا ، وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى ذَلِكَ تَفْسِيرُ ابْنِ سَعْدٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - ، وَأَسْبَابُ النُّزُولِ لِلْوَادِعِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - .

وَدَعَكَ مِنَ التَّنَقُّلِ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ ؛ لِئَلَّا تَنْشَغَلَ عَنِ الْحِفْظِ ، فَالْهَدَفُ الْآنَ مُتَجَهٌّ لِحِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَاللَّهُ الْمُؤَفِّقُ . ^(١)

(١) « دِيَوَانُ مُحَمَّدٍ الْعِيدِ آلِ خَلِيفَةَ » (ص ١٤٩) .

٢٨ - تَقْلِيلُ الْمُحْفُوظِ

مَنْ لِي بِمِثْلِ مَشِيكَ الْمَدَلِّ تَمْشِي الْهُوَيْنَا وَتَحْجِي فِي الْأَوَّلِ (١)

مِنَ الْوَسَائِلِ الْمُعِينَةِ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ ، وَرُسُوحِهِ فِي الذَّهْنِ التَّقْلِيلُ مِنْ نِسْبَةِ الْمُحْفُوظِ ، فَقَلِيلٌ دَائِمٌ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مُنْقَطِعٌ ، وَالْقُرْآنُ لَمْ يُنْزَلْ جُمْلَةً وَاحِدَةً ، وَإِنَّمَا كَانَ نُزُولُهُ مُفَرَّقًا ، فَكَانَ ذَلِكَ خَيْرَ عَوْنٍ عَلَى حِفْظِهِ ، وَرُسُوحِهِ فِي الصُّدُورِ ، وَفَهْمِ آيَاتِهِ ، وَالْعَمَلِ بِهِ ، فَكُلَّمَا نَزَلَتِ الْآيَةُ أَوْ الْآيَاتُ حَفِظَهَا الصَّحَابَةُ ، وَتَدَبَّرُوا مَعَانِيَهَا ، وَوَقَفُوا عِنْدَ أَحْكَامِهَا ، وَاسْتَمَرَّ هَذَا مِنْهُمْ جَا لِلتَّعْلِيمِ فِي حَيَاةِ التَّابِعِينَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ .

قَالَ ابْنُ عِيَّاشٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

« قَرَأْتُ الْقُرْآنَ عَلَى عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ ، فَكَانَ يَأْمُرُنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ آيَةً ، لَا أَزِيدُ عَلَيْهَا ، وَيَقُولُ : إِنَّ هَذَا أَثْبَتَ لَكَ ، فَلَمْ أَمِنْ أَنْ يَمُوتَ الشَّيْخُ قَبْلَ أَنْ أَفْرَغَ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَمَا زِلْتُ أَطْلُبُ إِلَيْهِ حَتَّى أَدِنَ لِي فِي خَمْسِ آيَاتٍ كُلِّ يَوْمٍ » .

(١) «دَائِرَةُ مَعَارِفِ الْأُسْرَةِ الْمُسْلِمَةِ» (٨٢ / ٦٤) .

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

« وَتَقْلِيلُ الْمُحْفُوظِ مَعَ الدَّوَامِ أَصْلٌ عَظِيمٌ، وَأَلَّا يَشْرَعَ فِي فَنٍّ حَتَّى يُحْكَمَ مَا قَبْلَهُ »^(١).

وَلَا بَأْسَ مِنَ الزِّيَادَةِ عَلَى ذَلِكَ لِمَنْ عَلَتْ هِمَّتُهُ، وَوَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ الْقُدْرَةَ،
وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ .

(١) «صَيْدُ الْخَاطِرِ» (١٩٢).

٢٩ - عَدَمُ الْإِنْشَغَالِ بِغَيْرِ الْقُرْآنِ أَثْنَاءَ الْحِفْظِ

وَإِنْ تُرِدَ تَحْصِيلَ فَنِّ تَمِّمُهُ وَعَنْ سِوَاهُ قَبْلَ الْإِنْتِهَاءِ مَهْ (١)
وَفِي تَرَادُفٍ (٢) الْفُنُونِ الْمَنْعُ جَا إِذْ تَوَأْمَانِ اجْتَمَعَا لَنْ يَخْرُجَا (٣)

ذَكَرَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ الشَّنْقِيطِيُّ أَنَّ مِنْ وَسَائِلِ الشَّنَاقِطَةِ وَطَرَقِهِمْ فِي الْحِفْظِ - وَهُمْ مَضْرُبُ الْمَثَلِ فِي قُوَّةِ الْحَافِظَةِ وَالذِّكَا - : « وَحَدَّةُ الْمَثْنِ وَاسْتِفَاؤُهُ ، فَيَنْصَحُونَ الطَّالِبَ أَنْ يَشْتَغَلَ بِدِرَاسَةِ مَثْنٍ وَاحِدٍ يُفَرِّغُ قَلْبَهُ ، وَيَسْتَجْمَعُ قُوَّتَهُ لِحِفْظِهِ ، وَلَا يَجْمَعُ إِلَيْهِ غَيْرُهُ ، وَلَا يَتَّقِلُ عَنْهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ دِرَاسَتَهُ كُلَّهُ .

بَلْ تَرَوْنَ أَنَّ جَمْعَ مَثْنَيْنِ مَعَ يَحْدُ مِنْ قُدْرَةِ الطَّالِبِ عَلَى الْإِسْتِيعَابِ ، فَيَظِلُّ جُهِدُهُ الذَّهْنِيَّ مُوزَّعًا بَيْنَ عِدَّةِ مَثُونٍ ، لَا يَكَادُ يُتَقَنَّ أَيًّا مِنْهَا ، كَمَا أَنَّ بَتْرَ الْمَثْنِ دُونَ حِفْظِهِ كُلَّهُ يُضَيِّعُ جُهِدَ الدَّارِسِ هَبَاءً ، وَيَنْمُ عَنْ كَسَلٍ وَقُصُورٍ فِي هِمَّةِ الطَّالِبِ ، وَيُمَثِّلُونَ لِمَنْ يَرُومُ حِفْظَ نَصِّينَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ بِالتَّوَأْمَيْنِ ، فَلَا

(١) مَهْ - مَبْنِيَّةٌ عَلَى السُّكُونِ - اسْمٌ لِفِعْلِ الْأَمْرِ ، بِمَعْنَى : انْكَفَيْفَ عَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ .

(٢) التَّرَادُفُ : التَّبَاعُ .

(٣) « أَرَشِيفُ مُلْتَقَى أَهْلِ الْحَدِيثِ » (٤١٨ / ٨٦) .

سَبِيلَ إِلَى خُرُوجِهَا مَعًا فِي آنٍ وَاحِدٍ ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَسْبِقَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ ^(١) .
 وَقَدْ نَظَّمَ الشَّنَاقِطَةُ هَذَا الْمَبْدَأَ بِالْبَيْتَيْنِ السَّابِقَيْنِ .
 لَكِنْ عَلَيْكَ أَنْ تُجَدِّدَ نَيْتَكَ بِاسْتِمْرَارٍ ، فَلَا تَجْعَلَ هَمَّكَ هُوَ الْحُصُولَ
 عَلَى الْجَائِزَةِ أَوْ الظُّهُورَ بِأَنَّكَ مِنَ الْأَوَائِلِ ، وَلَكِنْ اجْعَلْ نَيْتَكَ وَاضِحَةً
 وَخَالِصَةً ^(٢) .

(١) «الْمَرْجِعُ السَّابِقُ» (٤١٨/٨٦) .

(٢) انْظُرْ : «كَيْفَ تُحَفِّظُ الْقُرْآنَ» د. رَاغِبُ السَّرْجَانِي (ص ٣٨) .

٣٠ - التدرُّج في الحفظ والمواظبة بلا انقطاع

وَاطِبْ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ مُجْتَهِدًا مِنْ أَلْسِنِ الْخَفَاطِ وَالْفُضَلَاءِ ^(١)
لَنْ تَجِدَ الْحِفْظَ يَزْدَادُ حَتَّى تُوَاطِبَ عَلَيْهِ بِلا انْقِطَاعٍ ، وَقَلِيلٌ دَائِمٌ خَيْرٌ مِنْ
كَثِيرٍ مُنْقَطِعٍ .

يَقُولُ الدُّكْتُورُ الْغَوَاثِيُّ - حِفْظُهُ اللَّهُ - :

« هُنَاكَ حُجَيْرَاتٌ فِي الدِّمَاغِ مَسْئُولَةٌ عَنِ الْحِفْظِ ، فَعِنْدَمَا تَبْدَأُ بِعَمَلِيَّةِ
الْحِفْظِ رُبَّمَا تَشْعُرُ بِبَعْضِ التَّعَبِ ، وَلَكِنْ لِمَاذَا ؟ !!
لَأَنَّ هَذِهِ الْحُجَيْرَاتِ فِي دِمَاغِكَ تُعَاتِبُكَ ، وَتَقُولُ لَكَ : أَهَكَذَا هَجَرْتَنِي
هَذِهِ الْمُدَّةَ الطَّوِيلَةَ ، وَالْآنَ تُطَالِبُنِي بِالْحِفْظِ ؟ !! ، أَيْنَ كُنْتَ مِنْذُ زَمَنٍ
طَوِيلٍ ؟ !! »

وَرُبَّمَا تُعَانِدُكَ فِي الْبِدَايَةِ ، وَلَكِنْ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي ، وَالثَّلَاثِ ، وَالرَّابِعِ
تَسْتَجِيبُ لَكَ .

ابْدَأْ بِالْقَلِيلِ بَعْدَ التَّعَوُّدِ عَلَى الْحِفْظِ ، وَبَعْدَ اسْتِجَابَةِ الْحُجَيْرَاتِ لَكَ زَوْدٌ

(١) « الْمَحَاضِرَاتُ وَالْمَحَاوِرَاتُ » (ص ٢٥٠) .

قَلِيلًا .

أَحَدُ الطُّلَابِ كَانَ يَقُولُ : « لَا أَسْتَطِيعُ الْحِفْظَ أَبَدًا ، فَحَاوَلَ مَعَهُ الْمُعَلِّمُ ، وَقَالَ لَهُ : أَلَا تَسْتَطِيعُ حِفْظَ آيَةٍ كُلِّ يَوْمٍ ؟ .

قَالَ : نَعَمْ أَسْتَطِيعُ ، وَاسْتَمَرَّ فِي حِفْظِ آيَةٍ ، حَتَّى زَادَهُ إِلَى آيَتَيْنِ ، ثُمَّ ثَلَاثٍ ، ثُمَّ أَرْبَعٍ ، ثُمَّ نِصْفِ صَفْحَةٍ ، وَهَكَذَا ، ابْدَأَ بِالصَّغِيرِ ثُمَّ الْكَبِيرِ »^(١) .
وَقَدْ كَانَ سَلَفُنَا الصَّالِحُ يُدَاوِمُونَ عَلَى الْحِفْظِ .

قَالَ أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

« كَانَ أَحْمَدُ بْنُ الْفَرَاتِ لَا يَتْرُكُ يَوْمًا - إِذَا أَصْبَحَ - أَنْ يَحْفَظَ شَيْئًا ، وَإِنْ قَلَّ » .

وَمَا مِنْ شَكٍّ أَنَّهُ مِنْ دَاوَمَ عَلَى الْحِفْظِ تَنْشِطُ ذَاكِرَتُهُ أَكْثَرَ ، وَمِنْ بَدَأَ حَيَاتَهُ الْعَمَلِيَّةَ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ ، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ كُلَّ الْعُلُومِ ، لِأَنَّ الذَّاكِرَةَ بَعْدَ حِفْظِ الْقُرْآنِ ، وَتَعَاهُدِهِ التَّعَاهُدَ الْمَطْلُوبَ تَكُونُ قَوِيَّةً تُلْتَمِسُ أَيَّ شَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ !! .
وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُواظَبَةَ قَدْ شَحَذَتْ هَمَّ حُفَاطِ الْقُرْآنِ قَبْلَكَ ، حَتَّى نَافَسُوا هَمَّ الْمُلُوكِ ، وَجُلُّ مَنْ حَفِظَ الْقُرْآنَ كَانَتْ عُدَّتُهُ الْمُواظَبَةَ ، وَالذَّابَّ وَالْمُدَاوِمَةَ ، وَعُلُوَّ الْهِمَّةِ ، وَمَنْ سَارَ عَلَى الدَّرَبِ وَصَلَ .

(١) انْظُرْ : « طُرُقُ إِبْدَاعِيَّةٍ فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ » (ص ٧) ، بِتَصَرُّفٍ وَاخْتِصَارٍ .

وَمِنْ طَرِيفٍ مَا يُذَكِّرُ فِي الْمَوَاطِبَةِ : مَا ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَجَلَانَ مَوْلَى ابْنِ زِيَادٍ قَالَ : « دَخَلَ ابْنُ زِيَادٍ مَجْلِسَهُ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَإِذَا هُوَ بِهَرٍّ فِي زَاوِيَةِ الْبَيْتِ ، فَذَهَبَتْ أَرْجُرُهُ ، فَقَالَ : دَعُهُ فَأَرَى مَا لَهُ ، ثُمَّ صَلَّى الظُّهْرَ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَجْلِسِهِ ، كُلُّ ذَلِكَ يُلَاحِظُ الْهَرَّ ، فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، خَرَجَ جُرْذٌ ^(١) ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ الْهَرُّ فَأَخَذَهُ ، فَقَالَ زِيَادٌ : مَنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ فَلْيُوَاطِبْ عَلَيْهَا مَوَاطِبَةَ الْهَرِّ ؛ فَإِنَّهُ يَظْفَرُ بِهَا » ^(٢) .

وَاعْلَمْ أَنَّ عَدَمَ الْمَوَاطِبَةِ يَجْعَلُ حِفْظَكَ هَزِيلًا ، وَكُلَّمَا هَزَلَ ضَعُفَ مَشْيُهُ ، وَرُبَّمَا كَانَ إِلَى الْانْقِطَاعِ أَقْرَبَ كَالَّذِي حُكِيَ أَنَّ أَبَا الْفَضْلِ بْنَ الْمُهْدِيِّ قَالَ : قَالَ لِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَزْدِيُّ : وَاطِبْ عَلَى الْعِلْمِ ؛ فَإِنَّهُ يَزِينُ الرَّجَالَ ، كُنْتُ يَوْمًا فِي حَلَقَةِ أَبِي سَعِيدٍ (يَعْنِي : السَّيرَافِي) فَجَاءَ ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ خَطِيبُ جَامِعِ الْمَنْصُورِ ، وَعَلَيْهِ السَّوَادُ وَالطَّوِيلَةُ ، وَالسَّيْفُ ، وَالْمِنْطَقَةُ ^(٣) ، فَقَامَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، وَأَجْلَوْهُ ، فَلَمَّا جَلَسَ قَالَ : لَقَدْ عَرَفْتُ قِطْعَةً مِنْ هَذَا الْعِلْمِ - يَعْنِي : النَّحْوِ - وَأُرِيدُ أَنْ أَسْتَزِيدَ مِنْهُ ، فَأَيُّهُمَا خَيْرٌ سَبِيؤُهُ أَوْ الْفَصِيحُ ؟ .

(١) جُرْذٌ - بوزن صُرْد - : ضَرَبٌ مِنَ الْفَارِ ، وَالْجَمْعُ جِرْدَانٌ .

(٢) « الْأَذْكِيَاءُ » لِابْنِ الْجَوْزِيِّ (ص ٢٣٦) .

(٣) وَالْمِنْطَقَةُ - بوزن الْمَكْنَسَةِ - : شُقَّةٌ يُشَدُّ بِهَا الْوَسْطُ .

فَضَحَكَ الشَّيْخُ وَمَنْ فِي حَلَقَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا سَيِّدَنَا ، مَحَبَّرَةٌ اسْمُ أَوْ فِعْلٌ
أَوْ حَرْفٌ ؟ .

فَسَكَتَ ثُمَّ قَالَ : حَرْفٌ ، فَلَمَّا قَامَ لَمْ يَقُمْ لَهُ أَحَدٌ ^(١) .

فَهَذَا حَالٌ مَنْ لَمْ يُوَظَّبْ عَلَى الْعِلْمِ ، تَرَى عِلْمَهُ كَبِيتِ الْعَنْكَبُوتِ !
وَتَأَمَّلْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - إِلَى مُوَاطَبَةِ شُعْبَةَ أَبِي بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ الرَّائِي عَنْ
عَاصِمٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ : « تَعَلَّمْتُ عَنْ عَاصِمٍ ، وَلَمْ أَتَعَلَّمْ عَنْ غَيْرِهِ ، وَلَا
قَرَأْتُ عَلَى غَيْرِهِ ، وَاخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِ سِنِينَ فِي الْحَرِّ وَالشَّتَاءِ
وَالْأَمْطَارِ » ^(٢) .

وَحِينَ جَاءَ وَرَشُّ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ الْإِمَامِ الْمُقْرئِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - إِلَى نَافِعٍ
مِنْ مِصْرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، لِيَقْرَأَ عَلَيْهِ ، وَشَفَعَ لَهُ لَدَيْهِ أَحَدُ أَصْحَابِهِ - كَمَا يَرَوِي
هُوَ - قَالَ : « قَالَ لِي نَافِعٌ : أَيْمَنُكَ أَنْ تَبِيتَ فِي الْمَسْجِدِ ؟ ، قُلْتُ : نَعَمْ ،
فَبِتُّ فِي الْمَسْجِدِ ، فَلَمَّا كَانَ الْفَجْرُ ، جَاءَنَا نَافِعٌ فَقَالَ : الْغَرِيبُ ؟ ، فَقُلْتُ :
هَآؤَا رَحِمَكَ اللَّهُ ، قَالَ : أَنْتَ أَوْلَى بِالْقِرَاءَةِ » ^(٣) .

(١) « أَخْبَارُ الْحَمَقِيِّ وَالْمَغْفَلِيِّ » لِابْنِ الْجَوْزِيِّ (ص ١٣٢) .

(٢) « مَعْرِفَةُ الْقُرَّاءِ الْكِبَارِ » لِلدَّهَبِيِّ (١ / ١٣٨) .

(٣) « الْمَرْجِعُ السَّابِقُ » (١ / ١٥٤) .

٣١ - تَكَرَّارُ الْمَحْفُوظِ

هَاتِ كَرَّرَ ذَاكَ الْحَدِيثَ لِسَمْعِي وَلَكَ الطُّولُ إِنْ رَأَيْتَ الْإِطَالَهٗ (١)

مِنَ الْوَسَائِلِ الْمَعِينَةِ عَلَى الْحِفْظِ وَرُسُوحِهِ تَكَرَّارُ مَا تَحْفَظُ ؛ فَالتَّكَرَّارُ يُنْقِلُ الْمَحْفُوظَ مِنَ الذَّاكِرَةِ الْقَصِيرَةِ إِلَى الذَّاكِرَةِ الطَّوِيلَةِ الْأَمَدِ .

وَقَدْ أَدْرَكَ هَذَا أَسْلَافُنَا ، وَقَعَدُوا لَهُ قَاعِدَةً ، وَهِيَ قَوْلُهُمْ : « مَا تَكَرَّرَ تَقَرَّرَ » ، أَيْ : ثَبَتَ وَاسْتَقَرَّ فِي الْقَلْبِ وَالذَّهْنِ ، وَلِذَا نَجِدُ السُّورَ الَّتِي نُكْرِّرُهَا كَثِيرًا تَثْبُتُ ، وَنُرَدِّدُهَا بِسُهُولَةٍ ، وَالْمَحْفُوظُ الَّذِي لَا يُكْرَّرُ - وَخَاصَّةً فِي الْمَرْحَلَةِ الْأُولَى - يُسْرِعُ إِلَيْهِ النَّسْيَانُ وَالتَّفَلُّتُ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُقَيَّدَ بِالتَّكَرَّارِ .

وَقَدْ رَوَى ابْنُ الْجَوْزِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ : حَكَى لَنَا الْحَسَنُ : أَنَّ فَقِيهًا أَعَادَ الدَّرْسَ فِي بَيْتِهِ مَرَارًا كَثِيرَةً ، فَقَالَتْ لَهُ عَجُوزٌ فِي بَيْتِهِ قَدْ - وَاللَّهِ - حَفِظْتُهُ أَنَا . فَقَالَ : أَعِيدِي ، فَأَعَادَتْهُ ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ قَالَ : يَا عَجُوزُ ، أَعِيدِي الدَّرْسَ ، فَقَالَتْ : مَا أَحْفَظُهُ ، قَالَ : أَنَا أَكْرَرُ عَدَّ الْحِفْظِ ؛ لِئَلَّا يُصِيبَنِي مَا أَصَابَكَ « (٢) .

أَعَزَّكَ اللَّهُ بِالْقُرْآنِ تَحْفَظُهُ أَكْثَرَ مِنَ الذِّكْرِ ؛ فَالنَّسْيَانُ قَتَالُ

(١) « دِيَوَانُ ابْنِ مَعْصُومِ الْمَدَنِيِّ » (ص ٣١٤) .

(٢) « الْحَثُّ عَلَى حِفْظِ الْعِلْمِ » (ص ٢٥٤) .

مَا عَزَّ مِنْ كَانَتِ اللَّذَاتُ تَشْغَلُهُ وَلَا لِمَنْ ضَيَّعَ الْقُرْآنَ أَبَدَالُ

وَقَدْ ذَكَرَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارُ الشَّنْقِيطِيُّ أَنَّ مِنْ وَسَائِلِ الشَّنَاقِطَةِ وَطُرُقِهِمْ فِي الْحِفْظِ - وَهُمْ مَضْرَبُ الْمَثَلِ فِي قُوَّةِ الْحَافِظَةِ وَالذِّكَاءِ - : « تَرْكِيزُهُمْ عَلَى بَدَايَةِ الْحِفْظِ ، وَالْمُرَاجَعَةِ الْمُسْتَمِرَّةِ لِلْمَحْفُوظِ ، فَعَدَدُ تَكَرُّرِ الطَّالِبِ الْمُتَوَسِّطِ لِلْقَدْرِ الْمُرَادِ حِفْظُهُ مِنْ مِائَةِ مَرَّةٍ إِلَى أَلْفِ مَرَّةٍ ، ۱۱ فَيَجْلِسُ طَالِبُ الْعِلْمِ يُكْرِّرُ لَوْحَهُ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ فِي الصَّبَاحِ ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَيْهِ بَعْدَ الظُّهْرِ ، ثُمَّ بَعْدَ الْمَغْرِبِ ، ثُمَّ مِنَ الْغَدِ يَبْدَأُ بِمُرَاجَعَتِهِ ، وَتَسْمِيعِهِ ، قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ فِي دَرَسٍ جَدِيدٍ ، وَهَكَذَا يَفْعَلُ مَعَ الدَّرْسِ الْجَدِيدِ ، وَفِي نِهَآيَةِ الْأُسْبُوعِ تَكُونُ مُرَاجَعَةٌ لِمَا حَفِظَ مِنْ بَدَايَةِ الْأُسْبُوعِ ، مَعَ مَا قَبْلَهُ مِنَ الْمَتْنِ ، حَتَّى يَنْتَهِيَ مِنَ الْمَتْنِ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ ، ثُمَّ يَأْخُذُ مَتْنًا آخَرَ ، وَتُصْبِحُ لِهَذَا الْمَتْنِ الْأَوَّلِ خَتْمَةٌ أُسْبُوعِيَّةٌ ، يَمُرُّ عَلَيْهِ كُلُّهُ .

وَبَعْدَ تَشْيِيتِهِ فِي الذَّاكِرَةِ وَمُزَاحِمَةِ غَيْرِهِ لَهُ ، لَا يَصِلُ الْإِهْمَالُ وَالْإِنْشَغَالُ أَنْ يَتْرَكَ خَتْمَةً شَهْرِيَّةً لِلْمَتْنِ .

وَأَعْرِفُ مِنَ الْمَشَايِخِ فِي الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ مَنْ عِنْدَهُ خَتْمَةٌ أُسْبُوعِيَّةٌ لِلْأَلْفِيَّةِ ، وَلِمُخْتَصَرِّ خَلِيلٍ ، وَخَتْمَةٌ شَهْرِيَّةٌ لِلْمُتُونِ الْقَصِيرَةِ : كَلَامِيَّةِ الْأَفْعَالِ فِي الصَّرْفِ لِابْنِ مَالِكٍ ، وَالْبَيْقُونِيَّةِ ، وَالرَّحْبِيَّةِ ، وَبُلُوغِ الْمَرَامِ ، وَغَيْرِهَا ^(١) .

(١) «أَرْشِيفُ مُلْتَقَى أَهْلِ الْحَدِيثِ» (١٦ / ٤٢٥) .

٣٢ - عَمَلِيَّةُ الرَّبْطِ

إِنَّمَا الْعَقْلُ رَبَطُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ ذَاكَ مَعْنَاهُ ، فَاسْمَعُوا يَا عِيُونَ ^(١)

مِنَ الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ عَمَلِيَّةُ رَبْطِ كُلِّ آيَةٍ بِمَا بَعْدَهَا ، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ رَبْطِ صَوْتِيَّ بَصْرِيَّ بَيْنَ آوَاخِرِ الْآيَاتِ وَأَوَائِلِهَا ، وَذَلِكَ بِأَنْ تَفْتَحَ الْمُصْحَفَ عَلَى الْآيَاتِ الَّتِي تَوَدُّ حِفْظَهَا ، ثُمَّ تَحْفَظَ الْآيَةَ الْأُولَى ، وَتُرَكِّزَ النَّظَرَ عَلَى آخِرِهَا .

وَلِنَأْخُذَ مِثَالًا عَلَى ذَلِكَ ، قَوْلُهُ -تَعَالَى- : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ١٤٢] .

اقْرَأْ آخِرَ الْآيَةِ بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ ، ثُمَّ صَلِّهَا بِسُرْعَةٍ بِدُونِ أَيِّ تَوَقُّفٍ - بِأَوَّلِ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

كَرِّرْ هَذِهِ الْعَمَلِيَّةَ مَرَارًا لَا تَقِلُّ عَنْ خَمْسٍ ^(٢) .

(١) « دِيَوَانُ عَبْدِ الْغَنِيِّ النَّابُلْسِيِّ » (ص ١٦٤١) .

(٢) انْظُرْ : « كَيْفَ تُحْفَظُ الْقُرْآنُ » لِلْغَوْنَانِيِّ (ص ٥٣) .

٣٣ - الصَّلَاةُ الْخَاشِعَةُ بِمَا تَحْفَظُهُ

أَيَّنَ الصَّلَاةَ الَّتِي تَحْيَا الْقُلُوبُ بِهَا فَالْيَوْمَ قَدْ أَصْبَحْتَ نَقْرًا عَلَى الْحُصْرِ ^(١)

مِنْ أَعْظَمِ وَسَائِلِ تَثْبِيتِ الْحِفْظِ الصَّلَاةُ الْخَاشِعَةُ بِمَا تَحْفَظُ ، فَإِذَا كُنْتَ إِمَامًا ، فَاقْرَأْ بِمَا تَحْفَظُ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ إِمَامًا ، فَاسْتَمِعْ لِلْإِمَامِ بِتَدْبِيرٍ لَا بِقَصْدِ الْمُرَاجَعَةِ ؛ فَإِنَّ التَّرْكِيزَ وَالتَّدْبِيرَ عَامِلٌ مُسَاعِدٌ فِي رُسُوخِ الْحِفْظِ ، وَصَلَّ صَلَاةَ النَّوَافِلِ : كَالضُّحَى ، وَالرَّوَاتِبِ ، وَقِيَامِ اللَّيْلِ بِمَا تَحْفَظُ .

فَإِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، فَلَا تَدْعُ قِيَامَ اللَّيْلِ مَا عِشْتَ ، فَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّهَا قَالَتْ لِأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهُوَ مِنْ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ ، وَمِنَ الَّذِينَ دَارَتْ عَلَيْهِمْ أَسَانِيدُ قِرَاءَةِ الْأُتَمَّةِ الْعَشْرَةِ : « لَا تَدْعُ قِيَامَ اللَّيْلِ ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ لَا يَدْعُهُ ، وَكَانَ إِذَا مَرَضَ أَوْ كَسَلَ ، صَلَّى قَاعِدًا » ^(٢) .

قَالَ عَطِيَّةُ مُحَمَّدٍ سَالِمٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَنِ الْعَلَامَةِ الْقُرْآنِيِّ مُحَمَّدِ الْأَمِينِ الشَّنْقِيطِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : وَقَدْ سَمِعْتُ مِنَ الشَّيْخِ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْنَا وَعَلَيْهِ -

(١) « دِيَوَانُ وَلِيدِ الْأَعْظَمِيِّ » (ص ٨٨) .

(٢) (صَحِيحُ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (١٣٠٧) ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (١١٨٠) عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .

صِنَاعَةُ الْحِفْظِ

قَوْلُهُ: « لَا يُثَبِّتُ الْقُرْآنَ فِي الصَّدْرِ ، وَلَا يُسَهِّلُ حِفْظَهُ ، وَيُسِّرُ فَهْمَهُ إِلَّا الْقِيَامُ لَهُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، وَقَدْ كَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - لَا يَتْرُكُ وَرْدَهُ مِنَ اللَّيْلِ صَيْفًا أَوْ شِتَاءً ، وَقَدْ أَفَادَ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ [البقرة: ٤٥] .

فَكَانَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ ^(١) فَرَزَعَ إِلَى الصَّلَاةِ » ^(٢) . وَهَكَذَا هُنَا فَإِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ كَانَتْ عَوْنًا لَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى مَا سَيُلْقَى عَلَيْهِ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ ^(٣) .

قُلْتُ : صَدَقَ الْإِمَامُ الشَّنْقِيطِيُّ - رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاهُ - فَمَا رَسَخَ الْقُرْآنُ فِي صُدُورِ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - فَمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَّا لَانَّهُمْ كَانُوا رُهْبَانًا فِي اللَّيْلِ ، تَسْمَعُ لَهُمْ إِذَا جَنَّ عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ دَوِيًّا كَدَوِيَّ النَّحْلِ ، وَالْقِيَامُ لَهُمْ كَالْمَأْلُوفِ ؛ لِأَنَّهُمْ عَمَلُوا بِوَصِيَّةِ نَبِيِّهِمْ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « إِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ ، فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ » ^(٤) .

(١) حَزَبَهُ أَمْرٌ : نَابَهُ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ .

(٢) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣٨٨ / ٥) ، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»

(٤٧٠٣) عَنْ حُذَيْفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .

(٣) « أَضَوَاءُ الْبَيَانِ » (٣٥٩ / ٨) .

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٧٨٩) .

٣٤ - تَعْلِيمُ النَّاسِ كِتَابَ اللَّهِ

يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ مِنْهُ وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفًا شَدَدَتَا ^(١)

تَعْلِيمُ النَّاسِ كِتَابَ اللَّهِ مِنْ أَعْظَمِ وَسَائِلِ رُسُوحِهِ وَحِفْظِهِ وَإِتْقَانِهِ .
رُسُوحُ الْحِفْظِ الَّذِي تَجِدُهُ عِنْدَ مُعَلِّمِي الْقُرْآنِ نَاتِجٌ عَنِ الْحَيَاةِ مِنْ كِتَابِ
اللَّهِ تَعَلَّمَ وَتَعَلَّمَ ، إِنَّكَ لَتَجِدُ بَعْضَ الْمُدَرِّسِينَ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ كَمَا يَحْفَظُ اسْمَهُ ،
سَيِّئًا مَنْ جَعَلَ حَيَاتَهُ وَقْفًا لِتَعْلِيمِ النَّاسِ كِتَابَ اللَّهِ .

وَلَا يَعْزُبُ عَنْكَ حَدِيثُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ ^(٢) عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ :
« خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » ^(٣) .

قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : « وَذَلِكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي
هَذَا » يَعْنِي : لِتَعْلِيمِ النَّاسِ الْقُرْآنَ .

(١) « دِيَوَانُ أَبِي إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِيِّ » (ص ٢٦) .

(٢) أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ هُوَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَبِيبِ بْنِ رَبِيعَةَ : الضَّرِيرُ ، مُقَرَّرُ الْكُوفَةِ ، وُلِدَ
فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ الْقِرَاءَةُ تَجْوِيدًا وَضَبْطًا ، أَخَذَ الْقِرَاءَةَ
عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، وَأَبِي
إِبْنِ كَعْبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - ، وَأَخَذَ عَنْهُ عَاصِمُ بْنُ أَبِي النَّجُودِ ، وَعَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ ،
وَأَبُو إِسْحَاقَ السَّبْعِيُّ ، وَيَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ ، وَجَمَاعَةٌ كَثِيرُونَ ، وَقَدْ أَقْرَأَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - . قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي « السِّيرِ » (٤ / ٣٦٨) : « أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ
مُقَرَّرُ الْكُوفَةِ الْإِمَامُ الْعَلَمُ ، قَرَأَ الْقُرْآنَ ، وَجَدَّهْ وَمَهْرَفِيهِ ، كَانَ يُقَرِّئُ النَّاسَ الْقُرْآنَ فِي
الْمَسْجِدِ ٤٠ سَنَةً » اهـ ، تُوفِّيَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - سَنَةَ ٧٤ هـ .

(٣) « رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ » (٥٠٢٧) .

٣٥ - تَحْسِينُ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ

تَغَنَّ بِالْقُرْآنِ حَسَّنَ بِهِ الصَّوْ تَ حَزِينًا جَاهِرًا رَنَمَ
وَاسْتَغْنَى عَنْ كُتُبِ الْأَلَى طَالِبًا غَنَى يَدٍ وَالنَّفْسِ ثُمَّ الزَّمَ^(١)

اجْتَهَدَ - مَا اسْتَطَعْتَ - فِي تَحْسِينِ صَوْتِكَ بِالْقُرْآنِ ؛ وَذَلِكَ لِدَفْعِ السَّامَةِ
أَوَّلًا ، وَلِتَشْبِيتِ الْحِفْظِ ثَانِيًا ، فَقَدْ وَجَدَ بِالتَّجَرُّبَةِ أَنَّ التَّغْنِيَّ بِالْقُرْآنِ يُسَاعِدُ
عَلَى الْحِفْظِ وَتَشْبِيتِهِ ، وَيَعُودُ اللِّسَانُ عَلَى نَعْمَةٍ مُعَيَّنَةٍ ، فَتَتَعَرَّفُ بِذَلِكَ عَلَى
الْخَطَأِ رَأْسًا عِنْدَمَا يَخْتَلُ وَزْنَ الْقِرَاءَةِ وَالنَّعْمَةُ الْمُعْتَادَةُ لِلآيَةِ ، فَيَشْعُرُ الْقَارِئُ
أَنَّ لِسَانَهُ لَا يُطَاوِعُهُ عِنْدَ الْخَطَأِ ، وَأَنَّ النَّعْمَةَ اخْتَلَتْ فَيَعَاوِدُ التَّذَكُّرَ .

هَذَا وَتَحْسِينُ الصَّوْتِ سُنَّةٌ، فَقَدْ بَوَّبَ الْبُخَارِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي «صَحِيحِهِ»
بَابَ حُسْنِ الصَّوْتِ بِالْقِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ، وَذَكَرَ تَحْتَهُ حَدِيثَ أَبِي مُوسَى
الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ لَهُ: «يَا
أَبَا مُوسَى ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»^(٢) .

«وَفِي الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : قَالَ

(١) الْبَيْتَانِ لِلْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - كَمَا فِي «الْفَتْحِ» (٧٢ / ٩) .

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٠٤٨) ، وَمُسْلِمٌ (٧٩٣) .

رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « مَا أَذِنَ اللَّهُ لشيءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ ، يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ ، يَجْهَرُ بِهِ » (٢) .

وَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ » (٣) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ » (٤) .

قَالَ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : « مَعْنَاهُ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ وَأَصْحَابِهِ وَأَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ مِنَ الطَّوَائِفِ وَأَصْحَابِ الْفُنُونِ - : يُحَسِّنُ صَوْتَهُ بِهِ » (٥) .

وَقَالَ - أَيْضًا - : « أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْأَمْصَارِ أَيْمَّةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى

(١) قَالَ النَّوَوِيُّ فِي « شَرْحِهِ عَلَى مُسْلِمٍ » (٧٨ / ٦) : « قَالَ الْعُلَمَاءُ : مَعْنَى أَذِنَ فِي اللُّغَةِ : الِاسْتِئْذَانُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ - تَعَالَى - ﴿ وَأَذِّنْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ﴾ (٢) . قَالُوا : وَلَا يَجُوزُ أَنْ تُحْمَلَ هُنَا عَلَى الِاسْتِئْذَانِ بِمَعْنَى : الإِصْغَاءِ ، فَإِنَّهُ يَسْتَحِيلُ عَلَى اللَّهِ - تَعَالَى - ، بَلْ هُوَ مَجَازٌ ، وَمَعْنَاهُ : الْكِنَايَةُ عَنْ تَقْرِيبِهِ الْقَارِئَ وَإِجْزَالِ ثَوَابِهِ ؛ لِأَنَّ سَمَاعَ اللَّهِ - تَعَالَى - لَا يَحْتَلِفُ ؛ فَوَجَبَ تَأْوِيلُهُ » ا. هـ .

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧٥٤٤) ، وَمُسْلِمٌ (٧٩٢) .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي « أَفْعَالِ الْعِبَادِ » (٧٩-٨٠) ، وَأَبُو دَاوُدَ (١٤٦٨) ، وَالنَّسَائِيُّ (١٠١٥) ، وَابْنُ مَاجَهَ (١٣٤٢) ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي « صَحِيحِ الْجَامِعِ » (٣٥٨٠) ، وَقَدْ عُلِّقَ الْبُخَارِيُّ فِي « صَحِيحِهِ » (١٣ / ٤٤٤) ، بِمَجْزُومٍ بِهِ .

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧٥٧٢) .

(٥) « شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ » (٧٩ / ٦) .

صِنَاعَةُ الْحِفْظِ

اسْتَحْبَابِ تَحْسِينِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ ، وَأَفْعَالِهِمْ مَشْهُورَةٌ غَايَةُ الشُّهُرَةِ» ^(١) .
وَقَالَ الْحَافِظُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : « وَلَا شَكَّ أَنَّ النَّفُوسَ تَمِيلُ إِلَى سَمَاعِ الْقِرَاءَةِ
بِالَّتَرْتَمِ أَكْثَرَ مِنْ مِثْلِهَا لِمَنْ لَا يَتَرَنَّمُ ؛ لِأَنَّ لِلتَّطْرِيبِ تَأْثِيرًا فِي رِقَّةِ الْقَلْبِ ،
وَإِجْرَاءِ الدَّمْعِ .

وَالَّذِي يَتَحَصَّلُ مِنَ الْأَدِلَّةِ : أَنَّ حُسْنَ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ مَطْلُوبٌ ، فَإِنْ
لَمْ يَكُنْ حَسَنًا ، فَلْيُحَسِّنْهُ مَا اسْتَطَاعَ ، كَمَا قَالَ ابْنُ أَبِي مَلِيكَةَ أَحَدُ رُوَاةِ
الْحَدِيثِ ، وَقَدْ أَخْرَجَ ذَلِكَ عَنْهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ ^(٢) .

وَأَثَبَتِ الْعِلْمُ الْحَدِيثُ : أَنَّ الدِّمَاغَ يَرْتَاحُ لِتَحْسِينِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ ،
فَإِذَا مَا قَرَأَ الْمَرْءُ بِصَوْتٍ جَمِيلٍ ، وَبِالْحَدِّ الْأَدْنَى مِنْ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ ، مِنْ
الْغَنَةِ وَالْإِدْغَامِ وَالْمَدِّ ، وَالَّذِي يُعْتَبَرُ تَرْكُهُ لَحْنًا ، ثُمَّ النِّعْمَةِ ، كُلُّ ذَلِكَ سَبَبٌ
فِي تَثْبِيتِ الْحِفْظِ .

فَالْمَرْءُ حِينَمَا يَقْرَأُ ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ ﴾ أَقْرَأْ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥ ﴾ [العلق: ١-٥] .

الْقَلْقَلَةُ الْمَوْجُودَةُ فِي الْآيَاتِ ﴿ أَقْرَأْ ﴾ أَوَّلَ الْآيَةِ وَآخِرَهَا ، تَحُسُّ بِبَهَاءِ
الْآيَاتِ وَجَمَالِهَا ، كُلُّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى تَسْهِيلِ الْحِفْظِ ^(٣) .

(١) «التَّبَيَّنَ فِي آدَابِ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ» (ص ٤٥) .

(٢) «فَتْحُ الْبَارِي» (٧٢ / ٩) بِاخْتِصَارٍ .

(٣) «طُرُقُ إِبْدَاعِيَّةٍ فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ» لِلْغَوَّاثِيِّ (ص ٥) .

فَالنَّعْمَةُ الْمُنْضِبَةُ الْمُجَوَّدَةُ الْمُرْتَلَّةُ مِنْ خَصَائِصِ هَذَا الْقُرْآنِ، وَلِذَلِكَ نَلَا حِظَ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ عِنْدَمَا يَقْرَأُ بَعْضَ الْآيَاتِ، فَيُخْطِئُ فِيهَا، لَا يُنْقِذُهُ مِنْ خَطِئِهِ إِلَّا إِذَا أَعَادَ الْآيَةَ مَرَّةً أُخْرَى بِالنَّعْمَةِ الَّتِي حَفِظَ بِهَا.

وَكَثِيرًا مَا رَأَيْنَا مَشَايخَنَا يَقْرَءُونَ الْآيَةَ، أَوْ تُقْرَأُ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا اخْتَلَّ مِنْهَا حَرْفٌ وَاحِدٌ أَحْسَوْا بِهِ، وَقَالُوا لِلْقَارِئِ: لَمْ تَقْرَأِ الْآيَةَ صَحِيحَةً، فَيَرُدُّونَهَا بِلِسَانِهِمْ، وَبِالنَّعْمَةِ الَّتِي حَفِظُوهَا بِهَا ثَانِيَةً، حَتَّى تَسْتَقِيمَ! ^(١).

كَمَا أَنَّ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ خَصَائِصَ، فَمِنْ خَصَائِصِهِ الصَّوْتِيَّةِ الَّتِي تُمَيِّزُ بِهَا عَنْ كَلَامِ الْعَرَبِ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ:

- ١- زِيَادَةُ مِقْدَارِ الْعُنَّةِ فِي النُّونِ وَالْمِيمِ الْمَشْدَدَتَيْنِ، وَالْإِدْغَامِ وَالْإِخْفَاءِ.
- ٢- زِيَادَةُ مِقْدَارِ الْمَدِّ فِي أَمَاكِنِهِ الْمَعْرُوفَةِ.
- ٣- النَّعْمَةُ الْفِطْرِيَّةُ الَّتِي تَجْرِي عَلَى لِسَانِ الْقَارِئِ مِنَّا، أَنَّى كَانَ مُسْتَوَاهُ الْعِلْمِيِّ. وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْقِرَاءَةَ بِنَعْمَةٍ مُحَبَّبَةٍ لَدَيْكَ، مُنْضِبَةٌ بِأَحْكَامِ التَّجْوِيدِ تُسَهِّلُ عَلَيْكَ عَمَلِيَّةَ الْحِفْظِ، وَبِالتَّالِي تُسَهِّلُ عَلَيْكَ عَمَلِيَّةَ اسْتِعَادَةِ الْمَحْفُوظِ مَرَّةً أُخْرَى غَيْبًا، فَإِنَّكَ إِذَا تَعَوَّدْتَ عَلَى إِيقَاعٍ مُعَيَّنٍ، فَعِنْدَمَا تُنْقِصُ كَلِمَةً مِنَ الْآيَةِ سَهْوًا، فَإِنَّ لِسَانَكَ لَا يُطَاوِعُكَ، وَإِذَا طَاوَعَكَ اللِّسَانُ فَإِنَّ الْأُذُنَ قَدْ تَعَوَّدَتْ عَلَى تِلْكَ النَّعْمَةِ - فِي الْغَالِبِ - لَا تَقْبَلُ الْخَطَأَ ^(٢).

(١) انْظُرْ: «كَيْفَ تُحَفِّظُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ» لِلْغَوْنَانِيِّ (ص ٤٨).

(٢) انْظُرْ: «كَيْفَ تُحَفِّظُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ» لِلْغَوْنَانِيِّ (ص ٤٧).

٣٦ - كَيْفَ تُحَسِّنُ صَوْتَكَ بِالْقُرْآنِ ١٩

تَحْسِينُ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ ؛ مِنْ الْوَسَائِلِ الْمُعِينَةِ عَلَى الْحِفْظِ ، وَهُنَاكَ قَوَاعِدُ مُهِمَّةٌ لِتَحْسِينِ الصَّوْتِ ، فَمِنْهَا :

١ - سَجِّلْ صَوْتَكَ ؛ وَمِنْ ثَمَّ اسْتَمِعْ إِلَى صَوْتِكَ بِمَوْضُوعِيَّةٍ ، وَحَاوِلْ أَنْ تُجَرِّبَ أَكْثَرَ مِنْ نَبْرَةٍ ، وَجَرِّبْ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ بِأَكْثَرِ مِنْ طَرِيقَةٍ ، وَبِسُرْعَاتٍ مُخْتَلَفَةٍ ، وَبَطَبَقَاتٍ مُخْتَلَفَةٍ ، وَتَدَرَّبْ عَلَى ذَلِكَ ، إِنَّ قُوَّةَ صَوْتِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُهْمَّةِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَتَدَرَّبَ عَلَيْهَا .

عَلَيْكَ أَنْ تَرْفَعَ وَتَخْفِضَ صَوْتَكَ ؛ حَتَّى تَتِمَّكَنَ مِنَ التَّحَكُّمِ فِي قُدْرَتِكَ عَلَى تَنْوِيعِ قُوَّتِهِ ، وَهَذَا شَيْءٌ نَافِعٌ جَدًّا فِي التَّدْرِيبِ عَلَى الْخَطَابَةِ ، وَيُفِيدُكَ فَائِدَةٌ قِيَمَةٌ ، وَهِيَ أَنْ تُصْبِحَ مُجِيدًا لِلتَّحَكُّمِ فِي طَبَقَاتِ صَوْتِكَ ، وَتَذْهَبَ عَنْكَ تِلْكَ الْغَضَّةُ أَوْ الْخَنْقَةُ الَّتِي تَحْدُثُ لِبَعْضِهِمْ .

٢ - حَاوِلْ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِسُرْعَةٍ ٩٠ كَلِمَةً فِي الدَّقِيقَةِ ، فَهَذَا هُوَ مُتَوَسِّطُ الْكَلَامِ الطَّبِيعِيِّ ، وَاسْأَلْ أَصْدِقَاءَكَ عَنْ رَأْيِهِمْ فِي سُرْعَةِ إِلْقَائِكَ .

٣ - اقْرَأْ بِوُضُوحٍ مَخَارِجَ الْحُرُوفِ وَصِفَاتِهَا ، وَتَدَرَّبْ عَلَى الْكَلِمَاتِ الصَّعْبَةِ النُّطْقِ ، حَتَّى تُثَقِّنَهَا ، لَا سِيَّمَا الْكَلِمَاتِ الَّتِي فِيهَا حُرُوفُ التَّفْخِيمِ ، الْمَجْمُوعَةُ فِي قَوْلِهِمْ : (خُصَّ ضَغْطُ قَظْ) ، وَكَذَلِكَ حُرُوفُ الهمسِ الْمَجْمُوعَةُ

فِي قَوْلِهِمْ (فَحَثَّهُ شَخْصٌ سَكَتَ) .

٤- دَعَّ صَوْتَكَ يَقُومُ بِالتَّكْيِيدِ عَلَى الْكَلِمَاتِ وَالْمَذُلُولَاتِ الْمُهِمَّةِ ،
وَالْتَفَاعُلِ مَعَهَا .

وَاجْعَلْ صَوْتَكَ يَتَنَاغَمُ مَعَ الْمَعْنَى ، فَإِذَا تَنَاغَمَ الصَّوْتُ مَعَ الْمَعْنَى مَعَ
الرُّوحِ ، يُصْبِحُ لَدَيْكَ بَصْمَةٌ خَاصَّةٌ فِي تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَتُصْبِحُ
تِلَاوَتَكَ مُتَمَيِّزَةً .

٥- اسْتَفِدْ مِنْ قَانُونِ التَّنَفُّسِ ، وَاسْتَغِلَّ قُدْرَتَكَ الصَّوْتِيَّةَ ، فَكُلُّ إِنْسَانٍ
لَدَيْهِ قُدْرَةٌ مُدْهِشَةٌ ، وَذَلِكَ بِأَنْ تَأْخُذَ نَفْسًا عَمِيقًا مِنَ الْأَنْفِ ، فَهَذَا يُعْطِيكَ
طَاقَةً مُدْهِشَةً فِي الْقُوَّةِ ، وَفِي التَّحَكُّمِ بِطَبَقَاتِ صَوْتِكَ .

٦- انْتَبِهْ فِي تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ لِإِخْرَاجِ الْحُرُوفِ مِنْ مَخَارِجِهَا الصَّحِيحَةِ ،
وَأَنْ تَكُونَ التَّلَاوَةُ مِنَ الْفَمِ ، مَا عَدَا حُرُوفًا خَاصَّةً تَكُونُ بِغَنَّةٍ ، وَهِيَ الْمِيمُ
وَالنُّونُ .

انْتَبِهْ لِذَلِكَ ؛ فَالكَثِيرُونَ يُخْرِجُونَ الْحُرُوفَ مِنَ الْأَنْفِ ، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ
ذَلِكَ يُحَسِّنُ التَّلَاوَةَ ، فَيَقْعُونَ فِي خَطَأَيْنِ : خَطَأً فِي التَّجْوِيدِ ، وَخَطَأً فِي
فَنِّيَّاتِ الْأَدَاءِ .

٧- اسْأَلِ الْمُقَرَّبِينَ مِنْكَ ، إِنْ كَانُوا لَا حَظُوا أَيَّ حَشَرَجَاتٍ مُزَعَجَةٍ فِي
صَوْتِكَ .

وَالْأَفْضَلُ أَنْ تَبْحَثَ عَنْ ذَلِكَ بِنَفْسِكَ ، أَرْهَفَ سَمْعَكَ لِصَوْتِكَ ، فَقَدْ تُفَاجَأُ بِمَا تَسْمَعُ .

٨- اهْتَمَّ بِصَوْتِكَ وَحَلَقِكَ ، فَالْصَّوْتُ الْمُتَعَبُ بِحَاجَةٍ إِلَى الرَّاحَةِ ، وَإِلَى التَّرْطِيبِ ، عَلَيْكَ أَنْ تُجَرِّبَ شُرْبَ مَاءٍ دَافِيٍّ مُحَلَّى بِالْعَسَلِ ، أَوْ مَضْغَ بَعْضِ حَبَّاتِ الزَّيْبِ ، أَوْ بَعْضِ الْحُبُوبِ الطَّيْبَةِ الْمَصَّاصَةِ ذَاتِ طَعْمِ النَّعْنَاعِ .
وَانْتَبِهْ فَلَا تَتَنَفَّسْ مِنْ فَمِكَ كَثِيرًا ، لِأَنَّ ذَلِكَ يُجَفِّفُ الْحَبَالَ الصَّوْتِيَّةَ ،
تَدَرَّبْ عَلَى أَنْ يَكُونَ تَنَفُّسُكَ دَوْمًا مِنْ أَنْفِكَ ^(١) .

وَمِنْ وَسَائِلِ تَحْسِينِ الصَّوْتِ :

١- مُمَارَسَةُ التَّنَفُّسِ ، خَاصَّةً بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، حَيْثُ يَكُونُ الْجَوْ مُفْعَمًا بِالْأَكْسُجِينِ ، مِمَّا يَزِيدُ الْإِنْسَانَ قُوَّةً وَصِحَّةً وَطَاقَةً .

وَطَرِيقَةُ التَّنَفُّسِ هِيَ :

خُذْ شَهِيقًا مُتَدَرِّجًا ، وَبِطْءٍ مَعَ الْعَدِّ بِيَدِكَ لَا بِفَمِكَ (١-٢-٣-٤) .
ثُمَّ احْبِسِ الْهَوَاءَ فِي الرِّئَتَيْنِ مَعَ الْعَدِّ إِلَى ٤ ، ثُمَّ اْعْمَلْ زَفِيرًا بَطِيئًا مَعَ الْعَدِّ إِلَى ٤ ، حَتَّى يَعْتَادَ الْإِنْسَانُ عَلَى فِتْرَةِ الْعَدِّ الْأَرْبَعَةِ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَزِيدُ الْعَدَدَ ، حَتَّى يَصِلَ إِلَى خَمْسَةِ عَشَرَ ، عِشْرِينَ ، أَكْثَرُ .

٢- شُرْبُ الْأَعْشَابِ الدَّافَةِ ، مِثْلُ : الشَّمْرِ ، وَالْيَانُسُونِ ، وَالزَّنَجَبِيلِ .

(١) «مُتَدَي مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ» مَوْضُوعُ «قَوَاعِدُ مُحْسِنِينَ الصَّوْتِ» بِتَصَرُّفٍ .

٣- تَقْلِيلُ الدُّهُونِ فِي الطَّعَامِ ؛ لِأَنَّ الدُّهُونَ تَسُدُّ الشَّرَائِينَ ، وَتَعُوقُ التَّنَفُّسَ الصَّحِيحَ .

٤- الْإِكْتَارُ مِنْ أَكْلِ الْخُضَرَوَاتِ ، وَالْفَاكِهَةِ الطَّازِجَةِ ، الَّتِي تُذِيبُ الدُّهُونَ الضَّارَّةَ ، وَتَطْرُدُهَا مِنَ الْجِسْمِ .

٥- أَكْلُ الْقَمْحِ وَالشَّعِيرِ (وخاصَّةً التَّلِينَةُ النَّبَوِيَّةُ) ^(١) ؛ لِلْمُسَاعَدَةِ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنَ الدُّهُونِ الضَّارَّةِ الْمُتَرَسِّبَةِ فِي الْجِسْمِ ، زِدْ عَلَى ذَلِكَ مَا فِيهَا مِنْ الْفَوَائِدِ الْعِظَامِ لِلْمُخِّ وَالْأَعْصَابِ ، وَسَائِرِ خَلَايَا الْجِسْمِ .

٦- مُزَاوَلَةُ التَّمْرِينَاتِ الرِّيَاضِيَّةِ : كَالْجُرْيِ ، أَوْ الْمَشْيِ ، مِمَّا يُسَاعِدُ عَلَى تَقْوِيَةِ الْقَلْبِ ، وَتَحْسِينِ الدَّوْرَةِ الدَّمَوِيَّةِ ، وَمِنْ ذَلِكَ تَحْسِينُ التَّنَفُّسِ ، وَمِنْ ثَمَّ اكْتِسَابُ الصَّوْتِ صَفَاءً .

٧- التَّضَرُّعُ إِلَى اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بِالذِّعَاءِ أَنْ يُكْسِبَكَ حُسْنَ الصَّوْتِ ^(٢) .

(١) التَّلِينَةُ : هِيَ حِسَاءٌ يُعْمَلُ مِنْ مَلْعَقَتَيْنِ مِنْ دَقِيقِ الشَّعِيرِ بُخَالَتهِ ، ثُمَّ يُضَافُ لَهَا كُوبٌ مِنَ الْمَاءِ ، وَتُطَهَّى عَلَى نَارٍ هَادِئَةٍ لِمُدَّةِ خَمْسِ دَقَائِقَ ، ثُمَّ يُضَافُ كُوبٌ لَبَنٍ ، وَمَلْعَقَةٌ عَسَلٍ نَحْلٍ ، وَسُمِّيتْ تَلِينَةً ؛ تَشْبِيْهَا لَهَا بِاللَّبَنِ فِي بَيَاضِهَا وَرَقَّتِهَا ، وَقَدْ جَاءَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» (٥٦٨٩) عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : «إِنَّ التَّلِينَةَ نُجْمٌ فَوَادُ الْمَرِيضِ ، وَتَذْهَبُ بَعْضَ الْحَزَنِ» .

قَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «نُجْمٌ فَوَادُ الْمَرِيضِ» أَيُ : تُرِيحُ فَوَادَهُ ، وَتُرِيْلُ عَنْهُ الهمَّ وَتُنَشِّطُهُ .

وَقَدْ اثْبَتَتِ الدِّرَاسَةُ الْعِلْمِيَّةُ : أَنَّ الشَّعِيرَ يُخَفِّضُ كُولِسْتَرُولَ الدَّمِ .

(٢) «مُتَمَدِّى سُبُلِ الْهُدَى» مَوْضُوعُ «كَيْفِيَّةِ تَحْسِينِ الصَّوْتِ» بِتَصَرُّفٍ .

٣٧ - الْحِفْظُ بِتَسْجِيلِ صَوْتِكَ

فَكَانَ لَذَّةَ صَوْتِهِ وَدَيِّبِهَا سِنَّةٌ تَمْشِي فِي مَفَاصِلِ نَعْسٍ^(١)

حَاوِلْ أَنْ تُسَجِّلَ صَوْتَكَ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنَ التَّسْجِيلِ الْحَدِيثِ : مُسَجَّلَ كُمْبِيُوتَرٍ، جَوَّالٍ ، ... إلخ .

وَلْتَكُنْ قِرَاءَتُكَ بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ فِي جَوْهَادِيٍّ مِنَ السُّورَةِ الَّتِي حَفِظْتَهَا، مُرَاعِيًا أَحْكَامَ التَّجْوِيدِ، وَحَسَنَ التَّرْتِيلِ، ثُمَّ اسْتَمِعْ إِلَى صَوْتِكَ الْعَذْبِ فِي بَيْتِكَ، حَدِيثَتِكَ، سَيَّارَتِكَ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ سَيَسَاعِدُكَ كَثِيرًا فِي عَمَلِيَّةِ الْحِفْظِ السَّرِيعِ، وَالرَّغْبَةِ فِي تَحْسِينِ مُسْتَوَاكَ وَصَوْتِكَ ، فَقَدْ كَانَ مَنْ مَضَى مِنْ الْأَسْلَافِ يَتَمَرَّنُونَ عَلَى تَحْسِينِ أَصْوَاتِهِمْ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، وَيُدَاوِمُونَ عَلَى ذَلِكَ .

حَاوِلْ أَنْ تُقَارِنَ بَيْنَ نُطْقِكَ وَبَيْنَ نُطْقِ الْقُرَّاءِ الْمُجِيدِينَ ، لِتَرَى الْفَارِقَ ، فَتَفَادَى مَا يُمَكِّنُ أَنْ تَتَفَادَاهُ .

حَاوِلْ أَنْ تُرَدِّدَ بِصَوْتِكَ مَعَ الْمُسَجِّلِ ، وَأَنْ تُدَقِّقَ فِي أَخْطَائِكَ فِي الْحَرَكَاتِ ، وَفِي أَحْكَامِ التَّجْوِيدِ ، وَبَعْدَ أَنْ تَشْعُرَ أَنَّكَ قَدْ حَفِظْتَ السُّورَةَ

(١) « دِيَّوَانُ ابْنِ الرُّومِيِّ » (ص ٢٤٣٣) .

حِفْظًا جَيِّدًا، اخْتَبِرْ حِفْظَكَ ، بَأَنْ تُسَجِّلَ نَفْسَ السُّورَةِ غَيْبًا مِنْ حِفْظِكَ،
ثُمَّ تُقَارِنْ مَعَ الْمُصْحَفِ، وَهَكَذَا، وَيَحْسُنُ أَنْ تَحْتَفِظَ بِصَوْتِكَ فِي ذَوَاكِرِ
خَاصَّةٍ لِلزَّمَانِ^(١).

(١) انْظُرْ : « كَيْفَ تُحَفِظُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ » لِلْعَوْنَانِيِّ بِتَصْرِفٍ (ص ١٠١) .

٣٨ - الْحِفْظُ عَنْ طَرِيقِ السَّمَاعِ مِنْ آلَةِ التَّسْجِيلِ

وَبَدِيعَةُ كَالرَّوْضِ إِلَّا أَنَّهَا تُجَلَّى بِجَارِحَةِ السَّمَاعِ وَتُعْشَقُ^(١)

١ - قُمْ بِتَسْجِيلِ خَتْمَةِ كَامِلَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مُسَجَّلَةً مُرْتَلَّةً بِصَوْتِ قَارِيٍّ مُتَقِنٍ: كَالْحَصْرِيِّ، أَوِ الْمُنْشَاوِيِّ، أَوِ الْحَذِيفِيِّ، أَوْ عَبْدِ اللَّهِ بِضَفَرٍ.

٢ - أَحْضِرِ الشَّرِيطَ الْأَوَّلَ مَعَكَ فِي السَّيَّارَةِ، وَاسْمَعْهُ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ.

٣ - أَعِدْ سَمَاعَهُ مَرَّةً ثَانِيَةً.

٤ - أَعِدْ سَمَاعَهُ لِلْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ، وَحَاوِلْ أَنْ تُرَدِّدَ مَعَهُ الْآيَاتِ، تَبْدَأُ حَيْثُ يَبْدَأُ، وَتَقِفُ حَيْثُ يَقِفُ.

٥ - فِي سَمَاعِكَ لِلْمَرَّةِ الرَّابِعَةِ: إِذَا بَدَأَ الْآيَةَ الْأُولَى، فَارْدِّدْ مَعَهُ، فَإِذَا انْتَهَتْ الْآيَةُ، أَوْقِفْ آلَةَ التَّسْجِيلِ، وَكَرِّرِ الْآيَةَ غَيْبًا، فَإِذَا أَخْطَأَتْ بِهَا، أَعِدِ الْمَحَاوَلَةَ مَرَّةً أُخْرَى، وَإِنْ قَرَأْتَهَا صَحِيحَةً، فَكَرِّرْهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ غَيْبًا؛ لِتَرْسَخَ فِي ذَهْنِكَ رُسُوخًا جَيِّدًا بِإِذْنِ اللَّهِ - تَعَالَى - .

(١) « دِيَوَانُ ابْنِ نَبَاتَةِ الْمَصْرِيِّ » (١٢٩٨) .

٦ - اُنْتَقِلْ إِلَى الْآيَةِ الثَّانِيَةِ ، وَاصْنَعْ كَمَا صَنَعْتَ فِي الْأُولَى تَمَامًا .

٧ - لَا تَنْسَ عَمَلِيَّةَ الرَّبْطِ الَّتِي تَحَدَّثْنَا عَنْهَا سَابِقًا .

وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ كَمَا تَصْلُحُ فِي السَّيَّارَةِ ، تَصْلُحُ فِي الْبَيْتِ ، وَلَكِنْ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَحْفَظَ فِي الْبَيْتِ ، فَلَا بُدَّ مِنْ بَعْضِ الْمُلَاحَظَاتِ :

أ - اسْمَعْ السُّورَةَ أَوَّلًا ، وَأَنْتَ تَفْتَحُ الْمُصْحَفَ تُتَابِعُ الْوَقْفَ وَالْإِبْتِدَاءَ .

ب - اسْمَعْ الْمَقْطَعَ الْأَوَّلَ ، ثُمَّ كَرِّرْهُ غَيْبًا ، فَإِنْ رَأَيْتَ الْمَقْطَعَ كَبِيرًا ، وَيَثْقُلُ حِفْظُهُ ، فَاكْتَفِ بِنِصْفِهِ ، وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ تَصْلُحُ لِلْمَكْفُوفِينَ ، وَقَدْ حَفِظَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ^(١) .

(١) انْظُرْ : « كَيْفَ تُحْفَظُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ » لِلْعَوْنَانِي (ص ٩٦-٩٧) .

٣٩ - احْمِلْ مُصْحَفًا صَغِيرًا فِي جَيْبِكَ ^(١)

لَكَ مِنْ سَدَادِكَ خُبْرٌ بَلْ مُذَكَّرٌ أَنَّ الزَّمَانَ جَرَى عَلَى عَادَاتِهِ ^(٢)

أَدْعُوكَ لِحَمْلِ مُصْحَفٍ فِي جَيْبِكَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يُسَاعِدُ كَثِيرًا عَلَى إِتْمَامِ الْحِفْظِ، لِلْعِلْمِ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ حَفِظُوا أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِينَ بِالمِائَةِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ مُصْحَفِهِمُ الصَّغِيرِ فِي أَمَاكِنَ مُتَفَرِّقَةٍ، وَأَوْقَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَلَمْ يَكُنِ الْجُلُوسُ خَصِيصًا لِلْحِفْظِ هُوَ الْأَصْلُ عِنْدَهُمْ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ بِصِفَةِ عَامَّةٍ يَرْتَبِطُ طَوَالَ الْيَوْمِ بِأَكْثَرِ مِنْ مِيعَادٍ، وَيَنْتَقِلُ بَيْنَ هَذَا الْمِيعَادِ وَذَاكَ، وَيَجِدُ أَوْقَاتًا قَصِيرَةً، لَكِنَّهَا كَثِيرَةً يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَغْلِلَهَا فِي الْحِفْظِ، وَلَكِنَّهُ قَدْ لَا يَجِدُ مُصْحَفًا يَحْفَظُ مِنْهُ، وَهُنَا يَبْرُزُ دَوْرُ مُصْحَفِ الْجَيْبِ ^(٣).

فَعَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ : إِذَا كُنْتَ تَنْتَقِلُ بِالْمُوَاصَلَاتِ الْعَامَّةِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ، فَهَذِهِ رُبْعُ سَاعَةٍ أَوْ نِصْفُ سَاعَةٍ ، وَأَحْيَانًا سَاعَةً يَوْمِيًّا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْتَغْلِلَهَا فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .

(١) « انْظُرْ : « مِنْ الْقَوَاعِدِ الْمُسَاعِدَةِ لِحِفْظِ الْقُرْآنِ » مُحَمَّدُ الْعَشْرِيُّ ، شَبَكَةِ الْأَلْوَكَةِ .

(٢) « دِيَوَانُ ابْنِ حَيُّوسٍ » (ص ٢٨١) .

(٣) لَا نَنْصَحُ بِالِاعْتِمَادِ عَلَى مُصْحَفِ الْجَوَالِ ؛ فَمُصْحَفُ الْجَيْبِ أَفْضَلُ بِكَثِيرٍ ؛ لِأَنَّ الْجَوَالَ مَشْغَلَةٌ قَدْ يُزْعِجُكَ ، اتِّصَالٌ أَوْ تَسْتَهْوِيكَ بَعْضُ الرِّسَائِلِ وَالرُّدُودِ ... إلخ . وَكُلُّ ذَلِكَ مَشْغَلَةٌ ، وَأَيُّ مَشْغَلَةٍ ؟ ، وَمَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجَرُّبَتِي ، عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي .

وَتَسْتَطِيعُ - أَيْضًا - أَنْ تُرَاجِعَ وَأَنْتَ تَسِيرُ فِي الشَّارِعِ ، فَتَقُومُ بِتَسْمِيعِ مَا حَفِظْتَهُ فِي الْأُسْبُوعِ الْمَاضِي وَالَّذِي قَبْلَهُ ، تَقْرَأُ مَرَّةً وَالثَّانِيَةَ وَالثَّلَاثَةَ ، فَهَذَا يُثَبِّتُ الْحِفْظَ ، وَيُعْظِمُ الْأَجْرَ ، فَإِنْ وَقَفْتَ عِنْدَ آيَةٍ أَخْرَجْتَ الْمُصْحَفَ ، وَرَاجَعْتَ أَوَّلَ الْآيَةِ ، ثُمَّ أَكْمَلْتَ التَّسْمِيعَ ، وَكَذَلِكَ إِذَا كُنْتَ مُنْتَظَرًا فِي مَكَانٍ مَا ، فِي مَكْتَبٍ ، فِي طَابُورٍ ، فِي فِتْرَةٍ رَاحَةٍ بَيْنَ الْمُحَاضِرَاتِ فِي الْجَامِعَةِ أَوْ الْمَدْرَسَةِ ، فِي الْفِتْرَةِ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ فِي الْمَسْجِدِ ، اسْتَغِلَّ كُلُّ هَذِهِ الْفَتَرَاتِ فِي الْحِفْظِ وَلَوْ آيَةً وَاحِدَةً ، وَآيَةٌ مَعَ آيَةٍ تُمَثِّلُ رُبْعًا ، وَالرُّبْعُ مَعَ الرُّبْعِ يُمَثِّلُ الْقُرْآنَ كَامِلًا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - .

٤٠ - التَّلَاوَةُ الْمُسْتَمِرَّةُ

أَنْتُمْ اسْتَمَرَّ إِلَى الْعَلِيَاءِ مُفْتَحًا مَعَاقِلَ الْفَخْرِ لَا نِكْسًا وَلَا فَرَقًا ^(١)

التَّلَاوَةُ الْمُسْتَمِرَّةُ هِيَ وَقُودُ الْحِفْظِ ؛ لِأَنَّهَا تُثَبِّتُ الْحِفْظَ كَثِيرًا ، أَلَا تَرَى أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَحْفَظُ سُورَةَ الْكَهْفِ بِسَبَبِ تَكَرَّرِ قِرَاءَتِهَا كُلِّ أُسْبُوعٍ ، كَذَلِكَ لَا بُدَّ مِنَ السَّمَاعِ مِنَ الْأَشْرَاطَةِ لِلْقُرَّاءِ الْمُجِيدِينَ : كَالْحَصْرِيِّ ، وَالْمِنْشَاوِيِّ ، وَالْحَذِيفِيِّ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بَصْفَرٍ ؛ فَإِنَّ تَكَرَّرَ السَّمَاعُ خَيْرٌ مُعِينٌ عَلَى الْحِفْظِ .

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ أُمِّ هِشَامِ بِنْتِ حَارِثَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « مَا أَخَذْتُ ﴿ قَدْ وَالْقُرْآنُ الْمَجِيدُ ﴾ (١) إِلَّا عَنْ لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، يَقْرُؤُهَا كُلُّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ عَلَى الْمِنْبَرِ ، إِذَا خَطَبَ النَّاسَ » ^(٢) .

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّهَا قَالَتْ : سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَجُلًا يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بِاللَّيْلِ ، فَقَالَ : « يَرْحِمُهُ اللَّهُ ، لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً ، كُنْتُ أَنْسِيْتُهَا مِنْ سُورَةِ كَذَا

(١) « دِيَوَانُ ابْنِ دَرَّاجِ الْقَسْطَلِيِّ » (ص ٤١٦) .

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٨٧٣) .

وَكَذَا» ^(١).

وَرُوي عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْفَرَاتِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّهُ قَالَ : « لَمْ نَزَلْ نَسْمَعُ شَيْئًا يَذْكُرُونَ أَشْيَاءَ فِي الْحِفْظِ ، فَأَجْمَعُوا أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَبْلَغَ فِيهِ إِلَّا كَثْرَةُ النَّظَرِ » ^(٢).

وَلَا يَعْزُبُ عَنْكَ أَنَّ كَثْرَةَ التَّلَاوَةِ تَعُودُ عَلَيْكَ بِالْأَجْرِ الْعَظِيمِ ، فَضْلًا عَنْ تَثْبِيتِ الْحِفْظِ فِي الصَّدْرِ ، لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَتْ الْقِرَاءَةُ بِتَدْبُرٍ مَعَ إِدَامَةِ النَّظَرِ فِي الصَّفْحَةِ وَالْآيَاتِ وَمَوَاقِعِهَا ، النَّظَرُ الَّذِي يَجْعَلُهَا مَرْسُومَةً فِي صَفْحَةِ الذَّهْنِ ، مَنقُوشَةً فِي سِجْلِ الذَّاكِرَةِ .

وَيَجْمَلُ أَنْ تَكُونَ التَّلَاوَةُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ ، -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « إِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ ، فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ » ^(٣).

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

« وَالِدَوَامُ أَصْلٌ عَظِيمٌ ، فَكَمْ مِمَّنْ تَرَكَ الْاسْتِذْكَارَ بَعْدَ التَّحْفِظِ ، فَضَاعَ زَمَنٌ طَوِيلٌ فِي اسْتِرْجَاعِ مَحْفُوظٍ قَدْ نَسِيَ » ^(٤).

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٠٣٨) ، وَمُسْلِمٌ (٧٨٨) .

(٢) الْجَامِعُ فِي الْحَثِّ عَلَى حِفْظِ الْعِلْمِ « انْتِقَاءُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَدَّادِ (ص ١٧٧) .

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٧٨٩) .

(٤) « صَيِّدُ الْخَطَرِ » (ص ١٩٢) .

وَمِمَّا ذَكَرَهُ الْعِلْمُ الْحَدِيثُ :

« أَنَّ إِعَادَةَ حِفْظِ النَّصِّ بِتِلَاوَةٍ مُتَعاقِبَةٍ يُثَبِّتُ تَرْكِيزَهُ فَتَرَةً أَدْوَمَ إِلَى أَنْ تَأْتِيَ مَرَحَلَةً لَا يَكُونُ مَعَهَا فَقْدَانٌ كَبِيرٌ لِمَا فِي الذَّاكِرَةِ »^(١).

أَيَا حَافِظَ الْقُرْآنِ، اسْعُدْ بِحِفْظِهِ	وَدَاوِمْ عَلَيْهِ فَالتِّلَاوَةُ مَغْنَمٌ
تَفُزْ مِنَ الْمَوْلَى بِعَفْوٍ وَرَحْمَةٍ	وَمَنْ غَيْرُ رَبِّ النَّاسِ لِلنَّاسِ يَرْحَمُ
وَرَتِّلْ لَنَا الْآيَاتِ فِي صَوْتٍ خَاشِعٍ	وَجَوْدَةٍ بِالْأَحْكَامِ ، ذَلِكَ أَعْظَمُ
وَإِنْ شِئْتَ فَاقْرَأْ مَا تَيْسَّرَ قَانِتًا	قِرَاءَتُهُ تَشْفِي النُّفُوسَ وَتَرَنُّمُ
فَلَا تَهْجُرُوا هَذَا الْكِتَابَ تَنَاسِيًا	فَكَمْ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ لِمَنْ لَا يَعْلَمُ

(١) « الْمَدْخُلُ إِلَى عِلْمِ النَّفْسِ » (ص ٢٥٤) .

٤١ - الْمُنَافَسَةُ

يُنَافِسُنِي فِيكَ الزَّمَانُ وَأَهْلُهُ وَكُلُّ زَمَانٍ لِي عَلَيْكَ مُنَافِسٌ ^(١)

الْمُنَافَسَةُ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ وَسِيْلَةً لِلْحِفْظِ ، فَبَعْضُ النَّاسِ - إِنْ لَمْ تَقُلْ كُلُّهُمْ - لَنْ تَنْفَجِرَ طَاقَاتُهُ ، أَوْ تَنْكَشِفَ مَوَاهِبُهُ ، أَوْ تَظْهَرَ قُدْرَتُهُ - إِلَّا فِي جَوْ مِنْ الْمُنَافَسَةِ ، بَلْ إِنَّهَا لَتُعِينُ عَلَى مُوَاصَلَةِ الْحِفْظِ وَالتَّرَقِّي فِي مَرَاتِبِ الْكَمَالِ ، وَرُبَّمَا ظَنَّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ الْمُنَافَسَةَ فِي الْخَيْرِ هِيَ الْحَسَدُ ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَظُنُّ ^(١).

قَالَ ابْنُ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

« وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمُنَافَسَةِ وَالْحَسَدِ : أَنَّ الْمُنَافَسَةَ : الْمُبَادَرَةُ إِلَى الْكَمَالِ الَّذِي تُشَاهِدُ مِنْ غَيْرِكَ ، فَتَنَافِسُهُ فِيهِ ، حَتَّى تَلْحَقَهُ أَوْ تُجَاوِزَهُ ، فَهِيَ مِنْ شَرَفِ النَّفْسِ ، وَعُلُوِّ الْهَمَّةِ ، وَكِبَرِ الْقَدْرِ ، قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٦] .

وَأَصْلُهَا : مِنَ الشَّيْءِ النَّفْسِ الَّذِي تَتَعَلَّقُ بِهِ النَّفْسُ طَلَبًا وَرَغْبَةً ، فَيُنَافِسُ كُلُّ مِنَ النَّفْسَيْنِ الْأُخْرَى ، وَرُبَّمَا فَرَحَتْ إِذَا شَارِكْتَهَا فِيهِ ، كَمَا كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَتَنَافَسُونَ فِي الْخَيْرِ ، وَيَفْرَحُ ^(١) دِيوَانُ أَبِي فِرَاسٍ (ص ٢٠٢).

صِنَاعَةُ الْحِفْظِ

بَعْضُهُمْ يَبْعُضَ بِاشْتِرَاكِهِمْ فِيهِ ، بَلْ يُحْضُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَيْهِ مَعَ تَنَافُسِهِمْ فِيهِ ، وَهِيَ نَوْعٌ مِنَ الْمُسَابَقَةِ ، وَقَدْ قَالَ -تَعَالَى- : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ [البقرة: ١٤٨] ، وَقَالَ -تَعَالَى- : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا

كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الحديد: ٢١] .

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يُسَابِقُ أَبَا بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - ، فَلَمْ يَظْفَرْ بِسَبْقِهِ أَبَدًا ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ اسْتَوَى عَلَى الْإِمَامَةِ ، قَالَ : « وَاللَّهِ لَا أَسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا » ^(١) .

وَقَالَ : « وَاللَّهِ ، مَا سَبَقْتُهُ إِلَى خَيْرٍ ، إِلَّا وَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ » ^(٢) .

وَالْمُتَنَافِسَانِ كَعَبْدَيْنِ بَيْنَ يَدَي سَيِّدِهِمَا ، يَتَبَارِعَانِ وَيَتَنَفَّسَانِ فِي مَرْضَاتِهِ ، وَيَتَسَابِقَانِ إِلَى مَحَابِّهِ ، فَسَيِّدُهُمَا يُعْجِبُهُ ذَلِكَ مِنْهُمَا ، وَيَحْتُمُّهُمَا عَلَيْهِ ، وَكُلُّهُمَا مِنْهُمَا يُحِبُّ الْآخَرَ ، وَيَحْرُضُهُ عَلَى مَرْضَاةِ سَيِّدِهِ .

وَالْحَسَدُ: خُلِقَ نَفْسَ ذَمِيمَةٍ وَضِيْعَةٍ سَاقِطَةٍ ، لَيْسَ فِيهَا حِرْصٌ عَلَى الْخَيْرِ ، فَلَعَجَزَهَا وَمَهَانَتَهَا تَحْسُدُ مَنْ يَكْسِبُ الْخَيْرَ وَالْمَحَامِدُ ، وَيَفُوزُ بِهَا دُونَهَا ، وَتَتَمَنَّى أَنْ لَوْ فَاتَهُ كَسْبُهَا ؛ حَتَّى تُسَاوِيَهَا فِي الْعَدَمِ ، كَمَا قَالَ -تَعَالَى- :

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (١٦٧٨) ، وَالحَاكِمُ (١٥١٠) ، وَقَالَ : صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ ، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فِي «صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» (١٤٧٣) .

(٢) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١/٧ ، ٤٤٥ ، ٤٥٤) ، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فِي «الصَّحِيحَةِ» (٢٣٠١) .

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النِّسَاءُ : ٨٩] .

قَالَ - تَعَالَى - : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البَقَرَةُ : ١٤٨] .

فَالْحَسُودُ عَدُوُّ النِّعْمَةِ ، مُتَمَنَّ زَوَالَهَا عَنِ الْمَحْسُودِ كَمَا زَالَتْ عَنْهُ هُوَ ، وَالْمُنَافِسُ مُسَابِقُ النِّعْمَةِ ، مُتَمَنَّ تَمَامَهَا عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ يُنَافِسُهُ ، فَهُوَ يُنَافِسُ غَيْرَهُ أَنْ يَغْلُوَ عَلَيْهِ ، وَيُحِبُّ لِحَاقِهِ بِهِ ، أَوْ مُجَاوَزَتَهُ لَهُ فِي الْفَضْلِ ، وَالْحَسُودُ يُحِبُّ انْحِطَاطَ غَيْرِهِ ؛ حَتَّى يُسَاوِيَهُ فِي النُّقْصَانِ ، وَأَكْثَرُ النَّفُوسِ الْفَاضِلَةِ الْخَيْرَةِ تَتَنَفَّعُ بِالْمُنَافَسَةِ ، فَمَنْ جَعَلَ نُصَبَ عَيْنَيْهِ شَخْصًا مِّنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالسَّبَقِ فَنَافَسَهُ ، انْتَفَعَ بِهِ كَثِيرًا ^(١) . فَإِنَّهُ يَتَشَبَّهُ بِهِ ، وَيَطْلُبُ اللَّحَاقَ بِهِ ، وَالتَّقَدُّمَ عَلَيْهِ ، وَهَذَا لَا نَذْمُهُ . وَقَدْ يُطْلَقُ اسْمُ الْحَسَدِ عَلَى الْمُنَافَسَةِ الْمَحْمُودَةِ ، كَمَا فِي «الصَّحِيحِ» ، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا ، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ» ^(٢) .

فَهَذَا حَسَدٌ مُنَافَسَةٌ وَغِبْطَةٌ ، يَدُلُّ عَلَى عُلُوِّ هِمَّةِ صَاحِبِهِ ، وَكِبَرِ نَفْسِهِ ،

(١) كَمَا انْتَفَعَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ سُرَيْجٍ بِمُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ الظَّاهِرِيِّ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ - فَإِنَّهُ لَمَّا بَلَغَتْهُ وَفَاتُهُ ، كَانَ يَكْتُبُ شَيْئًا ، فَأَلْقَى الْكَرَّاسَةَ مِنْ يَدِهِ ، وَقَالَ : «مَاتَ مَنْ كُنْتُ أَحْتُ نَفْسِي وَأُجْهِدُهَا عَلَى الْاِسْتِغَالِ لِمُنَاطَرَتِهِ وَمُقَاوَمَتِهِ» . انْظُرْ : «الْوَافِي بِالْوَفِيَّاتِ» (٣/ ٦٠) .

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧٣) ، وَمُسْلِمٌ (٨١٦) .

وَطَلَبَهَا لِلتَّشَبُّهِ بِأَهْلِ الْفَضْلِ ^(١) .

فَمَا تَقَدَّمَ إِنَّمَا هُوَ عَنِ الْمُنَافَسَةِ فِي الدِّينِ ، كَحِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، أَمَّا الْمُنَافَسَةُ فِي الدُّنْيَا فَطَرِيقُ الْهَلَاكِ ! .

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الْأَنْصَارِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « [فَوَاللَّهِ ، مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسِطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا ، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ] » ^(٢) .

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ - :

« وَفِيهِ أَنَّ الْمُنَافَسَةَ فِي الدُّنْيَا قَدْ تَجَرَّ إِلَى هَلَاكِ الدِّينِ » ^(٣) .

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ - :

« إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُنَافِسُ فِي الدُّنْيَا ، فَنَافِسُهُ فِي الْآخِرَةِ » ^(٤) .

وَقَالَ : « مَنْ نَافَسَكَ فِي دِينِكَ فَنَافِسُهُ ، مَنْ نَافَسَكَ فِي دُنْيَاكَ ، فَأَلْقَهَا فِي نَحْرِهِ » ^(٥) .

(١) « الرُّوْحُ » (ص ٣٣٩-٣٤٠) .

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٩٨٨) ، وَمُسْلِمٌ (٢٩٦١) .

(٣) « فَتَحُ الْبَارِي » (١١ / ٢٤٥) .

(٤) « الزُّهْدُ » لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ (ص ٢١٧) .

(٥) « الْإِنْسَانُ بَيْنَ عُلُوِّ الْهَمَّةِ وَهُبُوطِهَا » (ص ١٦) .

وَلِلَّهِ دُرُّ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ حِينَ قَالَ :

وَيُجْهِدُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا مُنَافَسَةً
أَخِي، مَا نَحْنُ مِنْ حَزْمٍ عَلَى ثِقَةٍ
وَلَيْسَ لِلنَّاسِ فِيهَا غَيْرُ مَا رُزِقُوا
حَتَّى نَكُونَ إِلَى الْخَيْرَاتِ نَسْتَبِقُ^(١)

وَقَالَ مَنْصُورُ الْفَقِيهِ :

مُنَافَسَةُ الْفَتَى فِيمَا يَزُولُ
وَمُخْتَارُ الْقَلِيلِ أَقْلٌ مِنْهُ
عَلَى نُقْصَانِ هِمَّتِهِ دَلِيلُ
وَكُلُّ فَوَائِدِ الدُّنْيَا قَلِيلُ^(٢)

(١) « أَمَالِي الزَّجَّاجِيِّ » (ص ٥٤) .

(٢) « رَبِيعُ الْأَبْرَارِ » (٣ / ٣٧٥) .

٤٢ - الاشتراك في المسابقة

فَسَابَقَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ لِلْعُلَا مَدَى وَجَاهَدَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ لِلْعِدَى حَسَا^(١)
التَّنَافُسُ وَالتَّسَابُقُ فِي مَجَالِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، هُوَ تَنَافُسٌ وَتَسَابُقٌ فِي أَشْرَفِ
مَيْدَانٍ .

وَحَتَّى لَوْ كَانَتْ الْمُسَابَقَةُ بِعَوَضٍ ، فَقَدْ جَوَّزَهَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

« الْمُسَابَقَةُ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ ، وَالْفِقْهِ ، وَغَيْرِهِ مِنَ الْعُلُومِ
النَّافِعَةِ ، وَالْإِصَابَةِ فِي الْمَسَائِلِ - هَلْ تَجُوزُ بِعَوَضٍ ؟ .
مَنْعَهُ أَصْحَابُ مَالِكٍ ، وَالشَّافِعِيِّ ، وَأَحْمَدُ ، وَجَوَّزَهُ أَصْحَابُ أَبِي حَنِيفَةَ ،
وَشَيْخُنَا »^(٢) .

وَقَدْ ثَبَتَ بِالَدَّلِيلِ الْقَاطِعِ أَثَرُ الْمُسَابَقَةِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي تَشْجِيعِ أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ
وَبَنَاتِهِمْ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَأَحْكَامِ تِلَاوَتِهِ ، وَإِتْقَانِ تَجْوِيدِهِ ، وَمَعْرِفَةِ
مَعَانِيهِ ، كَمَا أَنَّ الْمُسَابَقَةَ هِيَ مِنْ أَدَوَاتِ اكْتِشَافِ الْقُدْرَاتِ وَالْمَوَاهِبِ الْكَامِلَةِ ،

(١) « دِيْوَانُ ابْنِ دَرَّاجِ الْقَسْطَلِيِّ » (ص ٣٢) .

(٢) « الْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الْفَتَاوَى » لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ (٥٩ / ٤) .

لِلْعَمَلِ عَلَى صَفْلِهَا ، وَرِعَايَتِهَا لِتُخَرَّجَ جِيلًا مِنَ الْمُقْرِئِينَ وَالْمُجَوِّدِينَ ^(١) .
 وَلَا يَخْفَى عَلَى اللَّيِّبِ أَنَّ الْاِشْتِرَاكَ بِالمُسَابَقَةِ مِنْ وَسَائِلِ تَثْبِيتِ الْحِفْظِ ،
 فَالْإِنْسَانُ بِطَبْعِهِ يَتَجَهُّ إِلَى الْإِثْقَانِ الشَّدِيدِ ، إِنْ كَانَ هُنَاكَ امْتِحَانٌ ۖ كَمَا
 أَنَّهُ يُسْرِعُ فِي الْحِفْظِ ، وَيَحْرِصُ عَلَى اسْتِغْلَالِ الْأَوْقَاتِ ، إِنْ كَانَ هُنَاكَ
 مِيعَادٌ مُحَدَّدٌ لِلَامْتِحَانِ ، وَهَذَانِ الْأَمْرَانِ : الْإِثْقَانُ ، وَالسَّرْعَةُ يَتَحَقَّقَانِ فِي
 مُسَابَقَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴾

[المطففين: ٢٦] .

(١) مَقَالٌ بِعَنْوَانِ « مِنْ فَوَائِدِ الْمُسَابَقَةِ الْقُرْآنِيَّةِ » لِسَلْمَانَ الْعُمَرِيِّ ، الْمَنْشُورِ فِي « الْجَزِيرَةِ » ٢٦ مَحْرَمَ ١٤٣٤ هـ ، عَدَدَ ١٤٦٨٣ .

٤٣ - الاشتراك في حلقات التحفيظ

وَمَا هِيَ إِلَّا قِسْمَةٌ بَيْنَ أَهْلِهَا لِكُلِّهِمْ فِيهَا نَصِيبٌ مُشَارِكٌ ^(١)
 إِذَا سَافَرْتَ فِي طَرِيقٍ شَاقَّةٍ ، فَاصْحَبْ أَصْحَابَ الْعَزَائِمِ ؛ لَعَلَّ نَفْسَكَ
 تَنَافِسُهُمْ فِي الْعَدُوِّ ، وَتَسْلُقَ الْجِبَالَ ، وَقَطَعَ الْمَفَازَاتِ .
 وَكَذَلِكَ الْحِفْظُ أَنْتَ بِحَاجَةٍ أَنْ تَكُونَ مَعَ اثْنَيْنِ ؛ أَوْ ثَلَاثَةً ، أَوْ أَرْبَعَةً ،
 أَوْ فِي حَلْقَةٍ ، هَذَا يُسَمِّعُ لَكَ وَأَنْتَ تَسْتَمِعُ إِلَيْهِ ، فَسَيَكُونُ هُنَاكَ رَوْحُ الْجِدِّ
 وَالْاجْتِهَادِ ، وَالْهَمَّةُ الْعَالِيَةُ ، وَالْعَزِيمَةُ عَلَى الْمُواصَلَةِ إِنَّمَا تُثْمِرُ مِنْ هُنَا .
 وَلَعَلَّ أَعْظَمَ شَيْءٍ الرُّفْقَةُ الصَّالِحَةُ فِي رَوْضَةِ الْخَيْرِ .

هَلْ الْهِلَالُ وَنَجْمُ اللَّيْلِ مُخْتَالٌ وَضَمْنَا فِي رَبِّ الْأَحْبَابِ آمَالُ
 فِي رَوْضَةِ الْخَيْرِ كَمْ ضَمَّتْ جَوَانِحُهَا مِنْ إِخْوَةِ مَالِهِمْ لَهُوٌ وَتَجَوَّالُ
 يَكْسُوهُمْ الْعِزُّ أَثْوَابًا مُطَهَّرَةً وَمَالُهُمْ فِي بَحَالِ اللَّغْوِ أَفْعَالُ
 مَاذَا بِقَوْلٍ كَمَدَحِ الْمَادِحِينَ لَكُمْ فَلَيْسَ مَطْلَبُنَا جَاءٌ وَلَا مَالُ
 لَكِنَّهُ الْحُبُّ فِي قَلْبِي سَقَاهُ دَمِي فِي مَنْهَجِ اللَّهِ هَذَا الْحُبُّ سَلَسَالُ
 لَكُمْ بِأَعْمَاقٍ أَعْمَاقِي مُعَانَقَةٌ تَسَامَقْتُ مِنْ بُذُورِ الصَّدَقِ أَنْجَالُ ^(٢)

(١) « دِيْوَانُ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ » (ص ٩٩٥) .

(٢) « مِنْ قَصِيدَةِ الشَّاعِرِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ هَجَادِ الزَّهْرَانِيِّ » .

٤٤ - مُمَارَسَةُ الْحِفْظِ

فِي كُلِّ مَجْدٍ وَلَهُ مُلَابَسَةٌ وَلِلْمَسَاعِي دُونَهُ مُمَارَسَةٌ (١)

تَذَكَّرْ - دَائِمًا - أَنَّكَ كُلَّمَا حَفِظْتَ جُزْءًا ، سَهَّلَ عَلَيْكَ الَّذِي بَعْدَهُ وَهَكَذَا ؛
لَأَنَّ الْحِفْظَ يَزِيدُ مِنْ إِفْرَازَاتِ بُرُوتِينَاتٍ خَاصَّةٍ بِالْحِفْظِ فِي الدِّمَاغِ ، وَكَثْرَةُ
الْحِفْظِ تُكَثِّرُ مِنْ إِفْرَازَاتِ هَذِهِ الْبُرُوتِينَاتِ ؛ مِمَّا يُسَهِّلُ مِنْ حِفْظِ الْأَجْزَاءِ
الْآتِيَةِ فِي وَقْتٍ أَقَلِّ .

قُلْتُ : قَدْ أَذْرَكَ ذَلِكَ سَلَفُنَا الصَّالِحُ .

قَالَ الزُّهْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

« إِنَّ الرَّجُلَ لَيَطْلُبُ [أَيِ : الْعِلْمِ وَالْحِفْظِ] وَقَلْبُهُ شِعْبٌ مِنَ الشَّعَابِ ،
ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَصِيرَ وَادِيًا ، وَلَا يُوضَعُ فِيهِ شَيْءٌ إِلَّا التَّهْمَةُ » . (٢)

وَقَالَ أَبُو السَّمْحِ الطَّائِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

« كُنْتُ أَسْمَعُ عُمُومَتِي فِي الْمَجْلِسِ يَنْشُدُونَ الشُّعْرَ ، فَإِذَا اسْتَعَدَّتْهُمْ ،
زَجَرُونِي وَسَبُّونِي ، وَقَالُوا : تَسْمَعُ شَيْئًا وَلَا تَحْفَظُهُ ! . قَالَ الشَّيْخُ : وَكَانَ
الْحِفْظُ يَتَعَذَّرُ عَلَيَّ حِينَ ابْتَدَأْتُ أَرُومَهُ ، ثُمَّ عَوَّدْتُهُ نَفْسِي إِلَى أَنْ حَفِظْتُ

(١) « دِيَوَانُ ابْنِ الرُّومِيِّ » (ص ٢٣٣٢) .

(٢) « الْحَثُّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَالْاجْتِهَادُ فِي جَمْعِهِ » (ص ٣٦) ، لِأَبِي هِلَالٍ الْعَسْكَرِيِّ .

قَصِيدَةَ رُؤْبَةٍ : (وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِيِ الْمُخْتَرَقِ) فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَهِيَ قَرِيبٌ مِنْ مِائَتَيْ بَيْتٍ ^(١) .

وَيُعَلِّلُ ذَلِكَ الدُّكْتُورُ / يُحْيَى بْنُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الْغَوْثَانِيُّ - حَفِظَهُ اللَّهُ - بِقَوْلِهِ : « إِنَّ الرَّجُلَ فِي بَدَايَةِ طَلَبِهِ لِلْعِلْمِ تَكُونُ ذَاكِرَتُهُ ضَيْقَةَ الْمَدَارِكِ ، لَمْ تَتَمَرَّسْ بَعْدُ عَلَى الْحِفْظِ فَإِذَا تَدَرَّبَ عَلَى الْحِفْظِ وَالْقِرَاءَةِ ، وَالْإِطْلَاعِ وَالْاجْتِهَادِ - اتَّسَعَتْ مَدَارِكُهُ ، وَأَصْبَحَ الْحِفْظُ سَجِيَّةً لَهُ ، فَيَصِيرُ قَلْبُهُ يَلْتَهُمُ الْعِلْمَ التِّهَامًا ، كَالْوَادِي يَلْتَهُمُ كُلَّ شَيْءٍ » ^(٢) .

(١) « الْحَثُّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَالْاجْتِهَادُ فِي جَمْعِهِ » (ص ٣٦) ، لأبي هِلَالٍ الْعَسْكَرِيِّ .

(٢) « كَيْفَ تَحْفَظُ الْقُرْآنَ ؟ » د. يُحْيَى الْغَوْثَانِيُّ (ص ٥٧) .

٤٥ - التَّغَرُّبُ

تَغَرَّبَ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَسَافَرَ ؛ فَفِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدَ :
تَفَرُّجٌ هَمٌّ ، وَاكْتِسَابُ مَعِيشَةٍ وَعِلْمٌ ، وَآدَابٌ ، وَصُحْبَةٌ مَا جَدَ (١)

التَّغَرُّبُ عَنِ الْأَهْلِ ، وَالْوَطَنِ ، وَالْأَصْدِقَاءِ وَالْمَعَارِفِ قَدْ يُعِينُ عَلَى
الْحِفْظِ ، بَلْ قَدْ يَعُودُ بِالشَّيْخِ إِلَى سِنِّ الشَّبَابِ . (١)

قَالَ ابْنُ جَبْرَيْنَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «وَقَدْ كَانَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ يُؤْثِرُونَ
التَّغَرُّبَ ، وَالْبُعْدَ عَنِ الْوَطَنِ لَطَلَبِ الْعِلْمِ ؛ حَيْثُ عَرَفُوا أَنَّ هَمَّ مَعَ أَهْلِيهِمْ
يَعْتَرِيهِمْ مَا يَشْغَلُهُمْ عَنِ الْحِفْظِ وَالِاسْتِفَادَةِ ؛ لِكَثْرَةِ مَنْ يَجَالِسُهُمْ ، وَيَبْحَثُ
مَعَهُمْ ، حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ لَمْ يَتَزَوَّجْ إِلَّا بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ مِنْ عُمُرِهِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ :
لَا يَنَالُ الْعِلْمُ إِلَّا مَنْ أَغْلَقَ دُكَّانَهُ ، وَضَرَبَ بُسْتَانَهُ ، وَبَعْدَ عَنِ إِخْوَانِهِ .

وَالْقَصْدُ مِنْ ذَلِكَ الْمُبَالَغَةُ فِي التَّفَرُّغِ الَّذِي يَحْصُلُ مِنْهُ قُوَّةُ الْوَعْيِ ،
وَحُضُورُ الْقَلْبِ ، وَاجْتِمَاعُ الْمَعْلُومَاتِ ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنْ يُضَيِّعَ أَهْلُهُ وَنَفْسُهُ ،
وَيَكْفَ عَنِ التَّكْسِبِ الْمُبَاحِ الَّذِي يَقِي بِهِ نَفْسَهُ ؛ فَإِنَّ الْحَاجَةَ وَالْفَاقَةَ قَدْ
تَشْغَلُ الْقَلْبَ عَنِ الْإِقْبَالِ عَلَى الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ » (٢) .

(١) « الدِّيَوَانُ الْمُنْسُوبُ لِلشَّافِعِيِّ » (ص ٩) .

(٢) « كَيْفَ تَطْلُبُ الْعِلْمَ ؟ » (ص ٢٥) .

٤٦ - احْذَرِ الْمَشْبُطِينَ

مَا بَالُهَا وَجْهُدَهَا قَتْلَهَا مُنِيتَ بِكُلِّ مُشْبِطٍ وَمُقْسَمٍ ^(١)

قَدْ يَأْتِيكَ مَنْ يَقُولُ لَكَ: إِنَّ حِفْظَ الْقُرْآنِ بِأَكْمَلِهِ يَحْتَاجُ أَنْ تَكُونَ مُتَفَرِّغًا، وَحَتَّى لَوْ حَفِظْتَهُ فَبَعْدَ ذَلِكَ سَوْفَ تَنْسَاهُ ؛ لِأَنَّكَ لَا تَجِدُ الْوَقْتَ الْكَافِيَ لِمُرَاجَعَتِهِ ... إلخ .

وَهَؤُلَاءِ سَمَّاهُمْ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ سَارِقِي الْأَحْلَامِ ؛ لِأَنَّهُمْ يُثَقِّلُونَ الْأَمْرَ عَلَيْكَ، وَيَجْعَلُونَكَ تَشْعُرُ أَنَّ تَحْقِيقَهُ مِنْ ضَرْبِ الْمُسْتَحِيلَاتِ ؛ فَفَرَّ مِنْ هَؤُلَاءِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ ، وَشَمَّرَ عَنْ سَاعِدِ الْجَدِّ ، يَحْدُوكَ عِلْمُكَ بِأَنَّ دَرَجَتَكَ فِي الْجَنَّةِ عَلَى قَدْرِ حِفْظِكَ لِكِتَابِ اللَّهِ ، فَتَخَيَّلْ أَنَّكَ تَرْتَقِي فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ ، وَهَؤُلَاءِ يَشُنُونَكَ عَنْ عَزْمِكَ ؛ فَيَأْيَاكَ وَإِيَّاهُمْ .

(١) «دِيَوَانُ جُبْرَانَ خَلِيلِ جُبْرَانَ» (ص ٢١٢٢) .

٤٧ - النَّوْمُ الْمُعْتَدِلُ

وَاهْجُرِ النَّوْمَ، وَحَصِّلْهُ فَمَنْ يَعْرِفِ الْمَطْلُوبَ يَحْقِرْ مَا بَدَلَ (١)

خُذْ قَدْرًا مُعْتَدِلًا مِنَ النَّوْمِ بِدُونِ إِسْرَافٍ، نَمِّ مُبَكَّرًا، وَاسْتَيْقِظْ مُبَكَّرًا. وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ عِلْمِيًّا أَنَّ أَفْضَلَ أَوْقَاتِ النَّوْمِ مَا كَانَ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ مُبَاشَرَةً، وَأَنَّ السَّاعَةَ مِنَ النَّوْمِ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ تُعَادِلُ سَاعَتَيْنِ مِنْ آخِرِهِ، وَلَا يَقُومُ مَقَامَهَا سَاعَاتُ مَنْ نَوَّمَ النَّهَارَ، وَأَنَّ أَسْوَأَ أَوْقَاتِهِ مَا كَانَ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، أَوْ بَيْنَ الْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ، وَلِكُلِّ قَاعِدَةٍ اسْتِثْنَاءٌ.

وَأَنَّ الْإِنْسَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَعَوَّدَ عَلَى الْاِكْتِفَاءِ بِقَدَرٍ قَلِيلٍ مِنَ النَّوْمِ بِالتَّدْرِجِ فِي ذَلِكَ (٢).

وَمَا أَجْمَلَ أَنْ تَتَعَوَّدَ عَلَى النَّوْمِ مِنْ بَعْدِ الْعِشَاءِ مُبَاشَرَةً، وَاسْتَيْقِظَ السَّاعَةَ الثَّانِيَةَ لَيْلًا؛ فَذَلِكَ أَعْظَمُ أَوْقَاتِ الْحِفْظِ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

وَقَلِّلْ مِنْ شُرْبِ الْمَاءِ؛ فَقَدْ اتَّفَقَ سَبْعُونَ حَكِيمًا عَلَى أَنَّ كَثْرَةَ النَّوْمِ مِنْ شُرْبِ الْمَاءِ (٣).

(١) «قَصَائِدُ مَنْ عَيَّوْنَ الشَّعْرَ»، «لَامِيَّةُ ابْنِ الْوَرْدِيِّ» (ص ٢).

(٢) «حَتَّى لَا تَكُونَ كَلًّا» (ص ٥٢).

(٣) «آدَابُ الْأَكْلِ» لابْنِ الْعِمَادِ (ص ٤٤).

وَفِتْيَةٌ أَرْقَتْهُمْ مِنْ مَهْجَعٍ وَالنَّوْمُ أَحْلَى عِنْدَهُمْ مِنَ الْعَسَلِ
لَا يَطْعُمُونَ النَّوْمَ إِلَّا قَلِيلًا حَسُوا لِحَسْوِ الطَّيْرِ مِنْ مَاءِ الْوَسْلِ

وَإِلَى جَنْبِ النَّوْمِ الْكَافِي يَحْسُنُ إِجْمَامُ النَّفْسِ، وَالتَّرْفِيهِ عَنْهَا ؛ لِتَنْشِطَ
وَتَسْتَعِدَّ لِلْحِفْظِ .

قَالَ ابْنُ الْجَوَازِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

« وَالْخَلْوَةُ أَصْلٌ ، وَجَمْعُ الْهَمِّ أَصْلُ الْأُصُولِ ، وَتَرْفِيهِ النَّفْسِ مِنَ الْإِعَادَةِ
يَوْمًا فِي الْأُسْبُوعِ ؛ لِيُثْبِتَ الْمَحْفُوظُ ، وَتَأْخُذَ النَّفْسُ قُوَّةً ، كَالْبُنْيَانِ يُتْرَكُ
أَيَّامًا ؛ حَتَّى يَسْتَقَرَّ ، ثُمَّ يُبْنَى عَلَيْهِ » (١) .

(١) «صَيِّدُ الْخَاطِرِ» (١٩٢) .

٤٨ - عَوَامِلُ تَقْوِيَةِ الذَّاكِرَةِ

أَبُوكَ بَنَى الْعَلِيَا وَأَنْتَ شَدَدْتَهَا بِمَجْدٍ يُقَوِّي مَا بَنَى وَيُشَاكِلُهُ ^(١)

هُنَاكَ عَوَامِلُ مُهِمَّةٌ فِي تَقْوِيَةِ الذَّاكِرَةِ، مِنْهَا :

١- النَّوْمُ الْمُعْتَدِلُ :

وَالنَّوْمُ الْمُعْتَدِلُ هُوَ النَّوْمُ الْمُبَكَّرُ ، أَيْ : مِنْ بَعْدِ الْعِشَاءِ مُبَاشَرَةً .
فَقَدْ أَثْبَتَ الْعِلْمُ : أَنَّ أَفْضَلَ أَوْقَاتِ النَّوْمِ مَا كَانَ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ مُبَاشَرَةً ، وَأَنَّ السَّاعَةَ مِنَ النَّوْمِ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ تُعَادِلُ سَاعَتَيْنِ مِنْ آخِرِهِ ، وَلَا يَقُومُ مَقَامَهَا سَاعَاتٌ مِنْ نَوْمِ النَّهَارِ .

كَمَا تَبَيَّنَ لِلْعُلَمَاءِ بَعْدَ تَجَارِبٍ وَأَبْحَاثٍ : أَنَّ النَّوْمَ الْمُرِيحَ مُهِمٌّ جَدًّا فِي تَحْسِينِ عَمَلِ الذَّاكِرَةِ ، فَاَلْمَعْلُومَاتُ الَّتِي يَسْتَقْبِلُهَا الدِّمَاغُ طِيلَةَ النَّوْمِ تَتِمُّ إِعَادَةُ تَرْتِيبِهَا وَتَخْزِينُهَا فِي الْعَقْلِ الْبَاطِنِ (الْلَاوَاعِي) أَثْنَاءَ النَّوْمِ .

٢- الْقِيْلُولَةُ :

وَأَقْلَهَا نِصْفُ سَاعَةٍ ، فَقَدْ اكْتَشَفَ الْعِلْمُ : أَنَّ الدِّمَاغَ يَتَعَبُ أَثْنَاءَ النَّهَارِ مِنْ تَرَائِكُمِ الْمَعْلُومَاتِ ، فَيُضْبِحُ أَقْلَ كِفَاءَةً ، وَبِالْتَّالِيِ يَحْتَاجُ لِشَيْءٍ مِنَ الرَّاحَةِ .

(١) « دِيَوَانُ ابْنِ سَهْلٍ الْأَنْدَلُسِيِّ » (ص ١١٥) .

٣- الْإِبْتِعَادُ عَنِ الضُّغُوطِ وَالْمَشَاكِلِ :

الْإِبْتِعَادُ عَنِ الضُّغُوطِ وَالْمَشَاكِلِ سَبَبٌ فِي صَفَاءِ الذَّهْنِ ، وَالِاسْتِعْدَادُ
لِلْحِفْظِ ، وَمَنْ كَدَّرَ عَلَى نَفْسِهِ ، تَكَدَّرَ حِفْظُهُ .

٤- لَا تُشَتَّتْ ذَاكِرَتَكَ :

فَعِنْدَمَا تَحْفَظُ بِشَكْلِ سَمَاعِيٍّ لَا تُغَيِّرِ الْقَارِئَ ؛ حَتَّى لَا تُشَتَّتْ ذَاكِرَتَكَ
بِأَكْثَرِ مَنْ لَحْنٍ ، وَلَا تُذَاكِرْ بِأَكْثَرِ مَنْ كِتَابٍ .

٥- تَنَاوُلُ الْأَطْعَمَةِ وَالْمَشْرُوبَاتِ الْمُفِيدَةِ لِلذَّاكِرَةِ .

٤٩ - تَنَاوُلُ الْأَطْعَمَةِ وَالْمَشْرُوبَاتِ الْمُفِيدَةِ لِلْحِفْظِ

أَشْبَعَ الْقَوْمَ مِنْ قَلِيلِ طَعَامٍ فَانْطَوَى فِيهِ لِلْجَمِيعِ شِفَاءٌ ^(١)
وَمِنَ الْوَسَائِلِ الْمُعِينَةِ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ تَنَاوُلُ الْأَطْعَمَةِ وَالْأَشْرِبَةِ الْمُفِيدَةِ
لِلْحِفْظِ ، فَمِنْ ذَلِكَ :

١- الْعَسَلُ :

قَالَ الزُّهْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : « عَلَيْكَ بِالْعَسَلِ ؛ فَإِنَّهُ جَيِّدٌ لِلْحِفْظِ » ^(٢) ،
وَهُوَ - أَيْضًا - مُفِيدٌ فِي تَحْسِينِ الصَّوْتِ ، وَإِذْهَابِ الْبَلْغَمِ ، لَا سِيَّمَا إِذَا خُلِطَ
بَزَيْتِ الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ .

٢- الْجَزَرُ :

يُقَوِّي الذَّاكِرَةَ ؛ لِأَنَّهُ يُنَشِّطُ عَمَلِيَّةَ التَّمَثِيلِ الصَّوْتِيِّ فِي الْمَخِّ ؛ لِذَا مِنْ
الْمُفِيدِ تَنَاوُلُ طَبَقٍ صَغِيرٍ مِنْ سَلْطَةِ الْجَزَرِ مُضَافًا لَهَا بَعْضَ الزَّيْتِ .

٣- الْأَنَانَسُ :

يَحْتَوِي عَلَى كَمِيَّةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ فَيْتَامِينِ « ج » الْضَّرُورِيِّ ، وَهُوَ مُفِيدٌ جَدًّا
لِلْحِفْظِ .

(١) « دِيَوَانُ أَبِي الْهَدَى الصِّيَادِيِّ » (ص ١٢) .

(٢) « الْجَامِعُ لِأَخْلَاقِ الرَّاوي وَآدَابِ السَّامِعِ » لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (٢/ ٣٩٤) .

٤- الَّلِيمُونُ :

يَزِيدُ مِنْ طَاقَةِ الشَّخْصِ ، وَبِالتَّالِي يَزِيدُ مِنَ الاسْتِيعَابِ وَالْاِنْتِبَاهِ ؛ لِغَنَاهُ بِفَتَامِينَ « ج » ، وَمَوَادِّ كَرْبُوهِندِرَاتِيَّةٍ ، وَعَدَدٍ مِنَ الْمُرَكَّبَاتِ الْمَعْدِنِيَّةِ ، وَهِيَ مُهِمَّةٌ لِإِنْتِاجِ الْأَجْسَامِ الْمُضَادَّةِ .

٥- الْبَصَلُ :

مُفِيدٌ عِنْدَمَا يَكُونُ الشَّخْصُ تَحْتَ ضَغْطٍ ذَهْنِيٍّ وَعُضْوِيٍّ شَدِيدٍ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ ... ، كَمَا أَنَّهُ يُخَفِّفُ الدَّمَ ؛ وَبِالتَّالِي يَحْصُلُ الْمَخُّ عَلَى الْأَكْسُجِينَ بِشَكْلِ جَيِّدٍ .

٦- الزَّنْجَبِيلُ :

الْمَوَادُّ الَّتِي يَتَكَوَّنُ مِنْهَا الزَّنْجَبِيلُ تُسَاعِدُ الْمَخَّ عَلَى الْوُصُولِ لِأَفْكَارٍ مُفِيدَةٍ الْإِبْدَاعِ ، وَكَذَلِكَ تُخَفِّفُ الدَّمَ ؛ فَتُسَاعِدُ الْمَخَّ عَلَى الْحُصُولِ عَلَى كَمِيَّةٍ أَكْبَرَ مِنَ الْأَكْسُجِينَ .

٧- الْكَمُونُ :

تُسَاعِدُ الزَّيْتُوُطُ الطَّيَّارَةَ فِيهِ عَلَى تَحْفِيزِ الْجِهَازِ الْعَصَبِيِّ عَلَى الْاِنْتِبَاهِ وَالتَّرْكِيزِ ، وَبِالتَّالِي يَكُونُ التَّحْصِيلُ الْجَيِّدُ .

٨- اللَّبَانُ الْمُرُّ :

مِنَ الْمَوَادِّ الَّتِي تُسَاعِدُ عَلَى الْحِفْظِ ، وَالنَّشَاطِ الذَّهْنِيِّ .

٩- الفَوَاكِهِ وَالْخَضِرَوَاتُ :

الْإِكْتَارُ مِنْ تَنَاوُلِ الْخَضِرَوَاتِ وَالْفَاكِهَةِ الطَّازِجَةِ، وَالْمَأْكُولَاتِ الْبَحْرِيَّةِ، وَالْإِبْتِعَادُ عَنِ الْأَطْعِمَةِ الْجَاهِزَةِ وَالْمَقْلِيَّةِ، وَأَكْلِ الْمَطَاعِمِ - يُسَاعِدُ عَلَى الْحِفْظِ.

١٠- الْقَرْفَةُ :

وَهِيَ نَافِعَةٌ لِلنِّسْيَانِ ، مُقَوِّيةٌ لِلذَّاكِرَةِ .

١١- التُّوتُ :

مُقَوِّ لِلذَّاكِرَةِ ، وَنَافِعٌ لِلنِّسْيَانِ ؛ لِأَنَّهُ يَحْتَوِي عَلَى الْكَثِيرِ مِنْ مُضَادَّاتِ الْأَكْسِدَةِ ، وَالَّتِي تُسَاعِدُ الْمَخَّ عَلَى النَّشَاطِ وَالْقُوَّةِ .

١٢- الْبَاذَنْجَانُ :

يَحْتَوِي عَلَى مُضَادَّاتِ الْأَكْسِدَةِ ، سَيِّمًا مَادَّةَ (النِّيَاسِين) وَالَّتِي تُسَاعِدُ خَلَايَا الْمَخِّ عَلَى الْإِحْتِفَاطِ بِالْمَعْلُومَاتِ ، كَمَا يُسَاعِدُ الْبَاذَنْجَانُ فِي إِحْتِفَاطِ خَلَايَا الْمَخِّ بِدُهُونِ الْأُومِيغَا 3 ، الَّتِي تُنَشِّطُ الْمَخَّ ، وَتُعِيدُ حَيَوِيَّةَ الْخَلَايَا .

١٣- الطَّطَامِطُ :

تَحْتَوِي الطَّطَامِطُ عَلَى مَادَّةِ (الليُكُوِين) ، وَهِيَ مِنْ أَهَمِّ الْمَوَادِّ الْمُضَادَّةِ لِلْأَكْسِدَةِ ، وَالَّتِي تَحْمِي خَلَايَا الْمَخِّ مِنَ الْأَضْرَارِ الَّتِي تَنْتُجُ مِنَ الْعَادَاتِ الْخَاطِئَةِ .

١٤- الشَّايُ الْأَخْضَرُ :

كُوبٌ مِنَ الشَّايِ الْأَخْضَرِ فِي الصَّبَاحِ يُزِيلُ التَّرْسَبَاتِ اللَّيْفِيَّةَ مِنْ عَلَى الدِّمَاغِ ، وَالَّتِي تُؤَدِّي إِلَى ظُهُورِ مَرَضِ الزَّهَائِمِ ، وَضَعْفِ الذَّاكِرَةِ بِشَكْلِ عَامٍّ .

١٥- الْكَرْكَمُ :

مِنْ أَهَمِّ التَّوَابِلِ الْقَوِيَّةِ فِي مُكَافَحَةِ النَّسْيَانِ ، وَالَّتِي يُمَكِّنُكَ إِضَافَتَهَا إِلَى طَعَامِكَ ؛ حَيْثُ إِنَّ لَهُ مَفْعُولًا جَيِّدًا عَلَى خَلَايَا الْمَخِّ وَمُكَافَحَةِ الزَّهَائِمِ .

١٦- الْعَنْبُ وَالزَّبِيبُ :

كُلُّهَا فَوَاكِهُ مَلِيئَةٌ بِفَيْتَامِينَ « ج » الَّذِي يُقَوِّي خَلَايَا الْمَخِّ ، وَيَزِيدُ مِنْ عُمرِهَا ، وَيُقَوِّي الذَّاكِرَةَ .

١٧- حُبُوبُ الْقَمْحِ الْكَامِلَةِ :

حُبُوبُ الْقَمْحِ الْكَامِلَةِ وَمَا شَابَهَهَا ، تَحْتَوِي عَلَى الْأَلْيَافِ الَّتِي تُقَلِّلُ مِنْ مُسْتَوَى الْكُولِيسْتَرُولِ فِي الدَّمِ ، وَتُسَاعِدُ عَلَى وُصُولِ الدَّمِ إِلَى الدِّمَاغِ ، وَتَسْتَمِرُّ هَذِهِ النِّشَوِيَّاتُ فِي إِمْدَادِ الْجِسْمِ بِالْجَلِيكُوزِ طَوَالَ الْيَوْمِ ؛ لِإِمْدَادِ الْجِسْمِ وَالدِّمَاغِ بِالطَّاقَةِ .

١٨- إِكْلِيلُ الْجَبَلِ :

ثَبَّتَ عِلْمِيًّا : أَنَّ رَائِحَةَ إِكْلِيلِ الْجَبَلِ فَقَطْ يُمَكِّنُهَا تَنْشِيطُ الذَّاكِرَةِ وَتَقْوِيَّتَهَا ، وَعِنْدَ إِضَافَتِهِ إِلَى طَعَامِكَ يَزِيدُ فِي تَقْوِيَةِ خَلَايَا الْمَخِّ وَمُكَافَحَةِ

النَّسْيَانِ؛ وَذَلِكَ لِأَحْتَوَائِهِ عَلَى حَمْضٍ (الكارونسيك) الَّذِي يَعْمَلُ بِقُوَّةٍ عَلَى مُحَارَبَةِ مَرَضِ الزَّهَائِمِ .

١٩- الْبَيْضُ :

هُوَ مِنَ الْأَطْعِمَةِ الْمُنَشِّطَةِ لِلذَّاكِرَةِ ؛ فَصْفَارُ الْبَيْضِ يَحْتَوِي عَلَى مَادَّةِ (الكولين) الَّتِي تُقَلِّلُ مِنْ مَخَاطِرِ الزَّهَائِمِ .

٢٠- الْمَكْسَّرَاتُ :

الْمَكْسَّرَاتُ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا مُفِيدَةٌ لِلْحِفْظِ ؛ لِأَحْتَوَائِهَا عَلَى كَمِيَّةٍ عَالِيَةٍ مِنَ الْأَحْمَاضِ الدُّهْنِيَّةِ غَيْرِ الْمُسَبَّغَةِ ، مِثْلُ : دُهُونِ الْأُومِيْجَا 3 ، وَأَيْضًا فِيتَامِينَ «ب» الَّذِي يُعَدُّ مُكَوَّنًا أَسَاسِيًّا فِي تَرْكِيبِ النَّاقِلَاتِ الْعَصَبِيَّةِ ، فَيُسَاعِدُ عَلَى زِيَادَةِ سُرْعَةِ الدَّمَاغِ فِي أَدَاءِ الْعَمَلِيَّاتِ الْحِسَابِيَّةِ ، كَمَا أَنَّ الْمَكْسَّرَاتِ هِيَ الْمَسْئُولَةُ عَنْ تَنْشِيطِ الْمَخِّ ، وَتَقْوِيَةِ خَلَائِهَا ، وَاسْتِعَادَةِ الذَّاكِرَةِ ، وَ مُحَارَبَةِ النَّسْيَانِ ^(١) .

وَقَبْلَ أَنْ أَخْتِمَ هَذَا الْبَابَ أَقُولُ : إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُتَسَاهَلَ فِيهِ ؛ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ إِذَا قُلْنَا لَهُمْ : لَا تَغْفُلُوا عَنِ الْأَطْعِمَةِ ، رَدُّوا بِقَوْلِهِمْ : يَكْفِي تَقْوَى اللَّهِ ، نَعَمْ تَقْوَى اللَّهِ هُوَ الْأَصْلُ ، وَالْأَطْعِمَةُ سَبَبٌ مِنَ الْأَسْبَابِ ، وَقَدْ أَخَذَ بِتِلْكَ الْأَسْبَابِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ ، وَنَصَحُوا مَنْ بَعْدَهُمْ بِهَا .

(١) هَذِهِ الْفَوَائِدُ اسْتَفَدْتُهَا مِنْ مَوَاقِعَ عَلَى الشَّبَكَةِ ، وَقَدْ حَرَضْتُ عَلَى نَقْلِ الْأَطْعِمَةِ الَّتِي دَخَلَتْ التَّجَرُّبَةُ الْعِلْمِيَّةُ ، وَالَّتِي هِيَ فِي مُتَنَاوِلِ الْيَدِ .

قَالَ ابْنُ الْجَوَازِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

«وَإِصْلَاحُ الْمِزَاجِ مِنَ الْأُصُولِ الْعَظِيمَةِ ؛ فَإِنَّ لِلْمَأْكُولَاتِ أَثَرًا فِي الْحِفْظِ ،
قَالَ الزُّهْرِيُّ : مَا أَكَلْتُ خَلًّا مُنْذُ عَاجَلْتُ الْحِفْظَ ، وَقِيلَ لِأَبِي حَنِيفَةَ : بِمِ
يُسْتَعَانُ عَلَى حِفْظِ الْفِقْهِ ؟ ، قَالَ : بِجَمْعِ الْهَمِّ .

وَقَالَ حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ : بِقَلَّةِ الْغَمِّ . وَقَالَ مَكْحُولٌ : مَنْ نَظَّفَ ثَوْبَهُ قَلَّ هَمُّهُ ،
وَمَنْ طَابَ رِيحُهُ زَادَ عَقْلُهُ ، وَمَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا زَادَتْ مُرُوتُهُ «^(١) .

(١) «صَيْدُ الْخَاطِرِ» (ص ١٩٢ - ١٩٣) .

٥٠ - عَدَمُ الاسْتِعْجَالِ

وَإِذَا النَّهَارُ أَتَى يَمُرُّ كَلَمَحَةٍ وَكَأَنَّهُ مُسْتَعَجِلٌ لِرُجُوعٍ ^(١)

قَفَّ عِنْدَ الْبَابِ حَتَّى يُفْتَحَ لَكَ ، إِنْ كُنْتَ تُدْرِكُ عَظَمَةَ مَا تَطْلُبُ ؛ فَإِنَّهُ
مَتَى فُتِحَ لَكَ فَسَتَلْحَقُ بِالرَّكْبِ - بِفَضْلِ اللَّهِ وَكَرَمِهِ - وَأَمَّا إِنْ اسْتَعْجَلْتَ
وَانْصَرَفْتَ ، فَسَتَحْرِمُ نَفْسَكَ مِنْ كَنْزٍ عَظِيمٍ ، وَفُرْصَةٍ قَدْ لَا تُدْرِكُهَا فِيمَا
تَبَقَّى مِنْ عُمْرِكَ .

بَلْ مَهْمَا طَالَ عُمْرُكَ وَأَنْتَ مَعَ الْقُرْآنِ ، فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ عَظِيمٍ .
فَهَذَا الْعَلَامَةُ الْمُتَفَنِّنُ صَاحِبُ التَّصَانِيفِ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ يَقْرَأُ فِي
آخِرِ عُمْرِهِ - وَهُوَ فِي الثَّمَانِينَ - الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ عَلَى ابْنِ الْبَاقِلَانِيِّ ، مَعَ ابْنِهِ
يُوسُفَ .

قَالَ الذَّهَبِيُّ - مُعَلِّقًا - : «فَانْظُرْ إِلَى هَذِهِ الْهِمَّةِ الْعَالِيَةِ» ^(٢) .

(١) «التَّحْفُ وَالظَّرْفُ» (ص ٣١) .

(٢) «السِّيَرُ» (٣٧٧/٢١) ، وَابْنُ الْبَاقِلَانِيِّ هُوَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ عِمْرَانَ الرَّبْعِيُّ
الْوَاسِطِيُّ الْمَقْرِيئُ (ت : ٥٩٣هـ) ، انْظُرْ : «مَعْرِفَةُ الْقُرَّاءِ» (ص ٨٧٠) .

٥١ - اَطْلُبِ الْمَزِيدَ

فِي اَزْدِيَادِ الْعِلْمِ اِرْغَامُ الْعِدَى وَجَمَالُ الْعِلْمِ اِصْلَاحُ الْعَمَلِ ^(١)

إِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، فَاحْمَدِ اللَّهَ ، وَدَاوِمْ عَلَى شُكْرِهِ ، فَإِنَّ الشُّكُورَ يَزِدُّهُ ، وَلَا تَقْعُدْ بِكَ هِمَّتُكَ هُنَا ، بَلْ ابْحَثْ عَنْ شَيْخٍ مُتَّقِنٍ مُجَازٍ ، وَلَدَيْهِ سَنَدٌ عَالٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ؛ لَتَعْرِضَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ غَيْبًا بِالتَّجْوِيدِ وَالِاتِّقَانِ ، بِرِوَايَةٍ حَفِصَ عَنْ عَاصِمٍ ، وَحَذَارَ أَنْ تَكْتَفِيَ بِحِفْظِكَ الشَّخْصِيَّ ، أَوْ حِفْظِكَ الْمَدْرَسِيِّ ، أَوْ حِفْظِ حَلَقَاتِ التَّحْفِيزِ .

وَإِنَّ مَنْ حَفِظَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ، وَلَمْ يَقْرَأْ عَلَى شَيْخٍ مُتَّقِنٍ مُجَازٍ ، لَدَيْهِ سَنَدٌ فَحَفِظَهُ نَاقِصٌ ، وَلَا يَخْلُو مِنْ خَطَأٍ ، رَبَّمَا لَا يَتَنَبَّهُ لَهُ .

وَالْمَقْصُودُ بِالْمُتَّقِنِ أَيُّ : لِأَحْكَامِ التَّجْوِيدِ ، وَمَخَارِجِ الْحُرُوفِ ، وَالصِّفَاتِ . وَبِالْمُجَازِ : مَنْ لَدَيْهِ إِجَازَةٌ ، وَهِيَ شَهَادَةٌ تُنْمَحُ مِنَ الشَّيْخِ الَّذِي أَخَذَ عَنْهُ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ أَمْرٌ مُتَعَارَفٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْقُرَّاءِ .

وَبِالسَّنَدِ : سِلْسِلَةُ الْمَشَايِخِ وَالْقُرَّاءِ الَّذِينَ وَصَلْنَا الْقُرْآنَ عَنْ طَرِيقِهِمْ ،

(١) مِنْ عُيُونِ الشُّعْرِ «لَا مِيَّةَ ابْنُ الْوَرْدِيِّ» (ص ٢) .

وَهُمْ مُتَسَلِّسُونَ بِاتِّصَالٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى عَصْرِنَا هَذَا .

وَبُعَلُو السَّنَدِ : أَنْ يَقِلَّ عَدَدُ رَجَالِ السَّنَدِ الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فَتَكُونَ السَّلْسِلَةُ قَصِيرَةً ، فَكُلَّمَا كَانَ عَدَدُ رَجَالِ هَذِهِ السَّلْسِلَةِ قَلِيلًا وَصِفَ السَّنَدُ بِأَنَّهُ عَالٍ .

وَأَعْلَى سَنَدٍ فِي الدُّنْيَا - فِي حُدُودِ عِلْمِنَا - أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الشَّيْخِ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سِتَّةٌ وَعِشْرُونَ ، أَوْ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ قَارئًا ^(١) .

فَمَتَى خَتَمْتَ الْقُرْآنَ فَطَرِ بِهِمَّتِكَ إِلَى مُزَاحِمَةِ الشُّيُوخِ بِالرُّكْبِ ، وَالتَّرَوُّدِ مِنَ الْعِلْمِ لَاسِيَّمَا التَّجْوِيدِ وَعُلُومِ الْآلَةِ ، فَذَلِكَ خَيْرٌ عَوْنٍ عَلَى إِتْقَانِ الْقُرْآنِ وَفَهْمِهِ ، وَاطْلُبِ الْإِجَازَةَ ، وَالتَّمَسُّعَ عُلُوَّ الْإِسْنَادِ ، وَاحْفَظْ مُتُونَ التَّجْوِيدِ وَالنَّحْوِ ، وَلَا تَقْنَعْ بِالْقَلِيلِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ قَالَ لِرَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] .

وَمَهْمَا حَصَلَتْ فَلَا تُصَدِّقْ أَنَّكَ قَدْ اكْتَفَيْتَ ، بَلِ اعْتَبِرْ نَفْسَكَ أَنَّكَ مَا زِلْتَ فِي بَدَايَةِ الطَّرِيقِ ؛ لِئَلَّا تَغْتَرَّ .

يَا مَنْ حَمَلْتَ بِصَدْرِكَ الْقُرْآنَ أَنْ الْأَوَانُ لِتُكْمَلَ الْبُنْيَانَا

(١) « كَيْفَ تُحْفَظُ الْقُرْآنُ ؟ » لِلْغَوَّاثِيِّ (ص ١٦٦-١٦٧) .

جُهْدُ تَنْوُّءٍ بِهِ الْجِبَالُ تَصَدُّعًا وَتَفِيضُ مِنْهُ قُلُوبُنَا عِرْفَانًا
 مِنْ كُلِّ صَوْبٍ جَاءَ قَلْبٌ خَافِقٌ يَسْتَعِذُّبُ التَّرْتِيلَ وَالِإِتْقَانًا
 شَوْقًا وَحُبًّا لِلْعُلُومِ تَجْمَعُوا تَرَكُوا الدِّيَارَ ، وَودَّعُوا الْأُوطَانَ
 غُرَبَاءُ لَكِنْ قَدْ تَأَلَّفَ جَمْعُهُمْ صَارُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِخْوَانًا
 يَا رَبِّ ، أَكْرَمَ مَنْ يَعِيشُ حَيَاتَهُ لِكِتَابِكَ الْوَضَاءَ لَا يَتَوَانَى

٥٢ - الإِلمَامُ بِقَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ

يَا أَخَا النَّحْوِ وَالْمُقَدِّمِ فِيهِ لَمْ تَرَ اللَّامَ أُدْغِمَتْ فِي الْمِيمِ؟ ^(١)

مِنْ وَسَائِلِ حِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، الإِلمَامُ بِقَوَاعِدِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ : مِنْ نَحْوِ ، وَصَرْفٍ ، وَبَلَاغَةٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُسَهِّلُ الْحِفْظَ ؛ فَإِنَّكَ تُرَكِّزُ عَلَى الْفِعْلِ وَفَاعِلِهِ ، وَالْمُبْتَدَأِ وَخَبَرِهِ ، وَالْمَفْعُولِ بِهِ وَالصِّفَاتِ ، فَتَتَابَعُ الْحِفْظَ ، وَتَرْبِطُ الْآيَاتِ تَبَعًا لِفَهْمِكَ النَّحْوِ ، زِدْ عَلَى ذَلِكَ الْإِعْرَابَ الدَّقِيقَ ، فَلَا تَحْتَاجُ أَنْ تَحْفَظَ التَّشْكِيلَ ، بَلْ مَعَكَ النَّحْوُ يُوقِفُكَ عَلَى إِعْرَابِ الْآيَةِ ، زِدْ عَلَى ذَلِكَ مَعْرِفَةَ الْوَقْفِ وَالْإِبْتِدَاءِ ، فَتَقِفْ بِعِلْمٍ ، وَتَبْدَأْ بِعِلْمٍ ، وَالْوَقْفُ وَالْإِبْتِدَاءُ هُوَ حِلْيَةُ التَّلَاوَةِ ، وَزِينَةُ الْقَارِئِ ، وَبَلَاغُ التَّلَايِ ، وَفَهْمُ الْمُسْتَمْعِ ، وَفَخْرُ الْعَالَمِ .

وَهَلِ التَّجْوِيدُ إِلَّا الْوَقْفُ وَالْإِبْتِدَاءُ، وَقَدْ سُئِلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى - ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝٤ ﴾ [الزُّمِّلُ: ٤] .

فَقَالَ : « التَّرْتِيلُ : تَجْوِيدُ الْحُرُوفِ ، وَمَعْرِفَةُ الْوُقُوفِ » ^(٢) .

(١) « دِيَوَانُ ابْنِ الرُّومِيِّ » (ص ٤٣٥٠) .

(٢) « الْإِتْقَانُ » لِلْسَّيُوطِيِّ (١/ ٨٣) ، وَ« النَّشْرُ » لِابْنِ الْجَزَرِيِّ (١/ ٢٠٩) .

صِنَاعَةُ الْحِفْظِ

وَيَتَوَقَّفُ فَهُمْ الْوَقْفُ وَالْإِبْتِدَاءُ عَلَى فَهْمِ النَّحْوِ ، وَهُنَاكَ عِلَاقَةٌ وَطِيدَةٌ
وَمَتِينَةٌ بَيْنَ النَّحْوِ وَالْقِرَاءَاتِ ؛ إِذْ لَا غِنَى لِعِلْمِ الْقِرَاءَاتِ عَنْ نَحْوٍ يُوجِّهُ
تِلْكَ الْقِرَاءَاتِ ، وَيُوضِّحُ سَبِيلَهَا فِي الْعَرَبِيَّةِ ، كَمَا قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْحَضَرِيُّ
فِي رَأْيَيْتِهِ :

وَأَحْسَنُ كَلَامِ الْعُرَبِ إِنْ كُنْتَ مُقْرَأًا وَإِلَّا فَتُخْطِي حِينَ تَقْرَأُ أَوْ تُقْرَى
لَقَدْ يَدَّعِي عِلْمَ الْقِرَاءَاتِ مَعَشَرٌ وَبَاعُهُمْ فِي النَّحْوِ أَقْصَرُ مِنْ شَبْرٍ ^(١)
فَإِنْ قِيلَ : إِعْرَابُ هَذَا وَوَزْنُهُ رَأَيْتَ طَوِيلَ الْبَاعِ يَقْصُرُ عَنْ فِترٍ ^(٢) ^(٣)

وَمِنْ مَظَاهِرِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ النَّحْوِ وَالْقِرَاءَةِ مَا يَأْتِي :

١ - مُوَافَقَةُ الْقِرَاءَةِ الْقُرْآنِيَّةِ لِقَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ صِحَّةِ تِلْكَ
الْقِرَاءَةِ ، وَشَرْطٌ مِنْ شُرُوطِ قَبُولِهَا ، وَفِي ذَلِكَ قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ - رَحِمَهُ
اللَّهُ - : « كُلُّ قِرَاءَةٍ وَافَقَتِ الْعَرَبِيَّةَ وَلَوْ بِوَجْهِ ، وَوَافَقَتْ أَحَدَ الْمَصَاحِفِ
الْعُثْمَانِيَّةِ وَلَوْ احْتِمَالًا ، وَصَحَّ سَنَدُهَا - فَهِيَ الْقِرَاءَةُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي لَا
يُجُوزُ رَدُّهَا » .

ثُمَّ قَالَ : « وَقَوْلُنَا فِي الضَّابِطِ : وَلَوْ بِوَجْهِ ، نُرِيدُ بِهِ وَجْهًا مِنْ وَجُوهِ
النَّحْوِ ، سِوَاءَ كَانَ أَفْصَحَ أَمْ فَصِيحًا ، مُجْمَعًا عَلَيْهِ أَمْ مُخْتَلَفًا فِيهِ اخْتِلَافًا لَا

(١) الشُّبْر - بِالْكَسْرِ - مَا بَيْنَ طَرَفِ الْإِبْهَامِ وَطَرَفِ الْخَنْصِرِ ، وَالْجَمْعُ أَشْبَارٌ .

(٢) الْفِتر - بِالْكَسْرِ - مَا بَيْنَ طَرَفِ الْإِبْهَامِ وَطَرَفِ السَّبَّابَةِ .

(٣) « قِرَاءَةُ الْإِمَامِ نَافِعٍ عِنْدَ الْمَغَارِبَةِ » (ص ٤٧-٤٨) ، د. عَبْدُ الْهَادِي حَمِيْتُو .

٢- اهْتِمَامُ النَّحْوِيِّينَ بِتَوْجِيهِ الْقِرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ .

٣- الاستشهادُ بالقِرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي مَوَاطِنِ الْخِلَافِ بَيْنَ النَّحْوِيِّينَ :
عِنْدَمَا يَحْتَدِمُ الْخِلَافُ النَّحْوِيُّ - كَمَا هُوَ الْحَالُ بَيْنَ الْكُوفِيِّينَ وَالْبَصْرِيِّينَ -
نَجِدُ أَنَّ الاستشهادَ بِالْقِرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ قَائِمٌ عَلَى أَشَدِّهِ وَحَاضِرٌ فِي كُلِّ
سَجَلَاتِ الْخِلَافِ ، وَذَلِكَ يَظْهَرُ جَلِيًّا فِي مَسَائِلِ الْخِلَافِ بَيْنَ الْبَصْرِيِّينَ
وَالْكُوفِيِّينَ .

وَخُلَاصَةُ الْقَوْلِ :

أَنَّ عِلْمَ التَّجْوِيدِ يَسْتَمِدُّ قَوَاعِدَهُ مِنَ النَّظَامِ الصَّوْتِيِّ لِللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَهَذَا
مُدَوَّنٌ فِي كُتُبِ أُمَّةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، مِثْلُ : كِتَابِ «الْعَيْنِ» لِلخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ ،
وَكِتَابِ «الْكِتَابِ» لِسِيبَوَيْهِ ، وَتَجِدُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّجْوِيدِ مِنَ الْمَخَارِجِ ،
وَالصِّفَاتِ ، وَالْأَحْكَامِ - مُدَوَّنٌ فِي كِتَابِ سِيبَوَيْهِ الْمُسَمَّى «الْكِتَابِ» وَهُوَ
عُمْدَةُ النَّحْوِيِّينَ ، وَحُجَّةٌ فِي النَّحْوِ .

فَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى التَّجْوِيدِ وَحْدَهُ ، فَهُوَ أَعْشَى (٢) ، وَمَنْ أَخَذَ بِالتَّجْوِيدِ
وَاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، صَارَ بَصْرُهُ حَدِيدًا ، وَقَوْلُهُ سَدِيدًا ، مَا مِنْ ذَلِكَ بُدٌّ .
وَقَلَّ أَنْ تَجِدَ إِمَامًا فِي الْقِرَاءَاتِ إِلَّا وَهُوَ إِمَامٌ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ؛ لِأَنَّ اللُّغَةَ

(١) «النَّشْرُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ» (١/ ٥٤) .

(٢) الْأَعْشَى : ضَعِيفُ الْبَصَرِ .

صِنَاعَةُ الْحِفْظِ

العَرَبِيَّةَ كَمَا قَالَ شَيْخُنَا / عَبْدُ الْكَرِيمِ الْعِمَادُ - حَفِظَهُ اللَّهُ - : «مِفْتَاحُ لِكُلِّ الْعُلُومِ» ، وَقَالَ - ثَبَّتَهُ اللَّهُ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ - :

النَّحْوُ مِفْتَاحُ الْعُلُومِ وَفَهْمُهُ يَكْفِي الْعُقُولَ مَشَقَّةً وَعَنَاءًا
فَأَفْهَمُهُ وَاحْرِصْ أَنْ تَنَالَ زِمَامَهُ يَجْعَلُ طَرِيقَكَ لِلْعُلُومِ ضِيَاءًا
وَقَدْ تَوَالَتْ تَحْذِيرَاتُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَخَذِ التَّجْوِيدِ عَمَّنْ لَيْسَ مُبَرِّزًا فِي
النَّحْوِ.

قَالَ الْإِمَامُ الْمَلْطِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي رَأْيَيْتِهِ فِي التَّجْوِيدِ الَّتِي عَارَضَ بِهَا
قَصِيدَةَ الْخَاقَانِيِّ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٣٢٥ هـ :

وَإِيَّاكَ وَالتَّقْلِيدَ مَنْ لَيْسَ يَتَّقِي وَلَا عِنْدَهُ خُبْرٌ مِنَ النَّصَبِ وَالْجَرِّ
لَأَنَّ الَّذِي لَا يَعْرِفُ اللَّحْنَ أَشْكَلَتْ عَلَيْهِ حُرُوفٌ فِي التَّلَاوَةِ بِالنُّكْرِ
فَدَعُهُ وَكُنْ مَا شِئْتَ تَبْغِي زِيَادَةً وَلَوْ نِلْتَ مَا نَالَ الْفَصِيحُ مِنَ الْيُسْرِ^(١)

(١) «رَوَائِعُ الثَّرَاثُ» (ص ٣) .

الخاتمة

بَعْدَ هَذَا التَّطَوُّافِ مَعَكَ - أَخِي الْكَرِيمَ - فَأَنَا عَلَى يَقِينٍ أَنَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ
سَوْفَ تَكُونُ بَيْنَ يَدَيْكَ كَهَادٍ يَهْدِيكَ الطَّرِيقَ، وَيَسْلُكُ بِكَ أَقْصَرَ الطُّرُقِ
- إِنْ لَمْ أَقُلْ : أَحْسَنَهَا وَأَسْهَلَهَا - لِحِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، مُتَّخِذًا مِنْ كِتَابِي
«أَوْسَمَةُ حَافِظُ الْقُرْآنِ»^(١)، حَادِيًا مُشَوِّقًا بَيْنَ يَدَيْكَ، «وَالرَّفِيقُ قَبْلَ الطَّرِيقِ».

وَجَمِيلٌ أَنْ أَخْتِمَ رِسَالَتِي هَذِهِ بِقَصِيدَةٍ رَائِعَةٍ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ
الْكُرْدِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -، وَالتِّي بِعُنْوَانٍ «كَيْفَ تَحْفَظُ الْقُرْآنَ؟»، وَهِيَ:

وَأَعَزَّنِي بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَغْنَانِي
خَيْرُ الْبَرَايَا مِنْ بَنِي عَدْنَانَ	ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى
شِعْرِيَّةٌ تَحْكِي عُقُودَ جَمَانٍ	هَذَا وَبَعْدُ فَهَذِهِ أَطْرُوحُهُ ^(٢)
وَنَظْمُتُهَا لِلطَّالِبِ الْوَلَهَانِ	أَعْدَدْتُهَا لِمَنْ ابْتَغَى آيَ الْهُدَى
هَذِي الْقَصِيدَةُ فِي أَتَمِّ بَيَانٍ	أَرْجُو إِلَهِي أَنْ يَمُنَّ فَتَكْتَمِلَ
حِفْظَ الْقُرْآنِ بِلَهْفَةٍ وَتَفَانٍ	يَا طَالِبًا سُبُلَ النَّجَاةِ وَرَاغِبًا
تَبْدُو كَمِثْلِ قَلَائِدِ الْعِقْيَانِ ^(٣)	إِنِّي أَسُوقُ مُوضَّحًا لَكَ خُطَّةً

(١) كِتَابُ «أَوْسَمَةُ حَافِظِ الْقُرْآنِ» ذَكَرْتُ فِيهِ ٤٠ حَدِيثًا فِي فَصَائِلِ حَافِظِ الْقُرْآنِ مَعَ الشَّرْحِ.

(٢) الْأَطْرُوحَةُ: الْمَسْأَلَةُ تَطْرَحُهَا.

(٣) الْعِقْيَانِ: بِالْكَسْرِ - الذَّهَبُ الْخَالِصُ.

تَقْرَأُ بِهَا الْقُرْآنَ سَهْلًا لَيْنًا
 أَخْلَصَ لِرَبِّكَ وَادْعُهُ لِيُثَبِّتَكَ
 وَدَعِ الذُّنُوبَ كَبِيرَهَا وَصَغِيرَهَا
 وَعَلَيْكَ بِالشَّيْخِ الْمُؤَيَّدِ بِالسَّنَدِ
 الزَّاهِدِ الْوَرِعِ الْمُضِيئَةِ حَالُهُ
 لَا تَنْقَطِعُ عَنْ دَرَسِ شَيْخِكَ مَرَّةً
 اذْهَبْ إِلَيْهِ وَلَوْ بِحِفْظِكَ آيَةً
 عَقِبَ الصَّلَاةِ احْفَظْ ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ
 مَجْمُوعُهَا هِيَ عَشْرَةٌ مَعَ خَمْسَةٍ
 مَجْمُوعُهَا فِي سِتَّةٍ يَا صَاحِبِي
 فِي سَابِعِ الْأَيَّامِ رَاجِعْ مَا مَضَى
 إِنْ شِئْتَ فَاحْفَظْ خَمْسَ آيَاتٍ فَقَطْ
 مَجْمُوعُهَا خَمْسُونَ مَعَ مِئَةٍ إِذَنْ
 رَاجِعْ وَكَرِّرْ مَا حَفِظْتَ بِلَا مَلَلٍ
 رَاجِعْ مَعَ الْأَصْحَابِ فِي وَقْتِ اللَّقَاءِ

تَنْجُو بِهَا مِنْ آفَةِ النَّسِيَانِ
 وَيُزِيلَ عَنْكَ وَسَاوِسَ الشَّيْطَانِ
 فَالذَّنْبُ يُطْفِئُ جَذْوَةَ الْأَذْهَانِ
 الْحَافِظُ الثَّقَّةَ الْكَرِيمَ الدَّانِي
 بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالْإِيمَانِ
 وَاحْذَرْ مِنَ الْإِهْمَالِ وَالرَّوْعَانِ
 فَالْوَصْلُ يَرْوِي غُلَّةَ الظَّمَانِ
 مَعَ كُلِّ فَرَضٍ ، لَا تُكُنْ بِالْوَانِي
 فِي كُلِّ يَوْمٍ بِاسْمِ رِيَّانِ
 تَسْعُونَ سَطْرًا وَضَحَتْ بَيَّانِ
 لِيُثَبِّتَ الْمَحْفُوظَ فِي رَسْخَانِ
 فِي كُلِّ يَوْمٍ طَيِّبِ الْأَرْكَانِ
 فِي كُلِّ شَهْرٍ يَا أُولِي الْحُسْبَانِ
 وَاكْتُبْهُ مَشْرُوحًا بِيَعْضِ مَعَانِ
 وَالنُّصْحَ لِلْأَخَوَاتِ وَالْإِخْوَانِ

خَيْرٌ مِنَ الْبُطْلَانِ وَالْهَذْيَانِ
فَاللَّيْلُ فِيهِ لَطَائِفُ الْمَنَانِ
وَأَشْكُرُ لِرَبِّكَ وَاسِعَ السُّلْطَانِ
عَوْنٌ لِنَقْشِ الذِّكْرِ فِي الْأَذْهَانِ
حَتَّى يُضِيَّءَ الْقَلْبُ بِالْقُرْآنِ
عَوْنٌ لِحِفْظِ الذِّكْرِ وَالتَّبَيُّانِ
لِلْحَافِظِ الْمُتَدَبِّرِ الْيَقْظَانِ
لَا تَيْسَّرَنَّ ؛ فَذَا مِنَ الشَّيْطَانِ
مُتَأَسِّيًا بِنَبِيِّكَ الْإِنْسَانِ
وَاطْهَرُ مِنَ الْأَحْقَادِ وَالْأَضْغَانِ
أَوْ مَأْرَبًا ، إِذْ كُلُّ شَيْءٍ فَاِنْ
مُتَطَيِّبًا بِالطَّيِّبِ وَالرَّيْحَانِ
مُتَنَظِّفًا لِحَالَاةِ الْقُرْآنِ
لَا تَبْدُ فِي الْأَفْعَالِ كَالصَّبِيَّانِ
كَمَكَانِ أَهْلِ الْفِسْقِ وَالْعِصْيَانِ

وَقِرَاءَةٍ فِي هَاتِفٍ لَوْ آيَةٌ
وَأَقْرَأُ بِوَرْدِكَ فِي قِيَامِكَ بِالذُّجَى
فِي سَائِرِ الصَّلَوَاتِ - أَيْضًا - فَأَقْرَأَنَّ
وَأَنْظُرُ إِلَى الْآيَاتِ إِنَّ النَّظَرَ
وَاحْفَظْ فُوَادَكَ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الْهَوَى
وَعَلَيْكَ بِالْمُتَشَابِهَاتِ ؛ فَإِنَّهَا
إِنَّ التَّشَابُهَ فِي الْقُرْآنِ كَرَامَةٌ
وَإِذَا نَسِيتَ الْحِفْظَ أَوْ كَثُرَ الْخَطَأُ
وَإِذَا خَتَمْتَ فَرَاغَ عَنْ فِي سَبْعَةٍ
وَأَبْرَأُ مِنَ الشَّرْكِ الْخَفِيِّ وَشَرِّهِ
لَا تَنْتَظِرُ - أَبَدًا - ثَنَاءً مِنْ أَحَدٍ
سِرٌّ خَاشِعًا وَالْبَسُّ ثِيَابًا طَيِّبًا
وَأُخِذَ السَّوَاكُ مَعَ الْقَرْنُفْلِ فِي فَمِكَ
وَدَعِ الْقَبَائِحَ وَالرَّذَائِلَ وَالْمِرَا
وَدَعِ الْقِرَاءَةَ فِي مَكَانٍ سَيِّئٍ

وَدَعَ التَّسْوُلَ بِالْقُرْآنِ وَعِشَ بِهِ
 وَاسْتَغْنَى بِالْقُرْآنِ عَنِ دُنْيَا الْبَشَرِ
 نَزَلَ الْقُرْآنُ لَتَعْمَلُوا - قَوْمِي - بِهِ
 يَا حَامِلَ الْقُرْآنِ فَاقْرَأْ وَارْتَقِهِ
 بَلْ أَنْتَ خَيْرُ النَّاسِ قَالَ الْمُصْطَفَى
 يَا رَبِّ ، عَفْوًا إِنَّ أَسَأْتُ فَإِنِّي
 وَلَيْتُنْ أَصَبْتُ فَمِنْكَ وَحَدَاكَ خَالِقِي
 نَظَمَ الْكَلَامَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ
 وَرَفَاقَهُ فِي مَجْلِسِ اقْرَأْ وَارْتَقِ
 وَكَذَاكَ كُلُّ مُرْتِّلٍ وَمُعَلِّمٍ
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

رَجُلًا كَرِيمَ الطَّبَعِ غَيْرَ جَبَانَ
 ثُمَّ اسْتَعَيْنَ بِالْخَالِقِ الرَّحْمَنِ
 لَمْ يَأْتِ لِلزَّيِّنَاتِ وَالْأَحْزَانِ
 رَتَّلْ ، فَأَنْتَ الْمُؤْمِنُ الرَّبَّانِي
 بِحَدِيثِهِ الْمَرْوِيِّ عَنْ عُثْمَانَ
 عَبْدٌ ضَعِيفٌ - يَا إِلَهِي - فَإِنْ
 أَنْتَ الْكَرِيمُ وَوَاسِعُ الْغُفْرَانِ
 أَكْرَمُهُ يَا ذَا الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ
 وَاعْفِرْ لَهُمْ بِشَفَاعَةِ الْقُرْآنِ
 أَغْدِقْ عَلَيْهِمْ نِعْمَةَ الرِّضْوَانِ
 مَا مَرَّ وَقْتُ فِي الْوَرَى وَثَوَانِ

الفهرس

٥	مُقَدِّمَةٌ
٨	مُقَدِّمَةٌ نُورِيَّةُ الْقَحْطَانِي
٩	القَوَاعِدُ وَالْوَسَائِلُ الْمُعِينَةُ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
٩	١- الإِخْلَاصُ
١٣	٢- تَقْوَى اللَّهِ
١٥	٣- تَرْكُ الْمَعَاصِي
١٨	٤- إِدْرَاكُ أَهْمِيَّةِ مَا تَحْفَظُ
٢٠	٥- الْعَزِيمَةُ الصَّادِقَةُ
٢٢	٦- الْهَمَّةُ الْعَالِيَةُ
٢٥	٧- اغْتِنَامُ سِنِي الْحِفْظِ الذَّهَبِيَّةِ
٢٨	٨- الصَّبْرُ
٢٩	٩- الدُّعَاءُ
٣١	١٠- الْخُطَّةُ الْوَاضِحَةُ
٣٧	١١- اخْتِيَارُ الْوَقْتِ
٣٧	١- الْأَسْحَارُ:

- ٢- بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ : ٣٩
- ٣- قَبْلَ النَّوْمِ : ٤٠
- ٤- بَعْدَ الْمَغْرِبِ : ٤١
- ٥- بَعْدَ الْعَصْرِ : ٤١
- ٦- بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ : ٤١
- ١٢- اخْتِيَارُ الْمَكَانِ ٤٥
- ١٣- وُجُودُ الْمُرَبِّي ٤٧
- ١٤- الاسْتِعْدَادُ النَّفْسِيُّ لِلْحِفْظِ ٤٨
- ١٥- الْحِفْظُ مِنْ رَسْمٍ وَاحِدٍ ٤٩
- ١٦- التَّلَقِّي عَنْ الْمُقَرَّرَيْنِ ٥٢
- ١٧- ضَبْطُ الْحَرَكَاتِ ٥٧
- ١٨- الْعِنَايَةُ بِالْمُتَشَابِهَاتِ ٦٠
- ١٩- الْحِفْظُ الْمَتِينُ ٦٧
- ٢٠- تَعَاهُدُ الْمَحْفُوظِ ٦٨
- ٢١- الْمُرَاجَعَةُ الْمُنَظَّمَةُ ٧٤
- ٢٢- الْعَمَلُ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ٧٦
- ٢٣- الْحِفْظُ مِنْ سُورَةِ النَّاسِ ٧٨
- ٢٤- ابْدَأْ بِالْأَجْزَاءِ السَّهْلَةِ ٨٠

- ٢٥ - الْحِفْظُ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَأَكْثَرَ ٨٣
- ٢٦ - الْحِفْظُ عَنْ طَرِيقِ الْحَوَاسِّ الثَّلَاثِ ٨٦
- ١ - حَاسَّةُ السَّمْعِ : ٨٦
- ٢ - حَاسَّةُ الْبَصَرِ : ٨٧
- ٣ - حَاسَّةُ الْكِتَابَةِ : ٨٩
- ٢٧ - الْفَهْمُ الصَّحِيحُ لِلآيَاتِ ٩١
- ٢٨ - تَقْلِيلُ الْمَحْفُوظِ ٩٢
- ٢٩ - عَدَمُ الْإِنْشَغَالِ بِغَيْرِ الْقُرْآنِ ٩٤
- ٣٠ - التَّدْرُجُ فِي الْحِفْظِ ٩٦
- ٣١ - تَكَرَّرُ الْمَحْفُوظِ ١٠٠
- ٣٢ - عَمَلِيَّةُ الرَّبْطِ ١٠٢
- ٣٣ - الصَّلَاةُ الْخَاشِعَةُ بِمَا تَحْفَظُهُ ١٠٣
- ٣٤ - تَعْلِيمُ النَّاسِ كِتَابَ اللَّهِ ١٠٥
- ٣٥ - تَحْسِينُ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ ١٠٦
- ٣٦ - كَيْفَ تُحَسِّنُ صَوْتَكَ بِالْقُرْآنِ ؟! ١١٠
- ٣٧ - الْحِفْظُ بِتَسْجِيلِ صَوْتِكَ ١١٤
- ٣٨ - الْحِفْظُ عَنْ طَرِيقِ السَّمْعِ مِنْ آلَةِ التَّسْجِيلِ ١١٦
- ٣٩ - اخْمَلْ مُصْحَفًا صَغِيرًا فِي جَيْبِكَ ١١٨

- ٤٠ - التَّلَاوَةُ الْمُسْتَمِرَّةُ ١٢٠
- ٤١ - الْمُنَافَسَةُ ١٢٣
- ٤٢ - الْإِشْتِرَاكُ فِي الْمُسَابَقَةِ ١٢٨
- ٤٣ - الْإِشْتِرَاكُ فِي حَلَقَاتِ التَّحْفِيزِ ١٣٠
- ٤٤ - مُمَارَسَةُ الْحِفْظِ ١٣١
- ٤٥ - التَّغَرُّبُ ١٣٣
- ٤٦ - اخْذَرِ الْمُشْطِطِينَ ١٣٤
- ٤٧ - النَّوْمُ الْمُعْتَدِلُ ١٣٥
- ٤٨ - عَوَامِلُ تَقْوِيَةِ الذَّاكِرَةِ ١٣٧
- ٤٩ - تَنَاوُلُ الْأَطْعِمَةِ وَالْمَشْرُوبَاتِ الْمُفِيدَةِ لِلْحِفْظِ ١٣٩
- ٥٠ - عَدَمُ الْإِسْتِعْجَالِ ١٤٥
- ٥١ - اِطْلُبِ الْمَزِيدَ ١٤٦
- ٥٢ - الْإِلْمَامُ بِقَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ ١٤٩
- * خُلَاصَةُ الْقَوْلِ : ١٥١
- * الْخَاتِمَةُ ١٥٣



صِنَاعَةُ الْحِفْظِ





